



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر - بسكرة -
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية



أثر المذاهب الفكرية في بناء التصورات النحوية العربية

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية
تخصص: علوم اللسان العربي

إشراف الأستاذ الدكتور:

عمار شلواي

إعداد الطالبة:

حسينة يخلف

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
الأمين ملاوي	أستاذ	جامعة بسكرة	رئيسا
عمار شلواي	أستاذ	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
باديس لهويل	أستاذ محاضر أ	جامعة بسكرة	مناقشا
رشيد بن قسمية	أستاذ محاضر أ	المدرسة العليا للأساتذة بوسعادة	مناقشا
عبد السلام عابي	أستاذ محاضر أ	جامعة باتنة	مناقشا
النذير ضبعي	أستاذ محاضر أ	جامعة أم البواقي	مناقشا

السنة الجامعية: 1444-1445هـ/2023-2024 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}
(التوبة/الآية 105)

شكر و عرفان

الحمد لله أقصى مبلغ الحمد، والشكر لله من قبل ومن بعد، الحمد لله حتى يرضى، وحين الرضى، وبعد الرضى، الحمد لله وقد مَنَّ علي بإتمام هذا العمل، وأعاني على القصد، ورزقني ما لم أكن أعلم.

يطيب لي بعد الحمد لله، والثناء عليه أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذ الدكتور: **عمار شلواي**.



يعد الاختلاف سمة كونية جعلها الله بين مخلوقاته، وفضل الإنسان من بين تلك المخلوقات، وميزه بالعقل عمن سواه، فاستطاع من خلال هذه الميزة استثمار ذلك الاختلاف في إنتاج وابتكار ما يسهل حياته سواء في الناحية العملية، أم الناحية العلمية، وكانت المذاهب الفكرية من أهم ما استثمره في الدفاع عن العقيدة.

فنشأت المذاهب الفكرية نتيجة لاختلاف الآراء والأفكار، وتتنوع لارتباطها بمجال معين، فظهر منها المذاهب الفقهية، والكلامية التي كان لها أثر جليل في بناء التصورات النحوية العربية، لذا سيكون التركيز عليها في هذا البحث لبيان أثرها في عدة جوانب من الفكر النحوي، فالمذاهب الفقهية ظهرت في أوائل القرن الثاني الهجري، أما اصطلاح المذهب الفقهي فقد ظهر خلال القرن الرابع الهجري بعد تميز المذاهب الفقهية، وتقوم هذه المذاهب على استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة الواردة في القرآن والسنة فهي مناهج لفهم الشريعة ، وطرق في استنباط الأحكام من مصادرها ، وتنقسم إلى مذاهب فقهية منتشرة، ومذاهب فقهية مندثرة .

إن المذاهب الفقهية المنتشرة هي المذاهب الأربعة المعروفة: الحنفية نسبة للإمام أبي حنيفة النعمان (150هـ) ، والمالكية نسبة للإمام مالك بن أنس (179هـ)، والشافعية نسبة للإمام محمد بن إدريس الشافعي (204هـ)، والحنبلية نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل (241هـ)، وهذه المذاهب هي حصيلة اختلاف الفقهاء في مسائل اجتهادية غير قاطعة الثبوت والدلالة، أما المذاهب المندثرة التي من أهمها المذهب الظاهري الذي أسسه داود بن علي الأصبهاني (270هـ)، وأحياه ابن حزم الأندلسي (456هـ)، فله الفضل في بيان المذهب الظاهري وبسطه، ولقد نقل ابن مضاء القرطبي (592هـ) أصول هذا المذهب وطبقها على النحو العربي في كتابه "الرد على النحاة"، فكان هذا أحد أهم مظاهر تأثر النحو العربي بالمذاهب الفقهية، إضافة إلى اعتماد مناهج أئمة بعض هذه المذاهب كما فعل ابن جني (392هـ) في كتابه الخصائص؛ حيث كان متأثرا بالمذهب

الحنفي الذي يعد العلة ركنا أساسا في القياس؛ لذا خص العلة ببحوث غاية في الدقة، فذكر أبوابا في تخصص العلة، والفرق بين العلة والسبب، وتعارض العلل، والعلة المتعدية، والعلة القاصرة، كما تحدث السيوطي (911هـ) أيضا عن مسالك العلة المتمثلة في النص والإيماء، والإجماع، والسبر والتقسيم..، وكل هذه المسالك هي التي يذكرها الأصوليون في مسالك العلة الشرعية، ولقد أكد أكثر من عالم لغوي على أن أثر الفقه وأصوله في النحو العربي كان واضحا؛ لأن ظهوره كان متقدما على نشأة النحو وأصوله ومن بين هؤلاء العلماء أبو البركات الأنباري إذ ذكر في نزهة الألباء: أن علوم الأدب ثمانية أضاف لها علمين هما: علم الجدل في النحو، وعلم أصول النحو.... على حد أصول الفقه، فإن بينهما من المناسبة ما لا خفاء به؛ لأن النحو معقول من منقول، كما أن الفقه معقول من منقول

إلى جانب المذاهب الفقهية تأثر النحو وأصوله بالمذاهب العقدية التي يعبر عنها بالفرق؛ لأنها تختلف عن المذاهب بنظرة تتميز بها في أمور العقيدة، ولعل من أبرز هذه الفرق التي كان لها أثر في النحو العربي وأصوله فرقة المعتزلة، حيث يتجلى هذا التأثير لدى النحاة المعتنقين لمذهب المعتزلة في جانبين هامين؛ أولهما: المنهج الذي يتبعه النحاة (التحليل، التوجيه)، وثانيهما: المصطلحات التي يوظفها هؤلاء النحاة.

إن أهمية الموضوع وارتباطه بعلوم إسلامية مهمة تلتف حول منبع واحد ألا وهو القرآن الكريم من أجل فهمه وتفسيره، كانت السبب الرئيسي لاختيار هذا الموضوع رغم اتساعه وشموليته؛ إلا أننا حاولنا قدر المستطاع الإلمام به بربطه بمستويات ثلاث هي: المنهج، والمصطلح، والموضوع، وبالتركيز على مدونات كان أثر المذاهب الفقهية والعقدية جليا فيها وهي: الخصائص لابن جني، الاقتراح للسيوطي والإعراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة لابن الأنباري، وكتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي.

ولقد اعتمد البحث على مجموعة من الدراسات تناولت هذا الموضوع من عدة جوانب أهمها: (أثر العقيدة وعلم الكلام في النحو العربي) لمؤلفه الدكتور مصطفى أحمد عبد العليم بخت؛ إلا أن هذه الدراسة ركزت على جانب الأثر الكلامي في النحو العربي، ولم تتطرق إلى أثر المذاهب الفقهية في النحو العربي، وكذا دراسة الدكتور محمد بن عبد الله بن حمد السيف، والمعنونة بـ: "الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم -جمعا ودراسة -"، وعليها ما على سابقتها حيث ركزت على الأثر الكلامي في جانب واحد وهو التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم:

فكان هدفنا التركيز على بيان أثر كل من المذاهب الكلامية والمذاهب الفقهية من خلال مستويات ذات أهمية بالغة في تشكل الفكر النحوي وهي: المصطلح، المنهج، والموضوع، هذا الجانب الذي أثار إشكالية البحث، التي ارتأينا صياغتها على النحو التالي:

ما مظاهر أثر المذاهب الفكرية في بناء التصورات النحوية العربية؟

هذه الإشكالية التي تفرعت عنها عدة تساؤلات حاولنا الإجابة عنها في مباحث كل فصل وهي:

- ما أهم المذاهب الفكرية التي أثرت في بناء التصورات النحوية العربية؟
- ما أهم التصورات النحوية التي تأثرت بهذه المذاهب؟
- وهل كان لهذا التأثير جوانب سلبية على النحو العربي وأصوله؟

وبهدف الإجابة عن الإشكالية السابقة جاء البحث مقسما إلى مقدمة وخاتمة يتوسطهما ثلاثة فصول، فصل نظري، وفصلان تطبيقيان، تناولنا في الفصل النظري المذاهب الفكرية الأثر والتأثير في أربعة مباحث هي:

المبحث الأول جاء للكشف عن نشأة المذاهب الفكرية وتطورها، ركزنا فيه على المذاهب الفقهية، والمذاهب الكلامية (المعتزلة، والأشاعرة)، أما المبحث الثاني فعنون

بالمذاهب الفكرية بين الموضوعات والمنهج، ضم مناهج هذه المذاهب وموضوعاتها، تناولنا في المبحث الثالث نقاط الالتقاء وأوجه الاختلاف بين المذاهب الفكرية، وفي المبحث الرابع تطرقنا إلى علاقة المذاهب الفكرية بالنحو العربي وبالتحديد التصورات النحوية.

أما الفصل الثاني والمعنون بأثر المذاهب الفكرية في تشكل المصطلح النحوي، فلقد أدرجنا فيه أربعة مباحث هي: المبحث الأول: مفهوم المصطلح النحوي وتشكله، يليه المبحث الثاني: المصطلح الفقهي والمصطلح النحوي الدلالة ووحدة المنبع؛ حيث كشفنا من خلال هذا المبحث عن أثر المصطلحات الفقهية في المصطلحات النحوية تلك المتعلقة بالمسائل التفصيلية، أما المبحث الثالث خصص للكشف عن أثر المصطلح الكلامي في المصطلح النحوي ومدى اشتراكهما في الدلالة، وفي المبحث الرابع تطرقنا إلى الأثر الفقهي والكلامي في الخلاف المصطلحي.

وفي الفصل الأخير بينا أثر المذاهب الفكرية في بناء المنهج النحوي وجاء ذلك في أربعة مباحث هي:

المبحث الأول: خصصناه للحديث عن المنهج النحوي واتجاهاته وحددنا فيه الأثر الأصولي والكلامي في الاتجاهات النحوية، وأما المبحث الثاني فجاء للكشف عن الأثر الكلامي والأصولي في مناهج التنظير النحوي، والمبحث الثالث عنوانه بأثر المذهب الظاهري في تجديد المنهج النحوي، أما المبحث الرابع فخصص للحديث عن أثر الخلاف الفقهي في منهج المذاهب النحوية، وتناول المبحث الخامس: الأثر الفقهي والكلامي في العلة النحوية. وختمنا كل فصل بخلاصة لأهم النتائج المتوصل إليها، ومجموع تلك النتائج الجزئية شكلت لنا خاتمة البحث، الذي عولجت قضاياها بالمنهج الوصفي، مع الاستعانة بآلية التحليل.

وتحقيقاً للغاية اعتمدنا عدة مراجع ومصادر أهمها: محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد، وتاريخ المذاهب الفقهية، وكتاب أثر العقيدة وعلم الكلام في النحو العربي لمصطفى أحمد عبد العليم بخيت، إضافة إلى النحو العربي بين التأثير والتأثر لمحمد الحباس.

أما الصعوبات التي واجهت البحث فتتمثل في اتساع الموضوع وتشعبه وانفتاحه على علوم تتطلب دقة الفهم والتدبر فيها، ورغم ذلك حاولت بيان ذلك الأثر ببذل جهدي مع إعانة أستاذي المشرف، فإن وفقت في ذلك فتلك غايتي، وإن كان غير ذلك فحسبي أنني حاولت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.



المبحث الأول: المذاهب الفكرية النشأة والتطور.

المبحث الثاني: المذاهب الفكرية بين الموضوعات والمنهج.

المبحث الثالث: المذاهب الفكرية صلات وفوارق.

المبحث الرابع: المذاهب الفكرية والتصورات النحوية.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ
وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۖ
وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ ﴾ سورة هود الآية 118-119.

تمهيد:

ميز الله الإنسان عن باقي المخلوقات بالعقل؛ فبواسطته تحل المشاكل وتلبى الحاجات، وتنتشر العلوم بمختلف أنواعها نتيجة لاختلاف التفكير البشري، وتعد الكتب المقدسة وخاصة القرآن الكريم مهذاً لما جاء من آراء ومذاهب؛ حيث أصبحت المذاهب الفكرية اليوم طوفاناً عارماً تتجاذب الناس، وتغير وجهات نظرهم واعتقادهم وتجعلهم في حيرة واضطراب، وسبيل الخروج من ذلك هو المعرفة التي يُتوصل إليها بالقراءة المؤدية لفهم معنى هذه المذاهب وأنواعها، ومدى تأثير بعضها ببعض.

المبحث الأول: المذاهب الفكرية النشأة والتطور:

أولاً: مفهوم المذاهب الفكرية: يتكون هذا التركيب من مصطلحي، ولتحديد مفهومه لابد من تحديد مفهوم كل منهما.

1- المذهب لغة: مذهب مفرد، جمعه مذاهب، مصدر ميمي من ذهب، ويطلق على الطريقة أو القصة أو الرأي أو وجهة نظر، فيقال مذهبي في الحياة كذا، متعصب لمذهبه، تحمس لمذهب فلان، ضاقت به المذاهب، كما تطلق أيضاً على المعتقد الديني كأن يقال اتبع المذهب المالكي¹، وجاء في "لسان العرب" أن: «المذهب المتوَّظاً؛ لأنَّه يذهب إليه والمُعْتَقَدُ الَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ»²، وجاء في "المعجم الوسيط": «المذهب عند العلماء مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية، ارتبط بعضها ببعض ارتباطاً يجعلها وحدةً متَّسقة»³، يتضح مما تقدم أن المذهب لغة يعني الطريقة والمعتقد والمقصد.

¹- يُنظر: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008م، ص 825.

²- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، 1/ 1522.

³- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1/ 317.

2-المذهب اصطلاحاً:

إن المذهب في اصطلاح كل قوم: الطريقة التي اختطها شخص أو مجموعة، سواء أكانت في مجال الاعتقاد أو السلوك أو الأحكام، أو غيرها، ولا يكون الأمر مذهباً لشخص ما، إلا إذا كان طريقة اختص بها دون غيره، ولا يطلق المذهب عند أصحاب العلم والمعرفة إلا على منهج تكوّن بعد تأمل ونظر، واختط صاحبه خطة واضحة المعالم، بينة الأبعاد تقوم على أصول وقواعد¹، ولقد عرف غالب علي عواجي المذهب بقوله: «هو ما يذهب إليه الشخص و يعتقده صواباً ويدين به، سواء أكان ما يذهب إليه صواباً في نفس الأمر أو كان خطأ؛ ومعنى هذا أن المذاهب تختلف باختلاف مصادرها، وباختلاف مفاهيم الناس لها من دينية وغير دينية، وما يتبع ذلك من اختلاف في فنونها من فقهية أو لغوية أو رياضية أو علوم عقلية تجريبية أو فلسفات أو غير ذلك، ويجب معرفة أنه لا يخلو إنسان أو مجتمع من مذهب يسير بموجبه مهما اختلفت الحضارة أو العقلية للشخص والمجتمع»²، يتبين أن المذاهب ترتبط بالفرد كما ترتبط بالمجتمع؛ لهذا فهي متنوعة ومختلفة باختلاف بيئاتها؛ حيث إن للعلماء في تعريف المذهب آراء كثيرة ومختلفة، ولقد حصر محمود محمد مزروعة هذه الاختلافات في اتجاهين:

أ-الاتجاه الأول:«اتجاه العلماء الذين يصدرن عن مبدأ واحد، وتجمعهم عقيدة واحدة وتؤلف بينهم أصول يتفقون عليها ويدينون بها، وينطلقون منها، ولا يختلفون حول هذه الأصول ويدخل ضمن هذا الاتجاه أصحاب المذاهب الفقهية فإنهم جميعاً يصدرن

¹-ينظر: عمر سليمان الأشقر، المدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1998م، ص44.

²-غالب علي عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، المكتبة الذهبية للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، ط1، 2006م، 41/1.

عن الأصليين الأساسيين الكتاب والسنة ويجتهدون في إطارهما، وقد يدخل في ذلك مع كثير من التحفظ المذاهب الكلامية¹، ولقد تحفظ محمود محمد مزروعة من إدخال المذاهب الكلامية في هذا الاتجاه؛ لاختلاف بعضها في الأصول التي يعتمد عليها.

ب-الاتجاه الثاني: «وهو اتجاه الباحثين في الفلسفة والاجتماع والنفس والأخلاق والاقتصاد والسياسة والإنسانيات بصورة عامة، وهؤلاء لا يصدر عن مبدأ واحد ولا ينطلقون من أصل متفق عليه فيما بينهم؛ بل لكل منهم رؤيته الخاصة ومذهبه المعين الذي قد لا يتفق مع غيره في أصل ولا فرع»²، ويعرف المذهب عند هؤلاء بأنه: «مجموعة من الآراء والأفكار حول موضوع معين ارتبط بعضها ببعض بشكل يجعل منها وحدة متسقة»³.

أما الفكر فيطلق على ثمرة إعمال العقل، وعلى النتيجة التي توصل إليها العقل بعد عملية التفكير ويتضح هذا حين نقول فكر المتكلمين، أو فكر الفلاسفة، فيصدق هذا الإطلاق على عملياتهم العقلية أو أعمال عقولهم، كما يصدق أيضاً على ناتج هذه العمليات العقلية نقصد به الركائز الهائل الذي خلفوه وراءهم من فكر ونظريات ومذاهب⁴.

وسنركز في هذا البحث على المذاهب الفكرية التي كان لها أثر في بناء التصورات النحوية العربية، وهي:

*المذاهب الكلامية: حيث تنقسم إلى مجموعة من المذاهب أهمها: المعتزلة، الأشاعرة.

¹ - محمود محمد مزروعة، مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد مكتبة كنوز المعرفة، جدة، ط2، 2006م، ص16.

² - المرجع نفسه، ص 16.

³ - المرجع نفسه، ص 17.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 18.

*المذاهب الفقهية: وهي المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة والمنتشرة، بالإضافة إلى المذاهب الفقهية المندثرة وأهمها المذهب الظاهري الذي قام بإحيائه ابن حزم الأندلسي.

ثانيا: نشأة المذاهب الفكرية:

1-تشكل المذاهب الفكرية: لنشأة المذاهب الفكرية عدة أسباب مختلفة باختلاف أنواعها، إلا أن بداية تشكلها مرتبطة بمصطلحين أساسيين هما الخلاف والاختلاف، وقبل الحديث عن نشأة المذاهب الفكرية لابد من التفريق بين هذين المصطلحين.

1-1-الفرق بين الخلاف والاختلاف:

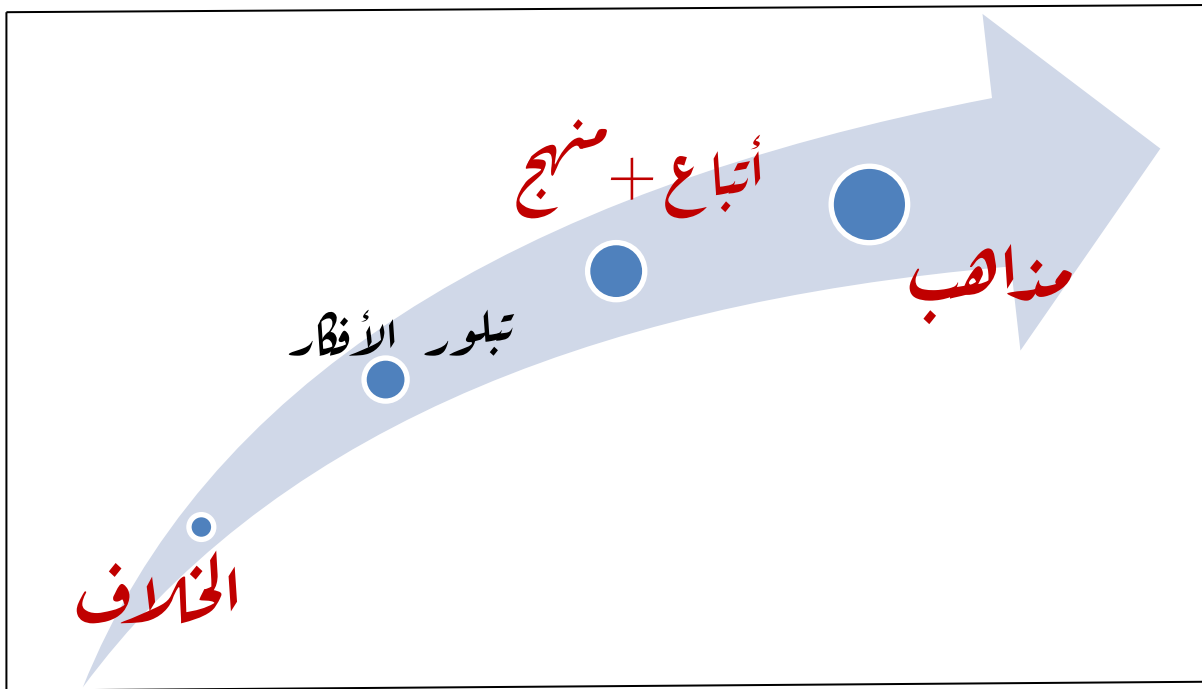
إن النظر في كتب المذاهب والفرق يلاحظ اضطرابا في استخدام مصطلحي الخلاف والاختلاف مع وجود عدة فروق بينهما لخصها أبو البقاء الكفوي في كلياته في أربعة وجوه هي:¹

الخلاف	الاختلاف
- يختلف فيه القصد مع الطريق الموصول إليه.	- ما اتحد فيه القصد واختلف في الوصول إليه.
- لا يستند إلى دليل.	- ما يستند إلى دليل.
- من آثار البدعة.	- من آثار الرحمة.
- يجوز فسحه.	- لو حكم به القاضي لا يجوز فسحه من غيره.

إن المذاهب الفكرية الإسلامية لم تتشكل دفعة واحدة ومن أول خلاف، فمن المقرر الثابت أن:«الخلاف حول الخلافة لم يبتدئ مذاهب من أول الأمر لأن المذهب يقتضي أن يتكون من منهاج علمي لفريق من الدارسين الباحثين يبنون فيه أصولا لتفكيرهم متميزة واضحة ثم يكون لكل منهاج طائفة أو مدرسة تعتنق هذه الأصول، وتدافع عنها وتقويها

¹ - الكفوي، (أبو البقاء أيوب بن موسى)، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، (دط)، 1998م، ص 61.

بموالاة البحث و الدراسة، وأن هذه المناهج أو المذاهب أو الفرق لم تتكون عند أول خلاف، بل إن الخلاف يبتدىء ثم بعد ذلك تتبلور الأفكار المختلفة ويؤصل كل رأي، ويتعرف أتباع كل واحد من هذه الآراء فتكون حينئذ المذاهب¹، ويمكن تمثيل تشكل المذاهب بالشكل التالي:



الشكل 1: تشكل المذاهب الفكرية

وهذه المذاهب تختلف فيما بينها؛ أي أن المنطلق هو الخلاف ثم يأتي بعد ذلك الاختلاف؛ حيث جاء في التعريفات: «الخلاف هو منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق

¹ - محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد، وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة، (دط)، (دت)، ص 21.

حق أو لإبطال باطل»¹، فإذا صار لهذه المنازعة أتباع من جهة المتعارضين ومنهج يبين أصول كل فرقة أصبحت مذهباً.

1-2- أول اختلاف بين المسلمين: كان أول اختلاف وقع بين المسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلافاً سياسياً محضاً، وليس اختلافاً على عقائد الدين أو إيمانياته النظرية، وكان ذلك الاختلاف هو اختلافهم حول القيادة؛ أي حول من يجب أن يتولى رئاسة الدولة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ولقد انقسمت مواقف الصحابة إلى ثلاثة هي:

موقف الأنصار	موقف المهاجرين	موقف علي بن أبي طالب ونفر من بني هاشم وآل بيته
أرادوا أن ينصبوا زعيمهم سعد بن عبادة زعيم قبيلة الخزرج.	وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة الجراح رضي الله عنهم رأوا أنهم أحق بها.	اعترضوا على البيعة ورأوا أن علياً أحق بها.

حيث دار نقاش طويل بين الفريقين -المهاجرين والأنصار- اقتنع في نهايته أغلب الأنصار بحق المهاجرين في الأمر، وبايعوا أبا بكر الذي رشحه عمر لهذا المنصب، في حين رفض زعيم الأنصار سعد بن عبادة رضي الله عنه البيعة وخرج إلى الشام فمات بها ولم يبايع لأحد²، لقد انتهى هذا الاختلاف ببيعة أبي بكر؛ إلا أنه تجدد في عهد عثمان وأصبح أكثر حدة، وأدى إلى ظهور فرق ومذاهب متباينة، ونشير إلى أن الاختلاف نوعين:

¹ - الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص 73.

² - ينظر: سعد رستم، الفرق مذهب الإسلامية منذ البدايات، النشأة، التاريخ، العقيدة، التوزع الجغرافي، الأوائل للنشر والتوزيع، ط3، 2005م، ص 19-22.

* «اختلاف لم يفرق الأمة ولم يجعل بأسها شديدا.

* اختلاف قد فرق الأمة وأذهب وحدتها وهو الخلاف في السياسة وشؤون الحكم».¹

فالاختلاف الأول يشمل المذاهب الفقهية والمذاهب الكلامية، أما الاختلاف الثاني فيشمل المذاهب السياسية؛ لأنها تجاوزت حدود النظر إلى التأثير في المجتمع وتغييره.

1-3-أسباب الاختلاف بنوعية:

هناك عدة أسباب للاختلاف بنوعية أهمها:

- العصبية العربية.
- التنزع على الخلافة.
- مجاورة المسلمين لكثير من أهل الديانات القديمة ودخول بعضهم في الإسلام.
- ترجمة الفلسفة.
- التعرض لبحث كثير من المسائل الغامضة مثل إثباته صفات الله تعالى ونفيها، ومسألة قدرة العبد بجوار قدرة الرب.
- القصص: كثرت وكانت عبارة عن أفكار غير ناضجة تلقى في المجالس المختلفة.
- ورود المتشابه* في القرآن الكريم وهذا أدى إلى الاختلاف في التأويل بغية الوصول إلى إدراك حقيقة معناه.

¹ - محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 12.

*المتشابه: هو ما خفيت دلالاته، والمحكم هو ما وضحت دلالاته، حيث لا يحار فيه عقل عاقل، ولا يحتاج بيانه إلى تأويل معانيه، وأما المتشابه فإنه لا بد من رده إلى المحكم ليتبين معناه، وينسجم مع دلائل أم الكتاب وهي المحكمات، كما أن دلالاته تخفى لسببين: إما لإجمال في اللفظ أو إيهام بتشبيه الله تعالى بخلقه. ينظر: صالح بوكرموش، الاختلاف العقدي بين المذاهب الكلامية وأثره على وحدة الأمة، صفات الله تعالى - نموذجاً-، ص 192-193.

* استنباط الأحكام الشرعية كان لابد من استنباط حكم شرعي لكل حادثة من الحوادث.¹

1-4- ميزة الاختلاف بين المسلمين: هناك ميزتان أساسيتان للاختلاف بين المسلمين وهما:

* إن هذا الاختلاف لم يتناول لب الدين، فلم يكن الاختلاف في وحدانية الله تعالى وشهادة أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا في أن القرآن معجزة النبي الكبرى، ولا في أنه يروى بطريق متواتر نقلته أجيال الأمة الإسلامية كلها جيلا بعد جيل، ولا في أصول الفرائض ولا في طريق أداء هذه التكليفات، وإنما الاختلاف في أمور لا تمس الأركان والأصول العامة.

* إن هذا الاختلاف بلا ريب شر، خاصة الاختلاف حول بعض العقائد والسياسة.² فلقد اعتبر أبو زهرة الاختلاف الثاني شرا؛ لأنه يؤدي إلى تفكيك المجتمع الإسلامي، ونشوب الحروب والقتل، وظهور المرتدين عن الدين، ويحدث هذا اضطرابا لدى عامة الناس نتيجة تداخل الحق مع الباطل.

1-5- مظاهر الخلاف بين المسلمين: كان للخلاف بين المسلمين مظهران أحدهما عملي و الآخر علمي:

أ- **الخلاف العملي:** فهو كالذي وقع من الخارجين على عثمان رضي الله عنه، وكالذي وقع بين علي بن أبي طالب والخارجين عنه، وكالخلاف بين (ابن الزبير)

¹ - ينظر: محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 12، 15، 16.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 11.

والأمويين والخوارج* معهم ومع "علي" من قبلهم فهذا الخلاف انبعث عن فكرة من لهم حق اختيار الخليفة، ونتج عن هذا الخلاف ظهور فرق مذهبية مختلفة¹ هي:

الخوارج والشيعة** ونجم عنها حروب انتهت بقيام الدولة العباسية، التي كانت شيعية في ابتداء تكوين الدعوة.

ب- **الخلاف العلمي النظري:** وكان هذا الاختلاف حول بعض الأمور التي تتصل بالعقيدة وفي الفروع، فالاختلاف فيما يتعلق بالعقائد والفقه لم يتجاوز الحد النظري والاتجاه الفكري؛ فالاختلاف في الفقه مثلاً لم يتجاوز حد اختلاف وجهة النظر حتى إن كل فريق من المختلفين يقول رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب، ومهما يكن مقدراً الخلاف النظري، فإنه لم يمس لب الإسلام²، فالخلاف النظري لم يتجاوز وجهات النظر والدفاع عنها، أما الخلاف العملي فقد تجاوز حدود

* **الخوارج:** وهم فرق مختلفة وقد كان أول ظهورهم في جيش علي كرم الله وجهه عقب قبوله فكرة التحكيم فيما بينه وبين معاوية وهم الذي حملوا علياً رضي الله عنه قبوله التحكيم، ابتداءً، وكانوا يصيحون في وجهه رضي الله عنه كلما خطب: لا حكم إلا لله، وهم فرق يتفاوتون مغالاة واعتدالاً وإن كان اعتدالهم نسبياً وأشدّهم غلوا -الأزارقة: أتباع نافع بن الأزرق من بني حنيفة، الصفورية: أتباع زياد بن الأصفر، ودونهم في الشدة. -النجداث: أتباع نجدة بن عويمر، وأقرب هذه الفرق إلى الجماعة الإسلامية الإباضية إتباع عبد الله بن أباض وهو تابعي. ينظر: محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، ص182.

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص16، 17.

** **الشيعة:** يعدون أقدم الفرق الإسلامية ظهوراً بمذهبهم في آخر عصر ذي النورين عثمان رضي الله عنه، ثم اشتد أمرهم في عصر علي كرم الله وجهه، والشيعة في جملتهم يرون أن علياً أحق للمسلمين بخلافة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه كان الخليفة للمختار من النبي صلى الله عليه وسلم ويعتقدون أن الإمامة ركن الدين وقاعدة الإسلام. ولا يجوز لنبي إغفالها، أو تفويضها إلى الأمة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم وقد حمل اسم الشيعة فرق مختلفة بعضها خرج عن الإسلام في تقديس علي كرم وجهه ونذكر من هذه الفرق: السبئية، الغرابية، البينانية، الخطابية ومنها أيضاً: الكيسانية، الاثنا عشرية، الإسماعيلية. ينظر: المرجع نفسه، ص 262 - 265.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص17، 18.

النظر إلى التأثير في المجتمع ؛ وتغييره بظهور فرق ومذاهب، ونجم عنها حروب انتهت بقيام الدولة كما ذكرنا.

2-أسباب تكون المذاهب الفكرية الإسلامية: إن من بين أسباب تشكل المذاهب

الفكرية الإسلامية قضايا الجدل التي يمكن حصرها في القضايا الثلاثة التالية:

القضية الأولى:الخلاف حول من هو الخليفة: فقد نشب الجدل بينهم حول الإمامة (الخليفة)؛ من الأحق بها بعد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فهل تكون بالاتفاق، والاختيار (بالبيعة والاستفتاء والشورى)، أم بالنص والتعيين؟

القضية الثانية:الخلاف حول مرتكب الكبيرة: واختلف المسلمون حول مسألة صاحب الكبيرة، وما يتصل بها من قضايا العلاقة بين النظر والعمل والإسلام والإيمان فغالى الخوارج في تشديدهم؛ إذ حكموا بأن صاحب الكبيرة كافر في النار، واعتبروا العمل شرطاً للإيمان، وبالمقابل تمادى (المرجئة) في تسامحهم فتوقفوا عن تكفير صاحب الكبيرة، وتركوا الحكم فيه لله وفصلوا العمل عن الإيمان، وتناقضت الآراء في التسيير والتخير، القضاء والقدر، فذهبت (الجبرية)* إلى أن الأفعال كلها لله، وقالت (القدرية) بأن الإنسان خالق (قدره) خيره وشره.

القضية الثالثة: الخلاف حول الصفات الإلهية: حيث تطرق بعضهم إلى إثبات الصفات والأخذ بحرفيتها كما جاءت في القرآن من "يد" و"عين"، حتى وصلوا إلى

* الجبرية: «هم الذين يلقبون بالجبر حيث أرجعوا جميع الأفعال إلى الله، ولم يثبتوا للعباد في التحقيق فعلاً والجبرية أصناف فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً».سميح دغيم، موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، 1/ 417).

التشبيه والتجسيم*، وغالى آخرون في تأويلها (فاليد بمعنى القوة والاستيلاء، والعين بمعنى الغالية والإرشاد...)، فخلصوا إلى النفي والتعطيل¹.

ثالثاً: أنواع المذاهب الفكرية الإسلامية:

سنركز على المذاهب الإسلامية لارتباط هذه الأخيرة بموضوع بحثنا؛ حيث إن لها مناخاً مختلف الاتجاه تتفرع إلى ثلاثة شعب هي:

1- مذاهب في الاعتقاد: وهي التي اختلفت حول العقيدة، ولم يكن الاختلاف في لبها كمسألة الجبر والاختيار، وغيرها من المسائل التي جرى حولها اختلاف علماء الكلام، مع اعتقاد الجميع بأصل الوحدانية وهو لب العقيدة الإسلامية.

2- مذاهب في السياسة: كالاختلاف حول اختيار الخليفة، ونذكر منها الفرق المختلفة كالخوارج والشيعة.

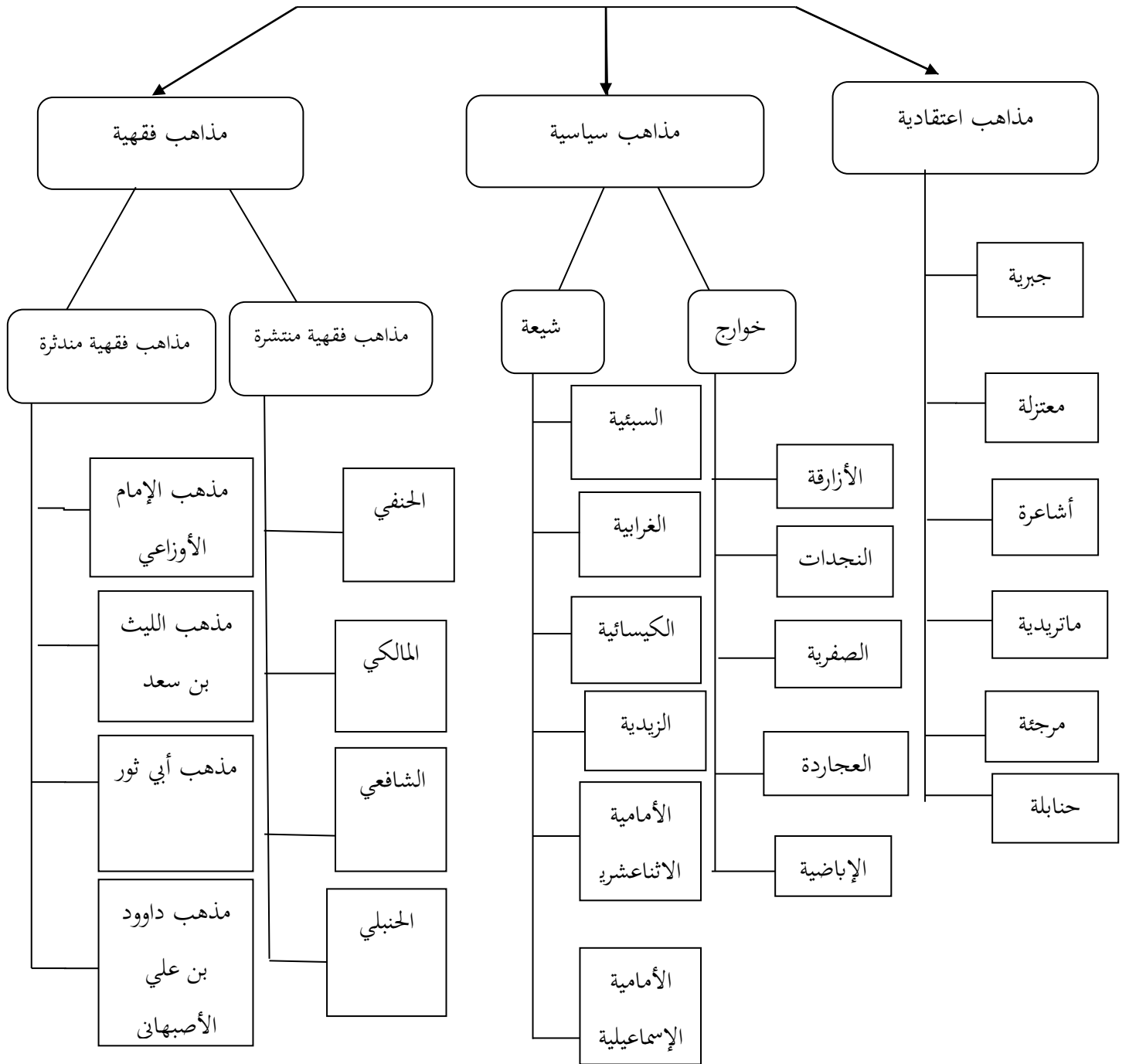
3- المذاهب الفقهية: التي نظمت العلاقة بين الناس بعضهم ببعض، وبينت العلاقة بين العبد والرب في العبادات التي شرعت بالكتاب والسنة²، وضمن كل نوع تتفرع عدة مذاهب أو فرق، يمكن توضيح ذلك بالمخطط التالي:

* **التجسيم والشبيه:** أي نسبة صفات المخلوقات والأشياء المادية الجسمية إلى الله سبحانه. -حسن محمود الشافعي، المدخل إلى دراسة علم الكلام، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، ط1، 2001م، ص69.

¹-ينظر: محمد إبراهيم الفيومي، المعتزلة تكوين العقل العربي-أعلام وأفكار-، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 2002م، ص 16-17.

²-ينظر: أبو زهرة، المرجع السابق، مقدمة الكتاب.

أقسام المذاهب الفكرية الإسلامية¹



شكل 2: أقسام المذاهب الفكرية الإسلامية

¹ - ينظر: أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص35، 98، وسعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات،

من خلال المخطط يتضح أن المذاهب الفكرية المؤثرة في النحو العربي هي: المذاهب الاعتقادية وبالأخص المعتزلة والأشاعرة، وكذا المذاهب الفقهية وبالتحديد مذهب داود بن علي الأصبهاني المعروف بالمذهب الظاهري والذي أحياه ابن حزم الأندلسي، وكذا بن مضاء القرطبي في كتابه الرد على النحاة، لذا سيكون التركيز على هذه المذاهب

رابعاً: المذاهب الاعتقادية -الكلامية-النشأة والتطور:

1- مفهوم المذاهب الكلامية:

منذ أوائل القرن الثاني بدأت بحوث المسلمين حول العقيدة تدخل في طور جديد، فتعد لها حلقات متخصصة وتنشأ فيها اتجاهات واضحة، وتتحول إلى مذاهب متكاملة لها آراؤها المتميزة في مختلف مسائل العقيدة لا في واحدة منها فحسب، وغالباً ما تعتنق هذه المذاهب فرق أو جماعات، فيها القادة وفيها الأتباع، لا يقتصرون على وضع أصول المذاهب نظرياً أو اعتناقها فكرياً؛ بل قد ينزعون أيضاً إلى تطبيقها عملياً في جوانب حياة المجتمع المسلم الروحية، والسياسية، والاجتماعية، والفنية¹.

إن من أبرز ظواهر مرحلة التدوين ظهور المذاهب الكلامية واستقرارها، وبلورة أصولها العقائدية وتدوينها.

يرتبط مفهوم المذاهب الكلامية بمفهوم علم الكلام، لذا وجب تعريفه.

¹-ينظر: حسن محمود الشافعي، المدخل إلى دراسة علم الكلام، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، ط2،

1-1- تعريف علم الكلام:

لعل أشهر تعريف للفارابي (339هـ)، والذي يذهب فيه إلى أن: «علم الكلام هو صناعة وهو ملكة يقتدر بها الإنسان على نصره الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقويل»¹، كما يذهب ابن خلدون إلّا أن علم الكلام هو: علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية في الذات والصفات وأمور الحشر والنعيم والعذاب والقدر بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة والمنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف و أهل السنة.²

فقد حدّد موضوع هذا العلم «حينما قال العقائد الإيمانية والمقصود هنا بالعقائد الإيمانية الأحكام والمبادئ والقضايا التي أتى بها القرآن ولا دخل للعقل في إيجادها أي أن موضوع هذا العلم النص القرآني المطروح على العقل البشري»³، وتتعدد تسميات هذا العلم بالنظر إلى موضوعاته؛ حيث جمعت الدكتورة رجاء أحمد في كتابها (علم الكلام) عدة تسميات لعلم الكلام يمكن تلخيصها فيما يلي:⁴

التسمية	سببها
- علم أصول الدين	لأن مسأله هي أساس الدين وأصوله
- الفقه الأكبر	لتمييز مباحث الفقه العملية والتي تسمى الفقه الأصغر فكلاهما علم أصول إلّا أن علم الكلام يؤسس النظر بينما

¹-الفارابي، إحصاء علوم الدين، تحقيق عثمان أمين، مطبعة السعادة، ط3، 1968م، ص132، 131.

²-ينظر: ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد بن خلدون)، المقدمة، طبعة مصححة ومشكلة، دار صادر، بيروت ط2، 2006م، ص 323،

³- فيصل بدير عون، علم الكلام ومدارسه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 2014م، ص46.

⁴- ينظر: رجاء أحمد علي، علم الكلام، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2012م، ص15، 16.

الفقه يؤسس العمل.	
لأنه يضع التوحيد عقيدة أساسية تستخرج منها باقي العقائد فالتوحيد أهم موضوعاته.	- علم التوحيد والصفات
وذلك لاعتماده على الاستدلال العقلي بجانب الاستدلال النقلي.	- علم التطور والاستدلال
يضع العقائد مرتبة بمعنى أنه يرتبها ترتيباً منطقياً.	- علم العقائد الإسلامية

من خلال ما تقدم يتضح أن المذاهب الكلامية: «هي فرق سياسية في ظهورها الأول، ثم أصبحت فرقا عقدية كلامية، لتتطور وتصبح مذاهب ومدارس، وذلك بعد تبنيها آراء واتخاذها مواقف في مختلف المسائل الكلامية المتداولة، بدءاً بمسألة الإمامة والقضاء والقدر والجبر والاختيار، وحكم مرتكب الكبيرة وغيرها»¹.

حيث إنه لم تكن منطلقات العلماء في مناقشة هذه القضايا واحدة، ولا خلفياتهم موحدة، فلا شك أن كل عالم يبدي رأيه فيها انطلاقاً من خلفيته الفكرية، ومنطلقاته العقلية في الاستدلال، مما شكل لدينا أكثر من وجهة نظر في كل مسألة².

من خلال ما تقدم يتبين أن: «الاختلاف بين المذاهب الكلامية هو تباينها وتمايزها في مواقفها وآرائها في المسائل الكلامية العقدية»³.

¹ - صالح بوكرموش، الاختلاف العقدي بين المذاهب الكلامية وأثره على وحدة الأمة، صفات الله تعالى - نموذجاً -، مجلة المعيار، مجلد 25، عدد 59، 2021م، ص188.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص188.

³ - المرجع نفسه، ص189.

2-نشأة المذاهب الكلامية وتطورها:ترتبط نشأة المذاهب الكلامية بنشأة علم الكلام وتطوره، فكيف نشأ هذا العلم؟ وما مراحل تطوره؟

2-1-نشأة علم الكلام:«إن آراء الفرق التي بدأت مبكرة في النصف الثاني من القرن الأول الهجري واستمرت لعدة قرون كثيرة كانت هي الحصيصة التي تكون منها علم الكلام، ومن هنا يمكن القول بأنه قد توافقت نشأة الفرق مع نشأة علم الكلام»¹، ولقد نشأ علم الكلام نتيجة أسباب وعوامل متضافرة أهمها:

أ-«القرآن الكريم: هو المنطلق الأول لنشوء علم الكلام، فالقصص الواردة في القرآن الكريم تتضمن إحتجاجات الأنبياء وصراعاتهم الفكري مع الوثنيين والمعاندين من أهل اللجاج* فهي مما يشتد إليها المتكلم في آرائه الكلامية.

ب-السنة النبوية: هي المنطلق الثاني لنشوء علم الكلام حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم ناظر المشركين بمرأى ومسمع من المسلمين، وهذا يمثل بدايات المسائل الكلامية في القرنين الأولين»².

ج-طبيعة العقل البشري: «ذلك أن العقل يجد نفسه أمام أسئلة ملحة لا يستطيع أن يدفعها عن نفسه ولا يملك إلا أن يفكر فيها، وأن يسعى إلى تقديم حل لها فمن جملة هذه الأسئلة نجد: ما أصل العالم؟ وما علته؟ وما هي الحركة والسكون؟ وهل الإنسان مجبر أم مختار؟ ثم ما هي الروح؟ وما علاقتها بالبدن؟»³، ولقد قسم أبو الوفا الغنيمي عوامل نشأة علم الكلام إلى:

¹ - يحي هاشم حسن فرغل، تجديد المنهج في العقيدة الإسلامية، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2007م، ص31.

*اللجاج: هو التماذي في الشيء وتكراره.

⁴ - العلامة الحلّي، نهاية المرام في علم الكلام، تحقيق فاضل العرفان، مكتبة التوحيد، ط1، دت، 105/1.

³ - فيصل بدير عون، المرجع السابق، ص 28.

أ-عوامل داخلية: (داخل الجماعة المسلمة) وتشمل:

*الخلاف بين بعض النصوص الدينية أدى إلى إختلاف وجهات النظر في تفسير العقائد.

*الخلاف السياسي حول مسألة الإمامة، وهذا ما أدى إلى ظهور الفرق¹.

ب-عوامل خارجية:(خارج الجماعة المسلمة):

*التقاء الإسلام بحضارات وديانات الأمم المفتوحة؛ مما ترتب عليه صراع عقائدي بينها وبينه.

*حركة الترجمة التي أدت إلى إنتقال الفلسفة اليونانية إلى المسلمين²، ولقد كانت العوامل الخارجية من بين أسباب تطور علم الكلام.

2-2-تطور علم الكلام:

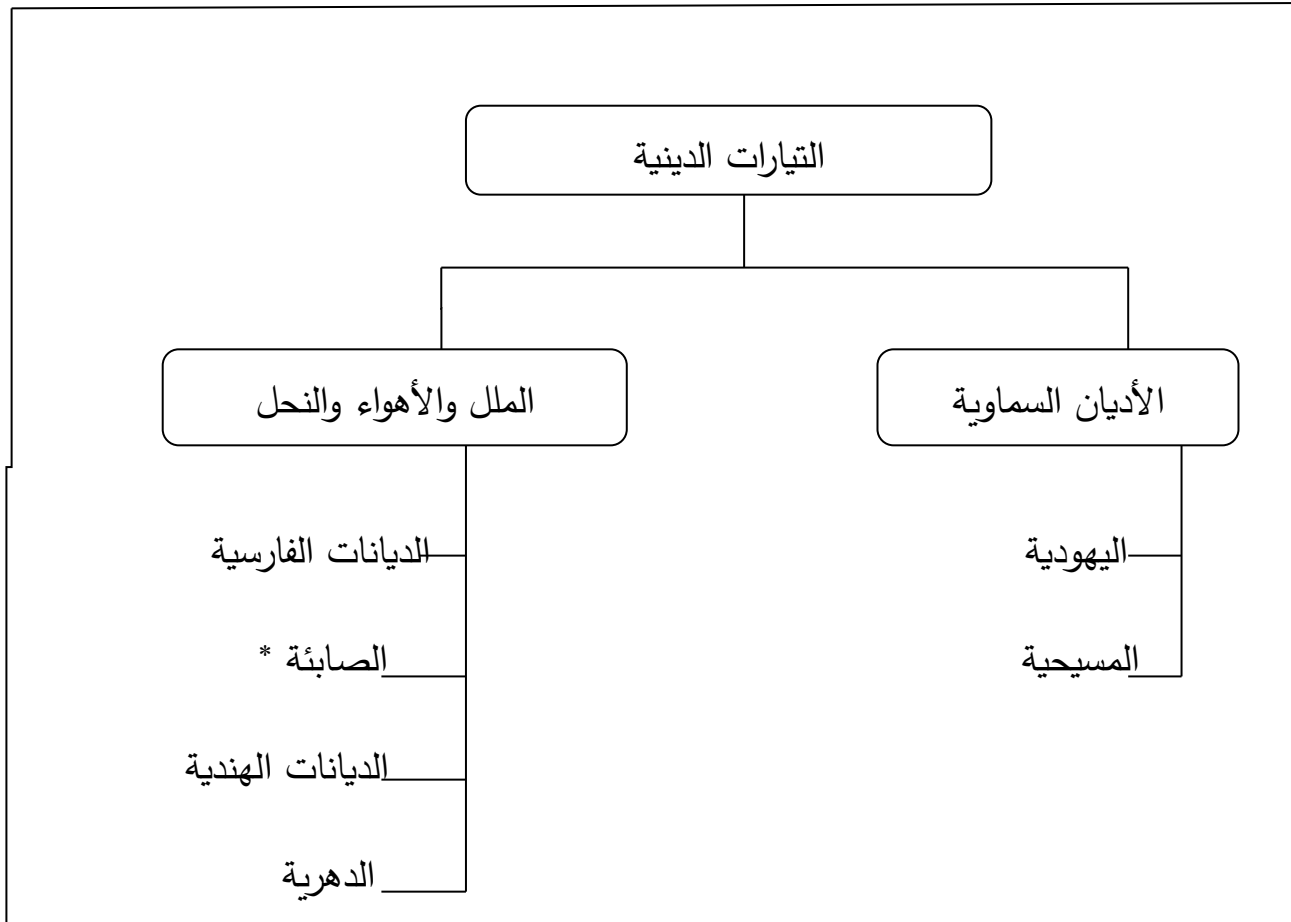
«إذا كان علم الكلام نشأ نشأة مرتبطة بالمشكلات الواقعية، فإنّه لم يظل على بساطته الأولى وإنّما لحقه التطور وكان في تطوره مرتبطاً إلى حد كبير بواقع المسلمين الذي بدأ يواجه الكثير من المشكلات الأكثر تعقيداً من المشكلات الأولى وربما يرجع ذلك إلى دخول الكثير من التيارات الدينية والثقافية إلى العالم الإسلامي ودخلت معظم هذه التيارات في صراع مع الإسلام»³، والمقصود بالتيارات الدينية الديانات المخالفة والتي تنقسم إلى:⁴

¹ - ينظر: أبو الوفا الغنيمي، علم الكلام وبعض مشكلاته، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (دط)، (دت)، ص5.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 5.

³ - محمد صالح محمد السيد، مدخل إلى علم الكلام، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، دت، ص82.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص118.



الشكل 3: أنواع التيارات الدينية

كان لكل هذه التيارات الدينية والثقافية أثر في تطور علم الكلام سواء من ناحية الموضوع، أو من ناحية المنهج، فمن حيث الموضوع فقد توسع بإضافة موضوعات جديدة أثرت من خلال مواجهته لهذه الأديان، وأما المنهج فقد تدعم بإضافة طرق منهجية جديدة

*الصابئة ديانة تشترط القرب من الماء وتجعله المطهر الأول فلا زواج ولا صيام ولا حياة إلا به. فلقد ذكروا في القرآن الكريم في ثلاث آيات من سورة البقرة الآية 62، وسورة المائدة الآية 1769، وسورة الحج الآية 17، ولا يعرف تاريخ نشأة الصابئة، وإن كانت عبادتهم الكواكب والنجوم تشير إلى أنها ديانة قديمة. ينظر: أحمد عبد الغفور عطار، الديانات والعقائد في مختلف العصور، مكتبة المهتدين، مكة المكرمة، ط1، 1981م، 298/1.

بفضل الاطلاع على الفلسفة والمنطق¹، ونشير إلى أن المعتزلة هم أول من مزج بين الفلسفة والعقائد الإسلامية والسبب في ذلك يرجع إلى أن علماء الكلام أرادوا أن يتسلحوا بنفس سلاح المخالفين للشيعة أي خصومهم، هكذا تطور علم الكلام وأصبحت له موضوعات هي مزج بين العقيدة وبين الفلسفة، ويرجع ذلك إلى أثر الترجمة ودخول المنطق والفلسفة إلى بلاد المسلمين².

3-أنواع المذاهب الكلامية:سنركز في هذا المبحث على مذهبين كان لهما دور كبير في بناء التصورات النحوية العربية، وهما مذهب المعتزلة، ومذهب الأشاعرة.

3-1-مذهب المعتزلة نشأته وتطوره:

أ-تعريف مذهب المعتزلة: هو اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني الهجري، وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بعث العقائد الإسلامية وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي يمثل رأس المعتزلة.وقد نشأت هذه الفرقة في البصرة نتيجة للمناظرة في أمر صاحب الكبيرة، ثم خروج واصل برأيه المخالف لشيخه الحسن البصري في مرتكب الكبيرة وهو في منزله بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر³، وللمعتزلة أسماء كثيرة منها ما أطلق عليهم، و منها ما أطلقوه على أنفسهم فما أطلقه الغير عليهم:

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص82.

² - ينظر: رجاء أحمد علي، علم الكلام، ص26.

³ - عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة و أصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، مكتبة الرشد للنشر و التوزيع، الرياض، ط2، 1995م، ص 13، 14.

-الجهمية: لأخذهم ببعض أقوال الجهمية.*

-القدرية: لموافقهم الخوارج في تخليد صاحب الكبيرة في النار مع قولهم إنه ليس بكافر.

-الوعيدية: لقولهم بالوعد والوعيد، وأن الوعيد المتوجه إلى العصاة حتمي.

- المعطلة: لتعطيلهم الله عن صفات الكمال.

ومما أطلقوه على أنفسهم من الأسماء.

-المعتزلة: اعتزال الأقوال المحدثه و المبتدعه.

- أهل العدل و التوحيد:لقولهم بهذين الأصلين.

- أهل الحق و الفرقة الناجية: لاعتقادهم أنهم على الحق ومن سواهم على الباطل.¹

ب- نشأة مذهب المعتزلة وتطوره:

لقد نشأ الاعتزال فكراً قائماً على النظر العقلي مع بداية القرن الثاني الهجري في البصرة في أواخر العصر الأموي

ج- فروع المعتزلة: تفرع المعتزلة فرعين هما:

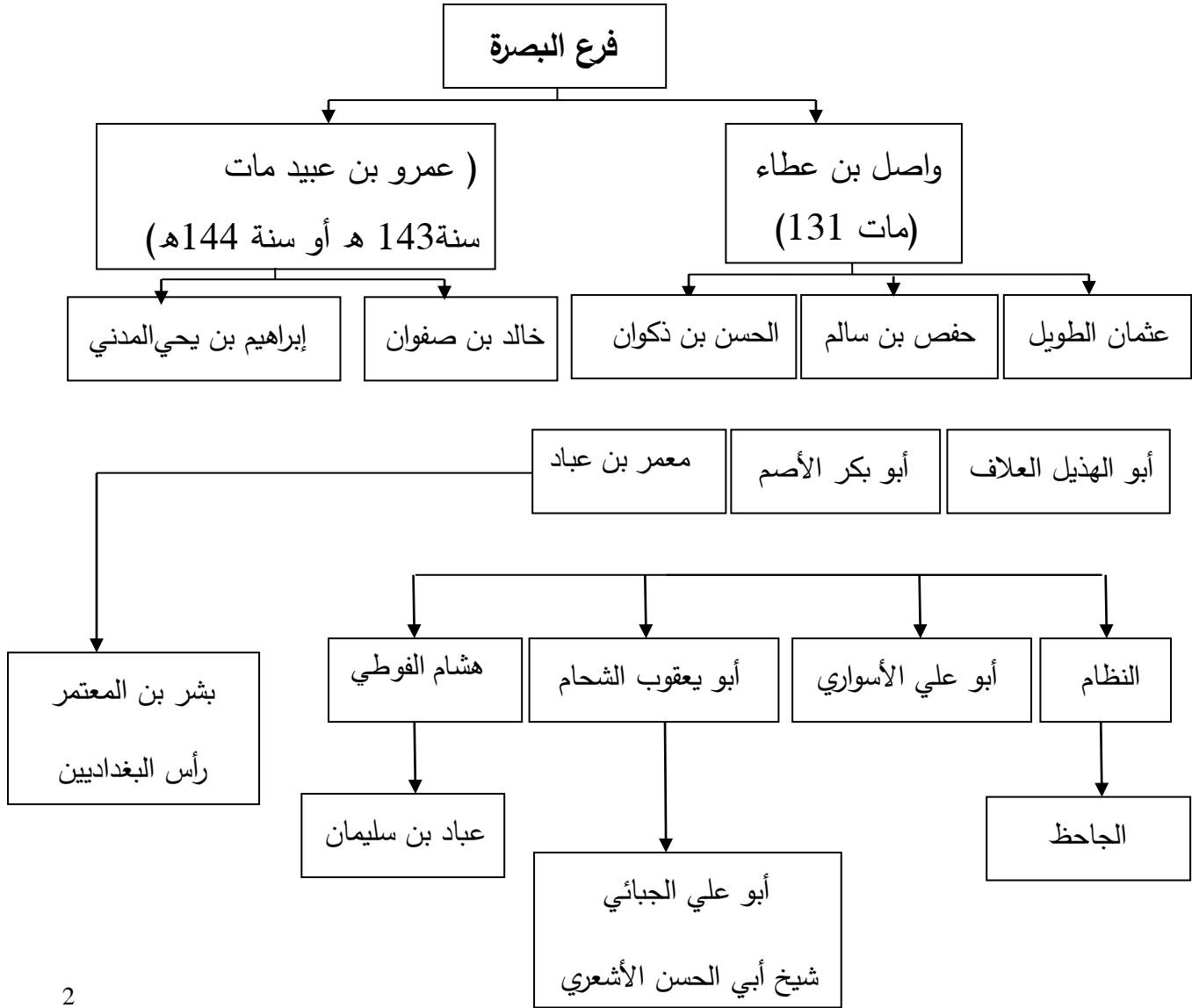
• فرع البصرة: ويمثل هذا الفرع "واصل بن عطاء" و "عمرو بن عبيد" و "عثمان الطويل" و "أبو الهذيل العلاف" و "أبو بكر الأصم"، و "معمر بن عباد" و "النظام" و "الشحام" و "الجاحظ"، و "أبو علي الجبائي"، و "أبو هاشم الجبائي" وغيرهم.

* الجهمية: أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتغنيان، وزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط، وقال: لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز، وقال بحدوث كلام الله تعالى كما قالته القدريّة، ولم يسم الله تعالى متكلماً به. ينظر: سميح دغيم، موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، 431/1.

¹-ينظر: المرجع السابق، ص25، 26.

* فرع بغداد: ويمثل هذا الفرع "بشير بن المعتمر"، و"أبو موسى المردار" و "أحمد بن أبي دؤاد"، و"تحامة بن الأشرس" و "جعفر بن حرب" و"جعفر بن مشر"، و"الاسكافي" و"عيسى بن الهيثم الخياط"، وأبو القاسم البلخي الكعبي وغيرهم⁽¹⁾.

والمخططان التاليان يمثلان رواد كل فرع:



2

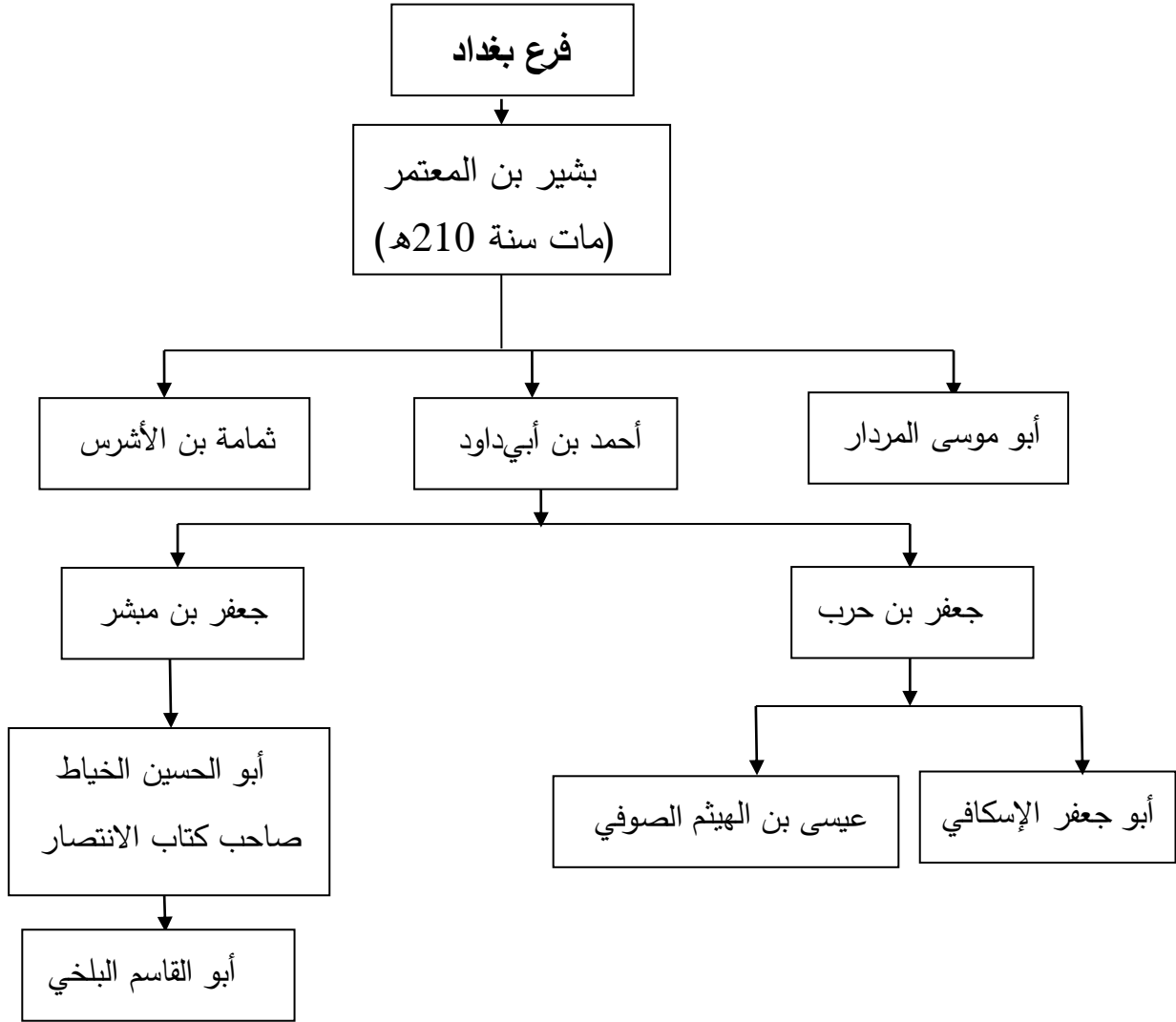
الشكل 4: مخطط لأهم رواد مدرسة المعتزلة - فرع البصرة -

¹ - ينظر: علي بن سعد بن صالح الضويحي، آراء المعتزلة الأصولية -دراسة وتقويم- مكتبة الرشد للنشر والتوزيع،

المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 1995م، ص51، 53.

² - أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، دت، 3/ 96.

أما فرع بغداد فإن رواه ينطلقون من بشر بن المعتمر الذي يعدّ رأس البغداديين كما بينا في المخطط السابق.



الشكل 5: مخطط لأهم رواد مدرسة المعتزلة - فرع بغداد -¹

لما كانت القاعدة الرئيسية التي اعتمد عليها المعتزلة هي العقل؛ به يثبتون وبه ينفون، وبسبب انغماس المعتزلة في الفلسفة اليونانية القائمة على الجدل والخصومة، دب الخلاف بين رجال هذه الفرقة وتشعب آراؤهم، وتفرقوا إلى اثنتين وعشرين فرقة نذكر منها:

¹ - المرجع السابق، ص 151.

• الواصلية: أتباع واصل بن عطاء.

• العمروية: أتباع عمرو بن عبيد.

• الهذلية: أتباع أبي الهذيل العلاف.

• النظامية: أتباع إبراهيم بن سيار النظام.

• الجبائية: أصحاب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي.

ولكل فرقة من هذه الفرقة بدع خاصة بها، وكلهم يجتمعون على الأصول الخمسة في الكلية، لكنهم يختلفون في جزئيات داخل هذه الأصول¹.

د- اعتقاد المعتزلة: لفرقة المعتزلة مجموعة من الاعتقادات يتفقون عليها وهي:

• القول بأن الله قديم و القدم أخص وصف لذاته، ونفوا الصفات القديمة أصلا فقالوا: هو عالم بذاته لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية.

• اتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق في محل. فإن ما وجد في المحل عرض فني في الحال.

• اتفقوا أن الإرادة و السمع و البصر ليست معاني قائمة بذاته، لكن اختلفوا في وجوه وجودها ومحال معانيها.

• نفى رؤية الله بالأبصار في دار القرار ونفى التشبيه عنه من كل وجه، وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها، وسموا هذا النمط (توحيدا).

¹ - ينظر: عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة، أسبابه ومظاهره، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 2000م، ص15، 16.

- اتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة، واتفقوا على أن الله تعالى لا يفعل إلا الصلاح. والخير وسمو هذا النمط (عدلا).
- اتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة و توبة استحق الثواب، والعوض، و إذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار وسموا هذا النمط(وعدا ووعيدا).
- اتفقوا على أن أصول المعرفة، وشكر النعمة واجبة قبل ورود السمع و الحسن والقبح، يجب معرفتها بالعقل.¹

3- 2- مذهب الأشاعرة:

أ- تعريف مذهب الأشاعرة:

«هي فرقة كلامية تؤول الصفات وتقول بالجبر والإرجاء وتنسب إلى أبي الحسن الأشعري(324هـ)*، وكل من يعتدبعقيدة هذه الفرقة و ينتسب إليها يسمى أشعريا سواء كان شافعيا أو مالكيا - وهو الغالب- أو حنفيا أو حنبليا، وأما من كان متأثرابهم أو يقول بشيء من أقوالهم فلا يقال أشعري وإنما قد يقال فيها شعرية².

¹ ينظر: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، الملل و النحل، تحقيق أبي محمد محمد بن فريد، دار التوفيقية للطباعة، الأردن ، ط 3، 2015م، 65/3 ، 66.

² -خالد بن علي المرضي العامري، نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية، دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، الرياض، 2009 م، ص 21.

* أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ينسب لأبي موسى الأشعري، ولد سنة 260 هـ البصرة ثم انتقل إلى بغداد، كان والده سنيا وقد توفي وهو صغير فتزوجت أمه بإمام المعتزلة أبي علي الجبائي (303هـ) فنشأ الأشعري على مذهب المعتزلة قرابة الأربعين سنة توفي سنة(324هـ). أبرز شيوخه: زكريا المساجي محدث البصرة وهو من أهل السنةثم الجبائي المعتزلي والمروزي وأبو إسحاق الشافعي وأبو العباس ابن سريج، ومؤلفاته كثيرة بلغت كما قيل ثلاثمائة، وأهمها: مقالات الإسلاميين. اللمع، الموجز، رسالة إلى أهل الثغر، الإبانة من أصول الديانة وهو آخر ما ألف.

ب- نشأة مذهب الأشاعرة وتطوره:

لقد تتابعت الفرق والبدع والافتراق في هذه الأمة حتى ظهر بن كلاب وبدعته بالقول بالكلام النفسي، مريداً بذلك الجمع بين قول أهل السنة وبين الجهمية والمعتزلة، فابتدع قولاً لم يسبقه أحد إليه، ثم تبعه أبو الحسن الأشعري في مرحلته الثانية.

عرف المذهب الأشعري تطوراً ملحوظاً منذ تأسيسه على يد أبي الحسن الأشعري ويلاحظ أن مذهب المتقدمين منه أقرب إلى مذهب السلف بخلاف المتأخرين، فأقوالهم أميل لأقوال المعتزلة بل لبعض متأخريهم كالرازي ميولاً ظاهرة لآراء الفلاسفة¹، ولقد بين الدكتور مصطفى باحو بالتنبع والاستقراء أن أغلب الأشاعرة خالفوا كثيراً عقيدة أبي الحسن الأشعري في مسائل كثيرة، بل نقلوا عنه مذاهب لا توجد في كتبه الأربعة المطبوعة، وكتب أبي الحسن الأشعري قريبة من أسلوب علماء السلف وأهل الحديث العقدية في عرض العقائد والاحتجاج لها بخلاف كتب أغلب علماء الأشاعرة التي تتسم بالتعقيد البالغ والإيغال المفرط في المفاهيم الفلسفية والمناهج المنطقية، وهي سمة غالبية على كتب جل كبار أئمة الأشاعرة كالجويني والآمدي والرازي ونحوهم.

ولهذا لو أخذت أي كتاب من كتب هؤلاء تجد بعض أبوابه كالطلاسم، وعبرة متقدمي الأشاعرة كالباقلائي في الإنصاف ونحوه عبارة سهلة سلسلة ليس فيها تعقيدات المتكلمين والفلاسفة بالدرجة التي عند أمثال الشهرستاني والآمدي والرازي: وأسلوب السنوسي سلس و سهل و قريب إلى الأذهان وقريب منه أسلوب الإيجي، ومن أشدها وعورة وأصعبها مسلكاً أسلوب الشهرستاني في نهاية الأقدام²؛ أي أن تطور المذهب

¹ - ينظر: مصطفى باحو، عقائد الأشاعرة، تقديم الشيخ: محمد بوخبزة الحسني، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع،

القاهرة، ط1، 2012م، ص11.

² - ينظر: المرجع السابق، ص 12، 13.

الأشعري كان نتيجة ارتباطه بالمفاهيم الفلسفية والمناهج المنطقية التي أثرت في كتب المتأخرين.

ويمكن إجمال معايير التطور في المذهب الأشعري في النقاط التالية:

أ- أهم المعايير التي يحمدها الناس ويذمون هو موافقتهم للكتاب والسنة، ولذا يقسم الأشعرية حسب قبولهم لنصوص الكتاب والسنة، وهي السمة الأولى عند كل مدرسة، فالأشعرية الكلابية لم تكن لديهم قواعد في رد نصوص الكتاب والسنة، والأشعرية المعتزلة ردوا أحاديث الاتحاد، والأشعرية المتفلسفة أعرضوا عن نصوص الكتاب والسنة.

ب- القرب من أهل الكلام والاعتزال.

ج- الدخول في التصوف، والتصاق المذهب الأشعري به.

د- الدخول في الفلسفة، وجعلها جزءاً من المذهب.¹

ج- أقسام الأشاعرة: ينقسم الأشاعرة إلى:

*متكلمين: وهم أهل الكلام والفلسفة والمنطق وهؤلاء الذين أسسوا المصنفات المملوءة بالكلام والفلسفة، وزادوا في إبعاد مذهب أئمتهم عن السنة وتقريبه من الجهمية والمعتزلة، ومن أمثلة هؤلاء البقلاني، والجويني، والآمدي، والرازي، والإيجي، والشهرستاني، والبغدادي، والتفتازاني.

*صوفية قبورية.

¹-ينظر، عبد الله بن دجين السهلي، الأطوار العقدية في المذهب الأشعري، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 2014م، ص14، 15.

* فقهاء ومحدثين وإن كانوا أشاعرة ومن أمثلة هؤلاء: البيهقي والخطابي وابن عساكر وابن العربي والقرطبي والسيوطي... وهؤلاء أقرب لأهل السنة وأقل بدعة ولهم منزلة وفضل.

كما ينقسمون إلى:

* متقدمين: وهؤلاء أقرب للسلف وأبعد في الأخذ بالكلام والتجهم.

* متأخرين: وهؤلاء من كان بعد الرازي، والإيجي، والتفتازاني، وإن كان كل إمام لهم قد أضاف بدعا أكثر ممن سبقه خصوصاً من كان قبل الرازي¹.

د - اعتقاد الأشاعرة:

أجمع الأشاعرة على عدة قضايا أو اعتقادات منها:

- حدوث العالم خلافاً لبعض الغلاة القائلين بقدمه.

- أقرؤا بوجود الله وبوحدانيته وتنزيهه خلافاً لبعض فرق الباطنية الذين قالوا: لا موجود ولا معدوم، وهي ترى خلافاً للقدرية أن الله وحده هو الخالق ولا خالق سواه، وأنه قديم ويوصف بالقدم، على عكس ما ذهب إليه رجال المعتزلة وبعض الفرق الأخرى، فالله قديم وهو يوصف بالعالم والقدرة، وسائر الصفات كما سنرى وهو سبحانه لا شبيه له خلافاً للمشبهة، ولا شبيه له ولا ند له خلافاً لمذاهب الثنوية، وهو لا يحل في شيء، ولا يحل فيه شيء.

- المعاد الجسماني حق، وكذا المجازاة والمحاسبة والصراف والميزان وخلق الجنة والنار وخلود الكفار في النار، ويجوز العفو عن المذنبين.

¹-ينظر: خالد بن علي المرضي الغامدي، المرجع السابق، ص 32.

الشفاعة حق، وبعثة الرسل بالمعجزات حق من آدم إلى محمد¹.

الأصول التي يبنى عليها الأشاعرة مذهبهم:

لقد بنى الأشاعرة مذهبهم على أصليين:

الأصل الأول: وجود التنويه.

الأصل الثاني: المبالغة في نفي التشبيه.

وأهم ركن عندهم هو الثاني؛ أي نفي التشبيه.

خامسا: المذاهب الفقهية النشأة والتطور:

1- تعريف المذاهب الفقهية:

يطلق المذهب عند علماء الفقه على المنهج الفقهي الذي يسلكه فقيه مجتهد اختص به من بين الفقهاء، أدى به إلى اختيار جملة من الأحكام في مجال علم الفروع، فالمجال الذي يعمل فيه المذهب الفقهي هو الأحكام الشرعية الفرعية، فلا عمل للمذهب في الأحكام الأصولية لا أصول الدين ولا أصول الفقه²، يتضح أن المذاهب الفقهية ترتبط بالفقه هذا العلم الذي لا يمكنه أن يستغني عن علم أصول الفقه، فما مفهوم كلا منهما؟ وما العلاقة بينهما ؟

1- 1- تعريف علم أصول الفقه: أصول الفقه لفظ مركب تركيباً إضافياً من

كلمتين إحداها أصول والثانية الفقه ومعناه اصطلاحاً «مجموعة الأبحاث المتعلقة بالأدلة الإجمالية للأحكام الشرعية من حيث اعتبارها مصادر للتشريع، وما نتج عن تلك الأبحاث

¹- ينظر: بدير عون، علم الكلام ومدارسه، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص 270-271.

²- ينظر: عمر سليمان الأشقر، المرجع السابق، ص 44، 45.

من قواعد وضوابط يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية من تلك المصادر»¹، وعرفه الآمدي في الإحكام بقوله: «هي أدلة الفقه وجهات دلالتها على الأحكام الشرعية، وكيفية حال المستدل بها من جهة الجملة لا من جهة التفصيل، بخلاف الخاصة المستعملة في آحاد المسائل الخاصة»²؛ أي أن أصول الفقه يرتبط بأدلة الفقه الإجمالية لا التفصيلية.

1- 2- نشأة علم أصول الفقه وتطوره:

يعد علم أصول الفقه « من العلوم التي أحدثها العلماء بعد عصري الصحابة وتابعيهم، فقد كان الصحابة يجتهدون اعتماداً على سليقتهم اللغوية ومعاصرتهم لنزول التشريع و إدراك مقاصده، ومعاشيتهم لتعاليم النبي صلى الله عليه وسلم ونشره للعلم والتشريع»³ والدليل على إجتهد الصحابة ومعرفتهم القياس، وعلل الأحكام الفصل في عدة قضايا منها:

*قضاء علي رضي الله عنه بجلد الشارب للخمر ثمانين جلدة قياساً على حد القذف المنصوص في القرآن الكريم ويعلل لقياسه هذا بأن الشارب إذا سكر هذى وإذا هذى إفتري، وحد المفتري ثمانين جلدة

¹ - مصطفى سعيد الخن، دراسة تاريخية للفقه و أصوله والاتجاهات التي ظهرت فيها، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ط1، 1984 م، ص146.

² - علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، علق عليه الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط 2003، م1، 21/1.

³ - الشيخ وليد سروجي، أصول الفقه - مصادر الأدلة وفقه الدلالات - دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص7.

*حكم أبي بكر بقتال مانعي الزكاة، وقال في ذلك ردًا على من خالفه في حكمه هذا: « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة في الحكم بقتال الجاحد والمنكر باعتبار كل منهما أصلاً من أصول الدين¹ ».

وكل ما تقدم يدخل ضمن المرحلة الأولى لنشأة علم أصول الفقه، أما عن المراحل السابقة فقد تطور فيها هذا العلم، ففي المرحلة الثانية التي تضم عهد التابعين فقد توسع الفقهاء في الحديث عن المبادئ الأصولية التي يسندون إليها، وتحددت مناهجهم وعرف بعضهم بالتمسك بالآثار، كما عرف بعضهم الآخر بالرأي، كما أصبح لأهل المدينة منهجهم الذي يؤلف بينهم ويجمعهم، كما اتخذ أهل الكوفة مذهباً يميزهم ويدل عليهم، ويكشف عن التمييز بين هذين المنهجين "كتاب الحجج المبينة في الرد على أهل المدينة" الذي عبر فيه مؤلفه محمد بن الحسن الشيباني عن مذهب الكوفيين واستدل لهذا المذهب استدلالاً أصولياً يلتزم فيه خطة محكمة.²

أما المرحلة الثالثة: فأهم ما يميزها تدوين علم أصول الفقه، ويعود الفضل لوضع لبنات علم أصول الفقه إلى الشافعي * (150هـ - 204هـ) الذي ناقش في كتابه الرسالة بيان القرآن والسنة وعلاقتهما بالاجتهاد والقياس والعلة، ويتمثل فضله في أمرين:

أ- تدوين مسائل علم أصول الفقه.

ب- ترتيب هذه المسائل في إطار نظري محكم لا تتعارض أجزاؤه، ولا يتناقض في تفصيلاته.

¹ - ينظر: محمد سراج، أصول الفقه الإسلامي، دار الجامعة الجديدة للنشر، دط، 1998م، ص 17، 18.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 19.

ثم تتابع العلماء في الاهتمام بمسائل هذا العلم مستفيدين من التقدم العلمي في مجالات اللغة والمنطق وعلم الكلام والفقه وأثر هذا الاهتمام ظهور عدد من المؤلفات الأصولية التي تختلف إختلافًا بعيد المدى، وأشهر المؤلفات التي ظهرت في القرن الخامس الهجري أربعة هي:

- العمد للقاضي عبد الجبار الشافعي المعتزلي المتوفي سنة 41هـ

- المعتمد في شرح العمدة للقاضي أبي الحسين البصري الشافعي المعتزلي المتوفي سنة 474هـ.

- المستصفى للإمام الغزالي الشافعي الأشعري المتوفي سنة 505هـ.¹

1- 4- الفرق بين الفقه و أصوله:

إن الأصول هي المناهج التي تحدد و تبين الطريق الذي يلتزمه الفقيه في استخراج الأحكام من أدلتها، ويرتب الأدلة من حيث قوتها؛ فيقدم القرآن على السنة، والسنة على القياس، وسائر الأدلة التي لا تقوم على النصوص مباشرة، أما الفقه فهو استخراج الأحكام مع التقيد بهذه المناهج؛ وإن مثل علم أصول الفقه بالنسبة للفقه كمثل علم المنطق بالنسبة لساير العلوم الفلسفية، فهو ميزان يضبط العقل، فهو ميزان بالنسبة للفقيه يمنع من الخطأ في الاستنباط، كما يتبين به الاستنباط الصحيح من الاستنباط الباطل، كما يعرف بالنحو الكلام الصحيح من الكلام غير الصحيح، وكما يعرف بالمنطق البرهان العلمي المنتج من البرهان العلمي غير المنتج²، فإذا لم يتمكن الفقيه من الأصول فإنه سيقع في عدة أخطاء؛ فهو بمثابة القانون الذي يعصم الفقيه من الخطأ ويحميه من الزلل

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 20، 21.

² - ينظر محمد أبو زهرة، أصول الفقه، دار الفكر العربي للنشر و التوزيع، (دط)، (دت)، ص 7، 8.

ونظراً « لهذا التلاحم بين العلمين نجد أن الفقهاء أنفسهم كانوا أصوليين في الكثير من الأحيان، وكان على رأسهم الإمام الشافعي، ونادراً ما نجد أصولياً ليس بفقيه، وأكثر ما يكون هؤلاء أي الأصوليين غير الفقهاء من المتكلمين»¹، حيث ربط محمد الحباس الأصوليين غير الفقهاء بالمتكلمين لوجود علاقة بين علم أصول الفقه وعلم الكلام، وسوف يأتي بيان ذلك في الصفحات القادمة.

2- نشأة المذاهب الفقهية وتطورها: تنقسم المذاهب الفقهية إلى قسمين:

- 2-1- مذاهب فقهية منتشرة ومعروفة: وهي التي قيض الله تعالى لها علماء كبار، وتلامذة أفذاذ خدموها ونشروها؛ فانتشرت في الأمصار، فنالت اعتراف الدولة العباسية كمذهب رسمي، وهي المذاهب الفقهية السنية الأربعة:
 - أ- مذهب أبي حنيفة الحنفي (80-150هـ).
 - ب- مذهب مالك بن أنس (المالكي) (93-179هـ).
 - ج- مذهب الشافعي (150-204هـ).
 - د- مذهب أحمد بن حنبل (الحنبلي) (164-241هـ).

2-2- مذاهب فقهية مندثرة: لم يتوفر لها من يخدمها، وينشط في نشرها، فسار أناس عليها مدة ثم قلَّ أتباعها تدريجياً، حتى غلبت عليها المذاهب الأخرى، فاضمحلت وانقرضت، وأهمها:

- أ- مذهب الإمام الأوزاعي (88-157هـ) يضم أصحاب الحديث الكارهين للقياس انتشر العمل بمذهبه بين أهل الشام.

¹ - محمد الحباس، النحو العربي بين التأثير والتأثر - العلوم الشرعية نموذجاً - عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2001م، ص31.

- ب- مذهب الليث بن سعد (92-175هـ) انتشر مذهبه في مصر، وقال الشافعي: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به.
- ج- مذهب أبي ثور مفتي العراق (170-240هـ) قال الخطيب كان أبو ثور يتفقه أولاً بالرأي.
- د- مذهب داوود بن علي الأصبهاني المعروف بـداوود الظاهري (202هـ، 324هـ) أساس مذهبه العمل بظاهر الكتاب ورفض القياس والاستحسان¹.

2-3- المذهب الظاهري:

ظهر المذهب الظاهري كمذهب فقهي على يد أبي سليمان الفقيه داوود بن علي الأصبهاني*، و يذهب الدكتور طه الحاجزي إلى أن ظهور المذهب الظاهري كان رد فعل على الإسراف في القياس الذي وصلت إليه المذاهب الفقهية الأربعة²، بدءاً بـداوود بن علي، و مروراً بابن حزم، فقد كان لهم منهج آخر في التعامل مع النص بنيت دعائمه على الإيمان بأن النص كان لمواجهة الوقائع مهما تعددت و كثرت، و لتبلغ الوقائع ما تشاء فإن النص قادر على شمولها بأحكامه؛ فالقرآن المجيد نص مطلق ووقائع الحياة وتوازنها أمور نسبية، فسلوك الظاهرية مسلك التجريد أي تجريد النص و تحويله إلى قاعدة كلية يمكن أن تشمل على ما لا يتناهى من الواقع، فالمجتهد في نظر الظاهرية يمكن أن يصل إلى الحكم على كل مخامد العقل بالتحريم من النص القرآني دون حاجة إلى القياس³، ولقد بلغت أوجها بالمغرب على يد ابن حزم المفكر الأندلسي الشهير المتوفي عام 456هـ، وهي تمثل مع الحنابلة النزعة النصية، أو هم متكلمة أهل الحديث، بينما

¹-ينظر: سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، المنشأة، التاريخ، العقيدة، التوزيع الجغرافي، ص 144.

²- طه الحجازي، ابن حزم صورة أندلسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، (دت)، ص120.

³- أنور خالد الزعبي، ظاهرية ابن حزم الأندلسي النظرية المعرفة ومناهج البحث، المعهد العالي للفكر الإسلامي، دار البشير للنشر و التوزيع، عمان، (دط)، 1996م، ص54.

يعتبر الأشاعرة والماتريدية متكلمة أهل الرأي بين المنتمين إلى السنة، والجميع يطلق أحيانا عليهم لقب "أهل السنة" في مواجهة المعتزلة، والخوارج، والشيعة.¹

مصادر الاستنباط داخل المدرسة الظاهرية: هي:

➤ الكتاب.

➤ السنة.

➤ الإجماع.

➤ الدليل.

إذ يعتبر المصدر الاستنباطي الأخير الدليل مصدرا مستقلا بذاته عن بقية المصادر الأخرى من حيث اسمه وعنوانه و أقسامه وخصائصه و فروعه، وقصدوا به مسماه الذي هو منهج خاص في الاستنباط، و مسلك متميز في التعامل مع النصوص و الألفاظ، واستثمار معانيها و أحكامه ومدلولاتها، فقد عرفت الظاهرية بهذا المصدر كما عرفت المالكية بالاعتداد بالمصالح المرسلة وسد الذرائع، كما عرف الشافعية بالقول بالقياس، وكما عرف الحنفية بالأخذ بالاستحسان علما أن هذه المصادر الاستنباطية لم تكن في بداياتها سوى خواطر عامة و معطيات مطلقة إلى أن تحولت لتصبح مسالك معتبرة في التشريع ومناهج قيمة في الاستنباط في فروعها و سماتها ومستنداتها.²

إن التمييز بين منهاجين متقاربين في أصل الفكرة صعب عسير بخلاف التمييز بين المناهج المتباينة؛ لأنه إذا بعدت المسافة بين المنهاجين كانا مميزين بمقتضى ذلك الاختلاف البعيد، أما إذا تقاربا حتى اتحدا في الاسم فإن التمييز حينئذ يقتضي استقصاء

¹ - ينظر: المدخل إلى دراسة علم الكلام، ص74.

² - نور الدين الخادمي، الدليل عند الظاهرية، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2000م، ص10-

وتحرياً دقيقاً ووزن كل فكرة بميزان حساس؛ ليعرف الفرق من هذا الالتباس وتقارب بالمقياس.¹

المبحث الثاني: المذاهب الفكرية بين الموضوعات والمنهج:

تتفق المذاهب الفكرية في الموضوعات، وتختلف في المنهج وسيكون التركيز على المذاهب الكلامية والمذاهب الفقهية فما موضوعات كل مذهب؟ وما منهجه؟

أولاً: موضوعات المذاهب الكلامية:

جليل الكلام	دقيق الكلام
وهو ما يرجع إلى كتاب الله كالكلام في الذات والصفات والسمعيات عامة.	كالكلام في الطبيعيات والأنطولوجيا والمعرفة وغير ذلك من موضوعات يرجع فيها إلى العقل وكان العقل أداة البحث. ²

إن المتأمل في كتب علم الكلام يجد أن مباحثه هي نفسها الموضوعات التي بحثتها المذاهب الكلامية، ونجد أنها مستمدة من الكتاب والسنة «فما من مسألة من المسائل الكلامية إلا ونجد لها أصلاً في السنة كما وجدنا لها أصلاً في القرآن»³، وقد أشار أبو حيان التوحيدي إلى مدار البحث في علم الكلام؛ حيث كان في عصره حول الذات والصفات أي التوحيد، وكذلك موضوع العدل.

ويؤكد الجرجاني في التعريفات على نفس هذه الموضوعات فيقول: «علم الكلام يبحث فيه عن ذات الله وصفاته، و أحوال الممكنات، ومن المبدأ و الميعاد على قانون

¹ - ابن حزم حياته وعصره، آراؤه وفقهه، ص 13.

² - ينظر: أبو حيان التوحيدي، ثمرات العلوم، تح: أنور محمود زناتي، محمد غالب علي بركات، دار سحر للنشر، تونس، ط1، 2010م، ص192.

³ - محمد صالح محمد السيد، مدخل إلى علم الكلام، ص 40.

الإسلام؛ أي وفق الأصول الإسلامية وليس وفق العقل المحض، ومن هنا يدخل في علم الكلام البحث في السمعيات من الميعاد والثواب والعقاب وما يتعلق به من البحث في الجنة والنار والصراط و الميزان، والبحث في هذه الموضوعات يكون وفق القواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة عن الأدلة¹، حيث أخرج الجرجاني العقليات من مباحث علم الكلام، إلا أننا نجد من المحدثين من أدخلها في علم الكلام، فرجاء أحمد علي في كتابها (علم الكلام) صنفت موضوعات أو مباحث علم الكلام إلى صنفين هما:²

يستطيع العقل أن يبرهن عليها، وهي أشياء يقينية وهي: أ- الذات والصفات. ب- العدل الإلهي. ج- الحرية الإنسانية. د- خلق الأفعال.	1- العقليات
لا يستطيع العقل البرهنة عليها وتتمثل في: أ- النبوة. ب- الإيمان. ج- العمل. د- الميعاد. هـ- الإمامة.	2- السمعيات

¹ - الجرجاني، التعريفات، المطبعة الخيرية، القاهرة، ط1، 1306هـ، ص80.

² - ينظر: رجاء أحمد علي، علم الكلام، ص89-90.

ولقد ذكر فيصل بدير عون أن علم الكلام تميز بموضوعات وهي البحث في أصول الدين، وكلها في نظره مسائل أصولية أوجزها فيما يلي:

- الإيمان بوجود الله.

- الإيمان بأن العالم حادث وليس قديماً.

- الإيمان بوجود كائنات روحية.

- الإيمان بالوحي الإلهي.

- الإيمان بالرسول.

- الإيمان بالبعث.

- الإيمان بالقدر.¹

ورأيه يتفق مع رأي أبي حيان التوحيدي و هي تمثل جليل الكلام؛ إذ لابد من الرجوع إلى كتاب الله فيها.

ثانياً: منهج المذاهب الكلامية:

يختلف منهج البحث في علم الكلام باختلاف وجهات نظر علمائه ومدارسه التي تعرف بالفرق الكلامية، ويتلخص هذا في أن للمذاهب الإسلامية الكلامية خمسة مناهج معتمدة في البحث والدراسة، وهي ممثلة في الجدول التالي:²

¹ - ينظر: فيصل بدير عون، علم الكلام ومدارسه، ص56.

² - ينظر: عبد الهادي الفضيلي، خلاصة علم الكلام، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط2، 1993م، ص29، 28.

أسسه	المنهج
ويتمثل في الاعتماد على: أ- إجماع الأمة. ب- إجماع الصحابة. ج- سيرة الصحابة. د- إجماع السلف، وهم مسلمو القرن الأول الهجري. هـ- الخبر المتواتر.	المنهج النقلی
ويتمثل في الاعتماد على: أ- الضرورة العقلية (بداهة العقول). ب- سيرة العقلاء. ج- البديهيات العقلية (المنطقية) وهي استحالة الدور، استحالة التسلسل، استحالة اجتماع وارتفاع النقيضين. د- المبادئ الفلسفية المسلم بها مثل: مبدأ العلية، مبدأ القسمة إلى الواجب والممكن و الممتنع، وهو منهج المعتزلة ومن تأثر بهم.	المنهج العقلي
ويتمثل في الاعتماد على: أ- الجمع بين العقل والنقل؛ لأنه لا تعارض بينهما ب- آيات القرآن يفسر بعضها بعضاً، ويقرن بعضها بعض ج- جواز التأويل عند وجود ما يقتضيه وهو منهج الإمامية والأشاعرة ومن سار في هديهما.	المنهج التكاملي

المنهج الوجداني	ويتمثل في اعتماده على سلوك الطرق المؤدية إلى تصفية الباطن، واستكمال الظاهر بغية الفناء في الوصول إلى مرحلة الحب الإلهي، وهو منهج الصوفية.
المنهج العرفاني	وهو منهج تكاملي أيضًا يتمثل في الاعتماد على الجمع بين العقل والنقل والوجدان، فيأخذ من كل بطرف في حدود ما يتوصل به إلى مستوى المعرفة المطلوبة، وهو منهج الإسماعيلية.*

إن كل هذه المناهج تعتمد عدة استراتيجيات أو طرق قد تتفق وقد تختلف « فالمتكلم لا يبدع ليمتع، وإنما ينظر ليلزم أو على الأقل ليُقنع ويشهد على هذا الأمر النظر إلى أي مصنف من مصنفات علم الكلام.... إذ لا يعقل أن يعتمد المتكلم إلى إلزام غيره أو إقناعه بأمر لم يتقدم له تبينه، والاستدلال له، و للتبيين والاستدلال الكلاميين وجوه متعددة ومتميزة منها: الاستقراء، والتمثيل، والاستدلال بالشاهد على الغائب وقياس الأولى، وقياس الأدنى، وقياس المساواة، والقياس التحليلي، والقياس الشرطي المتصل، والقياس الشرطي المنفصل بأنواعه المختلفة، والرد على المحال والبرهان بالخلف، وبالرغم من تعدد هذه الوجوه وتمييزها فإن لها (نواة مشتركة) تشكل أساسًا إنها نواة وجه الاستدلال بالنص، النص القرآني أساسًا فلا كلام بغياب هذا الوجه سواء كان الكلام كلام أهل المنقول أم كان كلام أهل المعقول».¹

*الإسماعيلية: انتسبت إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وتوافق هذه الطائفة الإثنا عشرية في سياق الإمامة من أولها إلى أن تصل إلى الإمام جعفر الصادق، ثم تنفرج عنها بعد ذلك، وهي تقول أن الإمام بعد الصادق هو ابنه إسماعيل وتسمى هذه الفرقة الباطنة، وقد تشعبت منها فرق مختلفة وبعضها خرج بأرائه عن الإسلام كالحاكمية الذين يعتقدون حلول الإله في الإمام أينظر: أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 267، 268.

¹ - حمّو النّقاري، المنطق في الثقافة الإسلامية، دار الكتاب الجديد، المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013م، ص53.

وسنفصل الحديث فيما يلي عن منهج المعتزلة والأشاعرة.

1- منهج المعتزلة:

سلك المعتزلة للوصول إلى المعرفة المنهج العقلي، وقد اشتمل هذا المنهج على خطوتين أساسيتين:

الأولى: قصدوا بها تطهير الفكر و ضرورة تجرده عن الإلف و العادة وعن مختلف الأهواء بالنسبة لكل من أراد أن يصدر أحكاما يتوخى فيها الصواب والإخلاص للحق، وفي هذا هدم لنظرية التقليد.

الثانية: تحكيم العقل تحكيما مطلقا، فقد آمن المعتزلة بالعقل، ورفعوا شأنه، ونوهوا به أيما تنويه، و قالوا خلق العقل ليعرفوه و قادر على أن يعرف كل شيء المنظور وغير المنظور¹، فالمعتزلة في هذا « لم تأخذ مأخذ السلف، ولم يرضى أتباعهم أن يأخذوا بظاهر الكتاب و السنة و أن يستسلموا لمنطوقهما، بل جعلوا للعقل سلطانا مع سلطان الشريعة بل لقد جعلوا في بعض الأحيان العقل قيما على الشريعة، ومع ذلك نقول إنهم لم يذكروا النقل و لكنهم لا يترددون في أن يخضعوه لحكم العقل ويقولون (أن الفكر قبل السمع) فيؤولون المتشابه من الآيات القرآنية وبهذا أخرج بعض المعتزلة عن إجماع الأمة الإسلامية ولم يضرهم أن يعارض التلميذ أستاذه، و لا الابن أباه ومع اتفاقهم على الأصول الخمسة يتعارضون في تفاصيلها و كما قيل عن المعتزلة أنهم أصبحوا فرقا داخل فرقة²، ورغم ما قام به المعتزلة من جهد كبير في مجال الحياة العقلية منذ القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجريين، فقد أفل نجمهم، وتواروا عن مسرح الفكر

¹ - ينظر: علي بن حسين بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، العقلانيون أفرار المعتزلة العصريون، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، (دط)، (دت)، ص 52، 53.

² - رجاء أحمد علي، علم الكلام، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، الأردن، ط1، 2012م، ص، 32

والسبب الرئيسي لذلك يكمن في أن كل فكر لا يستضيء بمنهج الكتاب والسنة و طريقة السلف الصالح مصيره الضمور والاضمحلال، مهما سطع نجمه ولمع بريقه، فلم يكن استقاؤه لمنهجه عذبا صافيا من كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، بل كان مبنيا على العقل المجرد ومشوبا بالفلسفة اليونانية والآراء المختلفة، فالاستضاءة بمنهج الكتاب والسنة تنير العقل؛ بحيث لا يضل لا يزل؛ ولأن سلوك ما سلكه السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم أمان من الضلال والانحراف، لأنهم قد استقوا مذهبهم من ينباع العذبة¹؛ لذلك نقد منهجهم حيث ابتعد عن المنهج الإسلامي الصحيح حتى وصل الأمر ببعض النقاد إلى إخراج المعتزلة من جملة الفرق الإسلامية، وتصوير الخلاف معهم على أنه خلاف حقيقي في مسائل الاعتقاد التي يكفر بها المخالف، ولقد مس النقد القضايا التالية:

- المغالاة في الاعتماد على العقل.

- التأثر بالفلسفة والمنطق اليوناني.

- منهج نظري لا عملي².

2- منهج الأشاعرة:

إن السمة الرشيدة التي يتسم بها مذهب الأشاعرة إخضاعهم العقل للدين، صحيح أنهم فهموا الدين بالعقل، ودافعوا عنه بالعقل إلى جانب دفاعهم عنه بالنقل، إلا أنهم في المسائل التي وجدوا أن العقل يتعارض فيها مع النقل ضحوا بالعقل جانبا أو على الأقل أخضعوه لحكم النقل، ولهذا فإنهم لم يضعوا أصولا للعقيدة الإسلامية، بل وضعوا منهجا؛

¹ - ينظر: علي بن سعد بن صالح الضويحي، المرجع السابق، ص 56.

² - المرجع نفسه، ص 42.

لأنهم رأوا أن الكتاب والسنة صريحان وما على العقل البشري إلا أن يضع القواعد المنهجية التي يصل من خلالها إلى هذه الأصول، والتي من خلالها يستطيع فهم هذه الأصول والدفاع عنها¹.

ثالثاً: مناهج المذاهب الفقهية:

1- مناهج الأصوليين في التأليف:

تتنوع وتختلف مناهج علماء الأصول؛ إذ يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع هي:

1- 1- منهج المتكلمين: وفي هذا المنهج يتبع المتكلمون في تحقيق المسائل وتمحيص الخلافات نهجاً منطقياً نظرياً مجرداً، وهذا المنهج لا يتأثر بمذهب من المذاهب ولا يتعصب له ويسمى هذا المنهج "بمنهج الشافعي" * وتارة أخرى "بمنهج المتكلمين"

و تمتاز طريقة المتكلمين بـ:

أ- الجنوح إلى الاستدلال العقلي

ب- عدم التعصب للمذاهب

ج- الإقلال من ذكر الفروع الفقهية، وإن ذكرت كان ذلك عرضاً على سبيل التمثيل فقط.

و أهم مؤلفات هذا المنهج:

* الرسالة للإمام الشافعي (204) هـ.

* المستصفى من علم الأصول للإمام أبي حامد الغزالي 415 هـ.

¹ - ينظر: بدير عون، علم الكلام ومدارسه، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص 271.

* لأن الإمام الشافعي رحمه الله هو المؤسس لهذا المنهج وقد قعد قواعده وأسس أصوله.

* البرهان في أصول الفقه لإمام الحرمين أبو العالي عبد الملك الجويني 478هـ.¹

1- 2- منهج الأحناف:

يأخذ أصحاب هذا المنهج القواعد الأصولية ويقسمون لها الفروع الفقهية في مذهبهم، وينسب هذا المنهج إلى الأحناف؛ لكونهم أصحابه الذين قاموا بأمره، ونشروه في كتبهم وفتاويهم ودافعوا عنه، ويمتاز هذا المسلك بالطابع العملي، فهو دراسة عملية تطبيقية للفروع الفقهية المنقولة عن أئمة المذاهب، واستخراج القوانين، والقواعد، والضوابط الأصولية التي لاحظها و اعتبرها أولئك الأئمة في استنباطهم.

أما أهم مؤلفات هذا المنهج فهي:

- أصول الجصاص لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص 370هـ.

- أصول السرخسي لأبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي 483هـ

- المنار لعبد الله بن أحمد النسفي 710هـ.²

1- 3- منهج المتأخرين:

بدأ ظهور هذا المنهج في أوائل القرن السابع الهجري، وكان صاحب السبق في هذا المجال مظفر الدين أحمد بن علي الشهير بابن الساعاتي الحنفي وذلك في كتابه "بديع النظام" الجامع بين أصول البزدوي و الأحكام.

¹ - ينظر: خالد رمضان حسن، معجم أصول الفقه، دار الروضة للنشر و التوزيع، (دط)، (دت)، ص8.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص9، 10.

ونهج أصحاب هذا المنهج الأحناف، فاهتموا بتقرير القواعد الأصولية على علم الفروع الفقهية، وبهذا المنهج يقترب التطبيق العملي بالمنهج النظري المجرد و أهم المؤلفات في هذا المنهج:

- جمع الجوامع لأبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبي 771هـ.
- مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول لأبي عبد الله محمد بن أحمد المالكي التلمساني 771هـ.
- التحديد في أصول الفقه: لكمال الدين محمد عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي الإسكندري الشهير بابن الهمام 861هـ.¹

ثالثاً: موضوعات أصول الفقه: مباحث أصول الفقه ثلاثة هي:²

الأدلة الشرعية إجمالاً وهي قسمان	الأحكام الشرعية الكلية والبحث فيها من حيث	طرق استفادة الأحكام الشرعية من الأدلة الشرعية
الأولى: الأدلة المتفق عليها: القرآن، السنة، الإجماع، القياس. الثانية: الأدلة المختلف عليها: الاستحسان، العرف، مذهب الصحابي، شرع من قبلنا،	- الحكم: الذي حكم هذه الأحكام وهو الله سبحانه وتعالى. - المحكوم عليه: المكلف الذي تقع عليه الأحكام. - المحكوم فيه: فعل المكلف الذي تعالجه الأحكام.	- الاجتهاد: وبه تستفاد الأحكام الشرعية من الأدلة الشرعية. - التقليد: وبه تستفاد الأحكام الشرعية من المجتهد. و المجتهد هو الذي يتوصل

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 11، 12.

² - عماد علي جمعة، أصول لفقه الميسر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008م، ص9.

إلى استمداد الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية. و المقلد هو الذي يستفيد الأحكام من المجتهد.	- الأحكام الشرعية: وهي قسمان: - الأحكام التكليفية: واجب، مندوب، مباح، مكروه، حرام. - الأحكام الوضعية: سبب، شرط، مانع، رخصة، عزيمة، صحة، بطلان، قضاء، أداء، إعادة	الاستصحاب. وزاد بعضهم: إجماع أهل المدينة، إجماع العشرة، إجماع الخلفاء الأربعة، قياس العكس، سد الذرائع للواجبات، فتح الذرائع للواجبات، الأخذ بأخف الضررين، فقد الشرط، وجود المانع وغيرها.
--	---	--

المبحث الثالث: المذاهب الفكرية صلات وفوارق:

بعد التطرق إلى نشأة المذاهب الفكرية و أهم موضوعاتها ومناهجها تبين أن هناك اتفاقا بينها في جوانب، واختلافا في جوانب أخرى، كما أن لها صلات مع روافد أجنبية أخرى (الفلسفة والمنطق)، خاصة في القرون المتأخرة، ففيم تتجلى هذه الفروقات ؟ وما الصلات التي تربط هذه المذاهب؟

أولا: تحديد الفرق بين المصطلحات:

1- بين المعرفة والعلم:

هناك عدة فروقات بين العلم والمعرفة حيث يرى البعض أن المعرفة تستعمل في التصورات، والعلم يستعمل في التصديقات، وبذلك تقول " عرفت التي " ولا تقول " علمته؛ لأن من شرط العلم أن يكون محيطا بأحوال المعلوم إحاطة تامة، ومن أجل ذلك وصف الله تعالى نفسه بالعلم لا بالمعرفة.¹

¹ - إدريس مقبول، سيبويه معتزليا حفرات في ميتافيزيقا النحو العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2015م، ص 192، وينظر: الرازي (فخر الدين محمد بن عمر الخطيب)، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين مت العلماء والحكماء والمتكلمين، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (دط)، (دت)، ص 134، 136.

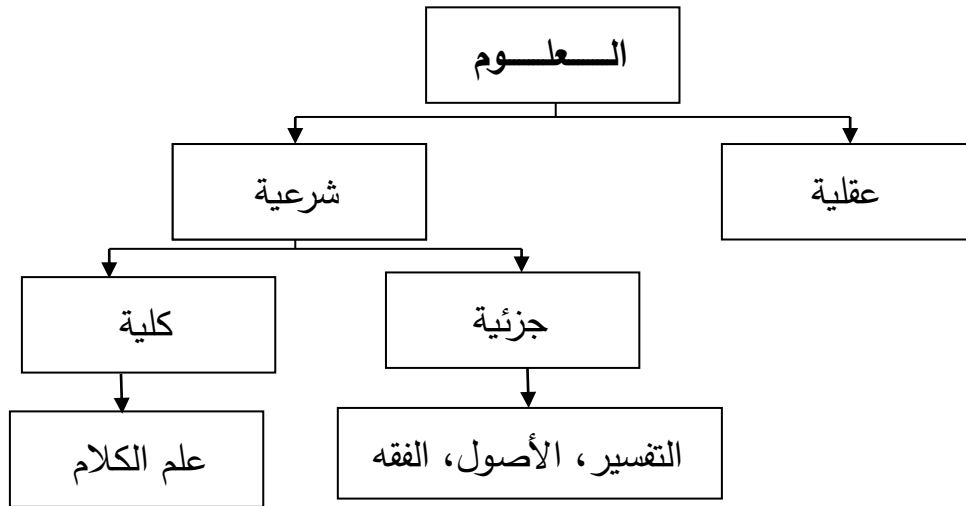
المعرفة	العلم
- يسبقها جهل أو غفلة أو نسيان.	- لا يسبقه جهل.
- إدراك جزئي بالآثار.	- إدراك محيط بالذات.
- إدراك للبسيط	- إدراك للمركب
- يقابلها الإنكار	- يقابله (الجهل).
- مجالها التصورات	- مجاله التصديقات.
- يتعدى فعلها إلى مفعول واحد.	- يتعدى فعله إلى مفعولين.

كما نشير إلى أن هناك فرقا بين أهل العلم وأهل النظر، فمن هو من أهل العلم يعرض للموضوع فيحصله ويلم بمادته ويصفه، وقد يدخل تغييرا على تنظيمه وتبويبه وتأليفه، ولكنه لا يتجاوز هذه الآفاق إلى درجة استنباطه والغوص فيه.. أما من هو من أهل النظر فيعرض للموضوع باحثا فيه ومنقبا عن أجزائه بل عن جزئياته ويحلل ذلك كله¹، ونشير إلا أن هناك عدة أقسام للعلم، حيث قسم الغزالي في كتابه (مستصفى العلوم) إلى قسمين علوم عقلية وعلوم شرعية، والعلوم الشرعية بدورها تنقسم إلى جزئية وكلية والمخطط التالي يوضح ذلك:²

¹ - ينظر: حسن عون، تطور الدرس النحوي، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية الأدبية واللغوية،

تونس، ط1، 1970م، ص 67.

² - إدريس مقبول، المرجع نفسه، ص 45.



الشكل 6: أنواع العلوم

وفيما يلي بيان أقسام العلوم الشرعية بشيء من التفصيل؛ لكونها تتضمن المذاهب الفكرية المتعلقة بالبحث. تسمى العلوم الشرعية أيضا العلوم الدينية، وهي العلوم المدونة التي تذكر فيها الأحكام الشرعية العملية أو الاعتقادية وما يتعلق بها تعلقا معتادا به، وتنقسم إلى علوم هي:¹

علم الكلام	يسمى أصول الدين
علم التفسير	علم يعرف به نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها
علم القراءة	علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم وموضوعه القرآن من حيث كيف يقرأ؟
علم الإسناد	يسمى بأصول الحديث وهو علم بأصول تعرف بها أحوال حديث الرسول (ص)
علم الحديث	ويسمى بعلم الرواية، علم تعرف به أقوال وأفعال الرسول (ص)

¹-ينظر: تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، جمع الجوامع في أصول الفقه، علق عليه ووضع حواشيه، عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003م، ص 3-8.

علم أصول الفقه	ويسمى هو وعلم الفقه بعلم الدراية، وهو العلم بالقواعد، التي يتوصل بها الفقه على وجه التحقيق.
علم الفقه	معرفة النفس مالها، وما عليها.
علم الفرائض	علم يبحث فيه عن كيفية قسمة تركة الميت بين الورثة.

ثانياً: صلة المذاهب الفكرية بالروافد الأجنبية:

للمذاهب الفكرية صلة برافدين أساسيين هما الفلسفة والمنطق، وقبل بيان هذه الصلة وجب تعريف كل منهما

1- تعريف الفلسفة وموضوعاتها:

1-1 - تعريف الفلسفة: ترتبط الفلسفة بحياة وفكر مجتمع معين، لذلك سوف نتطرق إلى الفلسفة الإسلامية برغم عدم اعتراف البعض بوجودها، وإلى الفلسفة اليونانية التي اعتبرها البعض أصل الفلسفات، ولكن قبل ذلك وجب تعريف الفلسفة، فقد ذكر ضياء حبيب توفيق أن: «تعريف الفلسفة، وتحديد ملامحها أمر صعب وعسير جدًا وذلك من خلال إعطائها تعريفاً موجزاً ودقيقاً لشمولية موضوعاتها وتباين اتجاهات المدارس الفلسفية إزاءها ولهذا السبب نجد للفلسفة تعريفات عديدة ومتباينة في وقت واحد»¹.

وسنقدم تعريفين لأبرز فلاسفة المسلمين الذين كان لهم تأثير كبير بمن جاء بعدهم وهما: الفارابي وابن سينا، وذلك «راجع إلى نضجها الفلسفي وتمكنها العلمي و استقلالها الفكري بالإضافة إلى سبقهما في المجال الفلسفي»²؛ حيث يقول الفارابي: « وهذا العلم هو أقدم العلوم وأكملها رئاسة وسائر العلوم الأخرى الرئيسية هي تحت رئاسة هذا

¹ - ضياء حبيب توفيق، مصادر المعرفة في الفلسفة الإسلامية المعاصرة، دار دجلة، عمان، ط1، 2010م، ص24.

² - عمر محمد التومي الشيباني، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، الدار العربية للكتاب، ط3، 1982م، ص79.

العلم...ويسمون بها علم العلوم وأم العلوم وحكمة الحكم وصناعة الصناعات....وذلك أن الحكمة قد تغال على الحذق جدًا أو بإفراطٍ في أي صناعة كانت حتى يرد من أفعال تلك الصناعة ما يعجز أكثر من يتعاطاها».¹

1- 2- نشأة الفلسفة الإسلامية:

أ- بيئة المترجمين: الذين غدوا العالم الإسلامي بثمار الفكر القديم شرقياً أو غربياً، ونشير إلى أن حركة الترجمة الحقة لم تبدأ إلا في القرن الثاني للهجرة، ولم تنشط إلا على أيدي العباسيين، وبخاصة كبار خلفائهم الثلاثة؛ الأول: المنصور (158-175هـ) والرشيد 193هـ- 809 والمأمون (218-833) وعمرّت نحو ثلاثة قرون، وقد أعدّ لحفظ دار خاصة هي بيت الحكمة.²

ب- بيئة الفرق الكلامية: وبخاصة جماعة المعتزلة؛ حيث بدأت الفرق الكلامية منذ أخريات القرن الأول للهجرة تثير بعض المشاكل الفلسفية كمشكلة الجبر والاختيار، وتفرعت عنها في القرن الثاني مشاكل أخرى، وبخاصة على أيدي المعتزلة الذين فلسفوا العقيدة الإسلامية، وعرضوا بسببها لمشكلة العالم والإنسان، فغرقوا بين الوجود والعدم، بين الجوهر .

والعرض، بين الذات والصفة، بين الجسم والنفس، بين الخير والشر، وفي وسطهم نشأت المدرسة الفلسفية الإسلامية في القرن الثالث للهجرة.³

¹- أبو نصر الفارابي، تحصيل السعادة، قدّم له وجوبه وشرحه، علي أبو ملح، دار مكتبة الهلال، للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ص، ط1، 1995 م 86، 87.

²- ينظر: إبراهيم مذكور في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، دار المعارف، (دط)، 2003م، 77/2.

³- ينظر: المرجع السابق، ص78.

1- 3- موضوعات الفلسفة:

إن جلّ العلماء المؤرخين للفلسفة قد جعلوا لها ثلاثة مباحث رئيسية هي الوجود، والمعرفة والقيم وسوف نبين موضوعات كل مبحث من هذه المباحث.¹

أ- مبحث الوجود (الأنطولوجيا)	ب- مبحث المعرفة (الإبستمولوجيا)	ج- مبحث القيم (الأكسيولوجيا)
يعنى هذا المبحث بدراسة طبيعة الحقيقة، ويتعلق ذلك بالبحث في الوجود، والكون، والحياة، و الإنسان وما يراد من الوجود هو البحث في مشكلات الوجود اللامادي، وعمله الأولى، وغاياته القصوى، ونحو ذلك من موضوعات مجردة مفارقة للمادة، ولا يراد عوارض الموجودات في عالم الحس، وعلم الوجود أيضًا يبحث عن الأشياء في ذاتها من جهة جواهر بالمعنى الديكارتي، لاعن ظواهرها، ومحولاتها، كما ذهب دكارت ونشير إلى أن ثمة من يفرق بين الأنطولوجيا والميتافيزيقا من حيث	ويراد بنظرية المعرفة البحث في طبيعة المعرفة: وحدودها وأنواعها: وكيف نتحقق من صدق معارفها: وللمعرفة درجات متفاوتة، أدناها المعرفة الحسية الشخصية، وأعلاها المعرفة العقلية المجردة. وللمعرفة التامة صورتان: إحداها ذاتية: وهي التي يتم بها تصور الشيء تصورًا واضحًا دون غموض أو التباس، والأخرى موضوعية: وهي التي يكون فيها تصور الشيء مطابقًا لما هو عليه في الحقيقة: وقد فرق بعضهم بين	يتعلق بالبحث في القيم من حيث طبيعتها، وأنواعها ومصادرها، كما يتعلق بمشكلات القيم، والخير والجمال، وتنقسم الأكسيولوجيا إلى قسمين رئيسيين هما: علم الأخلاق، علم الجمال، والقيم ضربان: ذاتية تخص الشيء لذاته وتكون صفات

¹ - ينظر: فراج الشيخ الفزاري، مباحث الفلسفة الرئيسية، دار الجبل بيروت، دار الحارث الخرطوم، ط1، 1992م،

إن: الأولى تريد أن تترك الظواهر وتغوص في أعماق الوجود للكشف عن الشيء في ذاته، على حين أن الثانية تقتصر على تحديد الجوانب القبلية في كل نوع من أنواع المعرفة	المعرفة والعلم فقالوا: إن المعرفة إدراك للجزئي، والعلم إدراك للكل، وأن المعرفة تستعمل في التصورات، والعلم في التصديقات.	كامنة فيه، وغير ذاتية خارجة عن طبيعة الشيء ولا تدخل في ماهيته.
---	---	--

2- منهج الفلسفة:

إن المناهج الفلسفية تتعدد، « والفلاسفة أحرار في أن يتعلموا من أجل البحث عن الحقيقة أي طريق يرونه نافذاً، ولا يستطيع الإنسان وهو ينظر إلى العالم أن يمتنع عن سلوك أي نهج يمكن أن يوصله إلى معرفة هذا الكون»¹، ولا ينبغي أن نعتبر هذا التعدد الذي تقضيه طبيعة الفلسفة مسيئاً إلى المعرفة الفلسفية²، إلا أننا سنركز على منهجين ونحاول التمييز بينهما:

2- 1- المناهج الضمنية والمناهج الصريحة:

ينبغي التمييز بين نوعين من المناهج الفلسفية: « إن لم يختلف في طبيعتهما فإنهما يتميزان من حيث كيفية حضورهما فيما كتبه الفيلسوف.

أ- مناهج مستخدمة عملياً عند الفلاسفة ونستخلصهما من كتاباتهم بعد أن تقلسوا، أي أننا نستخرج طرائق المعرفة عند الفيلسوف بعد أن تتم هذه المعرفة، فهي مناهج لم يخصصها صاحبها بحدث عنها أو بخطاب في المنهج»³.

¹ - الطاهر وعزيز، المناهج الفلسفية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م، ص31.

² - المرجع نفسه، ص32.

³ - المرجع نفسه، ص33.

ب- «مناهج قام أصحابها بتقسيمها وتبريرها وهي إذن حسب الظاهر على الأقل وليدة بحث في المعرفة قبل المعرفة، وقد تكون عند الفيلسوف موضوع خطاب مفصل»¹.

3- نشأة المنطق وتطوره :

3-1- تعريف المنطق:

يقول "التهانوي" أحد الباحثين المسلمين: «وإنما سمي بالمنطق؛ لأن النطق يطلق على اللفظ، وعلى إدراك الكليات وعلى النفس الناطقة، ولما كان هذا الفن يقوي بالأول ويسلك بالثاني مسلك السداد وتحصل بسببه كحالات الثالث اشتق له اسم منه وهو المنطق»²، فهذه التسمية ترتبط بالمنطق مع إدراك المعاني العقلية الكلية.

ويعرفه ابن سينا في كتابه الإشارات والتنبيهات بقوله: «المنطق علم يتعلم منه ضروب الانتقالات من أمور حاصلة في ذهن الإنسان إلى أمور مستحصلة»³، وهنا يكشف ابن سينا عن أسس علم المنطق، وهي: الاستقراء، القياس، الاستنباط، والمنطقي يقبل على دراسة موضوعه متتبعا نماذج سابقة ليقيم عليها قياسه ويصل إلى النتيجة بالأدلة والبراهين، فالاستنباط إذا من أهم خصائص المنطق.⁴

¹ - المرجع السابق، ص 34.

² - التهانوي (محمد بن علي بن القاضي): موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م، 2/1659..

³ - ابن سينا: الإشارات والتنبيهات، تحقيق يعقوب فرجة ليدن، 1893م، 3/1.

⁴ - ينظر: مها خير بك ناصر، النحو العربي والمنطق الرياضي التأسيس والتأصيل، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط2، 2014م، ص111، 112.

ويكاد يتفق المناطق على أن المنطق علم استدلالي نبدأ فيه من مقدمات مسلم بصحتها لننتهي منها إلى النتائج التي تلزم عنها.¹

«فإذا كان علم يبحث في فرع من فروع المعرفة، فإن المنطق يبحث عن المبادئ العامة للفكر، تلك المبادئ التي تنطبق على كل فرع من فروع المعرفة».²

3-2- نشأة المنطق العربي وتطوره:

إذا شئنا أن نتبين خطأ واضحاً في تطور المنطق العربي، استطعنا أن نمسك بخط يبدأ من الطب وينتهي بعلم الكلام على وجه نستطيع معه أن نلخص كل تاريخ المنطق العربي وتطوره في جملة واحدة، هي أن المنطق العربي بدأ ملتصقا بالطب وانتهى مرتبطاً بعلم اللغة؛ حيث كان المنطق جزءاً لا يتجزأ من منهاج تعليم الدراسات الطبية، كما كان سائداً في مدرسة الإسكندرية، وظل المنطق ملتصقا بالطب، وبقي لفترة طويلة يلعب دوراً رئيسياً في تدريب الأطباء، ويمكن أن ننظر إلى هذا الأمر على أنه السبب الرئيسي في ازدهار المنطق في اللغة العربية في الفترة من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر الميلادي.

فلا عجب أن يقال: إن العصر الذهبي للمنطق العربي والذي تم فيه ترجمة النصوص وشرحها وترسخت فيه أقدام المنطق اليوناني في الثقافة العربية كان هو عصر التقليد الطبي المنطقي، وهناك عدة عوامل ساعدت على ازدهار الدراسات المنطقية منها.

أ-الوضع المتميز للطب والأطباء.

¹-ينظر: محمد مهران رشوان، قضايا سياسية في المنطق، دار المسيرة للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، 2011م، ص22.

²-المرجع نفسه ، ص23.

ب-الدعم الرسمي للدراسات المنطقية

ج- الاحتراف في الترجمة والدرس.

د -عدم استخدام المنطق في الأمور الدينية.¹

3- موضوعات المنطق ومنهجه:

3- 1- مباحث علم المنطق:

باعتبار أن علم المنطق هو قواعد عقلية تساعد على التصور و الاستدلال الصحيحين، فإن ذلك يعني أنه يتكون من مبحثين أساسيين هما:

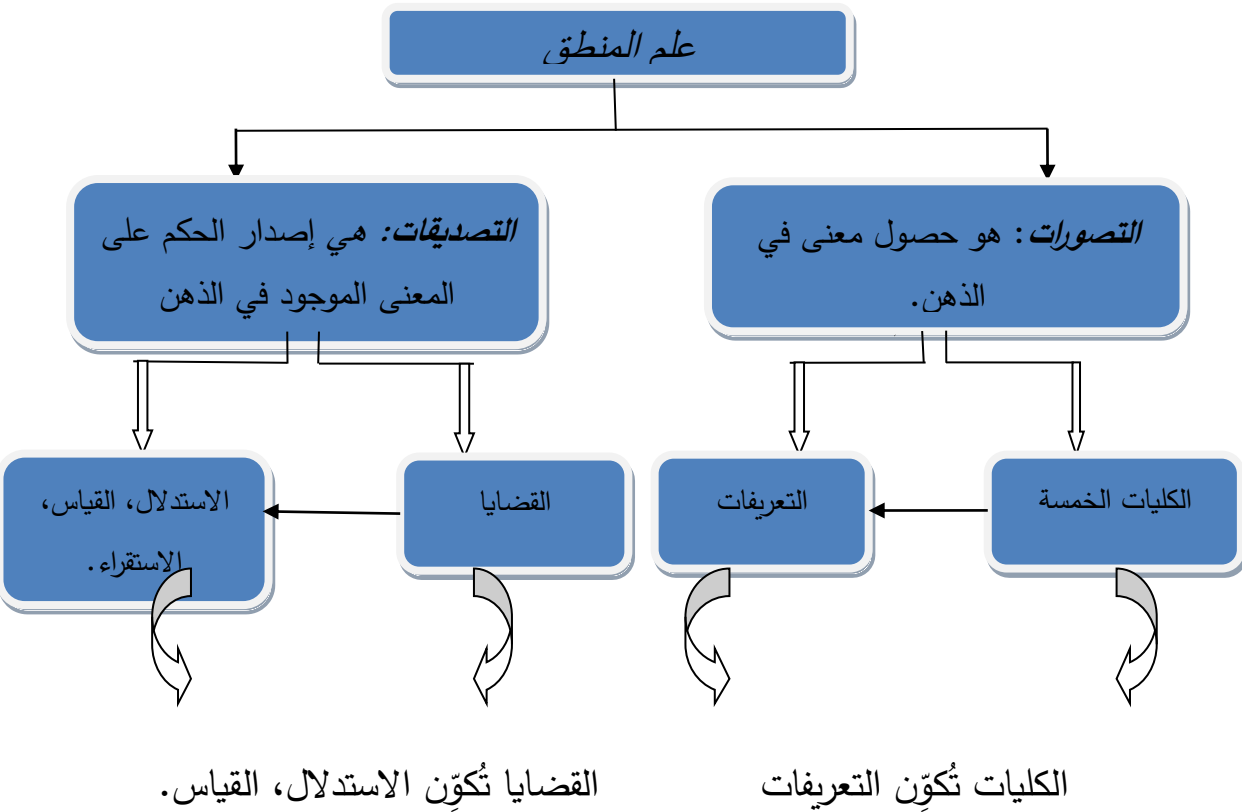
«المبحث الأول: التصورات؛ أي الأشياء التي تعيننا في إدراك الأشياء وفهمها (الإدراك بلا حكم).

المبحث الثاني: التصديقات؛ أي «الأشياء التي تعيننا في الحكم على القضايا بالصححة أو بالخطأ (الإدراك مع حكم).

وكل مبحث من هذه المباحث يتكون من قسمين، فالتصورات تنقسم إلى الكليات الخمسة، والتعريفات، والتصديقات تنقسم إلى القضايا، والاستدلال²، و المخطط التالي يبين ذلك:

¹-ينظر: نيقولا ريشر، تطور المنطق العربي،/ ترجمة ودراسة وتعليق محمد مهران، ط1، 1985م، دار المعارف، القاهرة، ص93، 94، 95.

²- نايف بن نهار، مقدمة في علم المنطق، مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث دار عقل للنشر والترجمة، سوريا، قطر، ط2، 2016م، ص11.

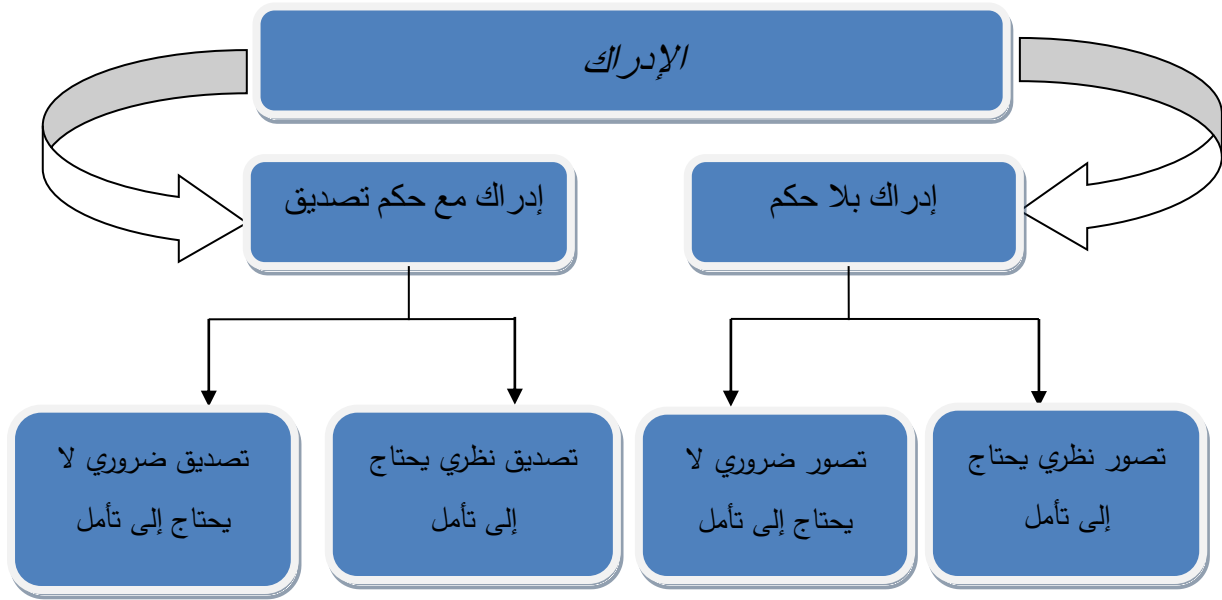


الشكل 7: موضوعات علم المنطق

حيث يختلف المنطق الإسلامي عن المنطق اليوناني، «فقد أضاف علماء الإسلام مباحث منطقية لم يعرفها اليونانيون ولا الفرس كمباحث الموجهات»¹.

ونشير إلى أن لكل من التصور والتصديق أقسام، والمخطط التالي يبين ذلك:

¹ - المرجع السابق، ص 5.



الشكل 8: أنواع الإدراك

ولا يمكن أن نصل إلى مرحلة التصديق إلا من خلال المرور بمرحلة التصور والعكس غير صحيح¹، ويقول "قطب الدين الرازي": «الجميع اتفقوا على أن التصديق يستدعي التصور من غير عكس»².

4- صلة الفلسفة الإسلامية بالفلسفة اليونانية

لا ننكر فضل الفلسفة في تطور ونشوء التفكير الفلسفي في الإسلام من خلال استفادة فلاسفة الإسلام من أرسطو في معظم آرائه، ولكن من الخطأ أن تذهب إلى أن هذه التلمذة كانت مجرد تقليد ومحاكاة³، مع الإشارة إلى أن هناك من ينكر وجود فلسفة إسلامية؛ إذ يقول حنا أسعد فهمي في كتابه تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها إلى الآن:

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 27.

² - قطب الدين الرازي، رسالتان في التصور والتصديق، تحقيق مهدي شريعي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م، ص122.

³ - ينظر: ضياء حبيب توفيق، مصادر المعرفة في الفلسفة الإسلامية المعاصرة، دار دجلة، الأردن، ط1، 2010م، ص65.

«خصصنا هذا الفصل لفلاسفة العرب ولم نقل للفلسفة الإسلامية لأنها ليست سوى استعارة عن اليونان وكل فضل العرب في هذا الصدد أنهم كتبوا وترجموا الفلسفة الإغريقية إلى لغة الضاد...»، كذلك يمكننا القول إن الفلسفة لم تظهر في حياة العرب إلا كحادث عرضي سريع الزوال»¹ وهذا يعد إجحافاً في حق الفلسفة الإسلامية التي تتميز بعدة خصائص تجعلها مختلفة ومستقلة عن الفلسفة اليونانية، هذه الأخيرة التي لا ننكر أنها عامل من عوامل نشوء الفلسفة الإسلامية، وليست العامل الوحيد.

5- العلاقة بين الفلسفة والعلم:

إن الفلسفة في حاجة إلى التعرف على الجزيئات، والدقائق التي يصل إليها العلم كل يوم، فهي بلا شك سوف تستفيد من هذه المعارف حين تنظمها، وترتبها، وتستنتج منها نتائج جديدة، وبذلك تستطيع أن تواكب تيارات الفكر العالمي، وهي باستعلائها على العلم سوف تتجمد وتذبل وتنزوي في ركن ضيق من أركان الحياة؛ بل إنما باستفادتها من نتائج العلم قد تكتسب أرضاً جديدة، فالعلم يخدم الفلسفة من حيث لا يدري، كما توظف الفلسفة مكتسبات العلم الحديث لخدمة الحقيقة المطلقة، ومن قبيل هذا التوظيف الفلسفي للعلم القول بأن النظرية النسبية قد انتهت إلى تأكيد الحقائق الغيبية إلى هدم أسس الاتجاه المادي، وأما العلم فهو بغير الاستفادة من الفلسفة يكون كمن يسير على غير هدى وبصيرة؛ ذلك أن الفلسفة التي تمدد بالأسس والمناهج والعلاقات والقدرة على الربط والتمثيل والنظرة الشاملة، وبدون ذلك يظل العلم أشتاتاً متفرقة لا رابط بينها ولا جامع.²

¹ - حنا أسعد فهمي، تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها إلى الآن، تحقيق وتقديم عقبة زيدان، نور للدراسات والنشر والترجمة، دمشق، سوريا، دط، 2009م، ص 165.

² - ينظر: سعد الدين السيد صالح، قضايا فلسفية في ميزان العقيدة الإسلامية، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط 1، 1998م، ص 26.

6-علاقة علم الكلام بالفلسفة:

لقد استفاد المتكلمون بكل مصدر ممكن في سبيل الدفاع عن الإسلام، فراحوا يدعمون مناهجهم العقلية بكثير من الوسائل الفلسفية و المنطقية؛ لإبراز ما أمكن في الدين من أدلة قاطعة على صدق أصوله، وهكذا أظهر الإسلام بمظهر التحدي لهذه الأديان والثقافات المخالفة، فأدى ذلك بالمتكلمين إلى الاطلاع على الفلسفة والمنطق، ولقد كان لذلك أثره في تطور علم الكلام¹، كما أن علم الكلام في نظر محمد صالح محمد السيد « يمثل الفلسفة الإسلامية الحقيقية تلك الفلسفة التي عبرت عن النقاش العقلي الذي دار حول العقيدة، وقد بدأ هذا النقاش العقلي ذاتيا وفي فترة مبكرة قبل دخول أية مؤثرات أجنبية ذات شأن إلى العالم الإسلامي»²، و إلى ذلك أشار مذكور إلى أن:

« الفكر الفلسفي الإسلامي أفسح من أن يقف عند المدرسة المشائية، فقد ظهر و عرف في مدارس كلامية قبل أن يعرف المشاءون، ويكتشف أمرهم، وفي علم الكلام فلسفة وفلسفة دقيقة وعميقة أحيانا وللمعتزلة آراءهم وبحوثهم التي عالجت المشكلات الفلسفية الكبرى، وهي مشكلة الله، والعالم، و الإنسان ومهدوا بذلك للمدرسة المشائية»³، وهذا ما يكشف عن تلاحم التيارين الكلامي والفلسفي « فلا يمكن أن تدرس مشكلة عقلية درسا مكتملا إلا إذا بحثت في ضوء المدارس* على اختلافها، ومن الخطأ أن يظن أن كل واحدة منها عاشت بمعزل عن الأخرى»⁴، ولنأخذ مثالا عن تأثر المعتزلة بالفلسفة

¹ - ينظر: محمد صالح محمد السيد، مدخل إلى علم الكلام، ص 119.

² - المرجع نفسه، ص 51.

³ - إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، ص 11.

⁴ - المرجع نفسه، ص 6،

*المدارس الإسلامية الكبرى هي: المدرسة الكلامية، الصوفية، الفلسفية.

اليونانية؛ فقد بين العلماء أن الذي دفع المعتزلة إلى دراسة الفلسفة اليونانية والإفادة منها أمران:

الأول: أنهم وجدوا في الفلسفة ما يرضي نهمهم العقلي، وشغفهم الفكري.

الثاني: أن الفلاسفة وغيرهم لما هاجموا بعض المبادئ الإسلامية تصدى المعتزلة للرد عليهم، واستخدموا بعض طرقهم في النظر والجدل وتعلموا كثيرا منها ليستطيعوا أن ينالوا الفوز عليهم.¹

وهناك عدة مظاهر تكشف عن تلقي المعتزلة من الفلاسفة منها:

أ- أسلوبهم في الجدل والكلام مأخوذ عن المنطق الأرسطي فهم يبدؤون بمقدمات هذا المنطق في النظر والعلم والدليل، وهم في الوسائل كالمناطقة تماما، وإن كانوا يختلفون في المقاصد، والنتائج.²

ب- تلقوا عن الفلاسفة مبدأ تعظيم العقل، ورفعته فوق مكانته، وإعطائه من السلطة ما لا يدخل تحت قدرته المحدودة، وهذا أدى إلى وضع قاعدتهم المشهورة في المعارف وهي: «الفكر قبل ورود السمع»، وهذا الغلو في العقل هو ما نجده عند الفلاسفة قبلهم الذين يعدون العقل القوة الصرفة المدركة للصورة الكلية؛ أي الماهية³.

ج- مسألة التعطيل: وتتمثل هذه المسألة في نفي المعتزلة وأهل الكلام بعدهم للصورة والحدود والمكان وهي وسائل وذرائع لنفي الصفات عن الله تعالى، وهذا ما يتوافق

¹ - ينظر: علي مصطفى الغرابي، تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، السعودية، ط1، 1948م، ص 147، 181.

² - ينظر: عبد اللطيف عبد القادر الحفظي، تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة، ص 182.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 182.

مع المقولات الفلسفية التي بينها شيخ الإسلام "ابن تيمية" في قضية اختلاف الفلاسفة في الباري ما هو؟

د- أصل العدل أو نفي القدر: ولقد بين ذلك الدكتور "زهدي جار الله" بقوله: «إن تعمق المعتزلة في درس الفلسفة اليونانية ترك في عقائدهم أثرا بعيدا، ولا سيما في مسألة القدر فإنهم أخذوا قول أرسطو إن الله تعالى ليس مطلق التصرف يفعل ما يريد بل هو نظام، وإذا كان كذلك فإنه تعالى يسير ضمن نظام لا يمكنه مخالفته والخروج عليه، تعالى الله عما يقولون»¹.

7- التداخل بين علم الكلام وأصول الفقه: قبل الكشف عن هذا التداخل وجب التفرقة بين الفقه و أصوله:

إن الأصول هي المناهج التي تحد و تبين الطريق الذي يلتزمه الفقيه في استخراج الأحكام من أدلتها ويرتب الأدلة من حيث قوتها فيقدم القرآن على السنة، والسنة على القياس وسائر الأدلة التي لا تقوم على النصوص مباشرة، أما الفقه فهو استخراج الأحكام مع التقيد بهذه المناهج، وإن مثل علم أصول الفقه بالنسبة للفقه كمثل علم المنطق بالنسبة لسائر العلوم الفلسفية فهو ميزان يضبط العقل فهو ميزان بالسبة للفقيه ويمنعه من الخطأ في الاستنباط كما يتبين به الاستنباط الصحيح من الاستنباط الباطل، كما يعرف بالنحو الكلام الصحيح من الكلام غير الصحيح، كما يعرف بالمنطق البرهان العلمي المنتج من البرهان العلمي غير المنتج.²

¹ - المرجع السابق، ص 183.

² - ينظر: محمد أبو زهرة، أصول الفقه، دار الفكر العربي للنشر و التوزيع، (دط)، (دت)، ص7، ص8.

فإذا لم يتمكن الفقيه من الأصول فإنه يقع في عدة أخطاء فهو بمثابة القانون الذي يعصم الفقيه ويحميه « ولذا التلاحم بين العلمين نجد أن الفقهاء أنفسهم كانوا أصوليين في الكثير من الأحيان وكان على رأسهم الإمام الشافعي و نادرا ما نجد أصوليا ليس بفقيه، وأكثر ما يكون هؤلاء أي الأصوليين غير الفقهاء من المتكلمين»¹؛ حيث ربط محمد الحباس الأصوليين غير الفقهاء بالمتكلمين فما العلاقة بين علم أصول الفقه وعلم الكلام.

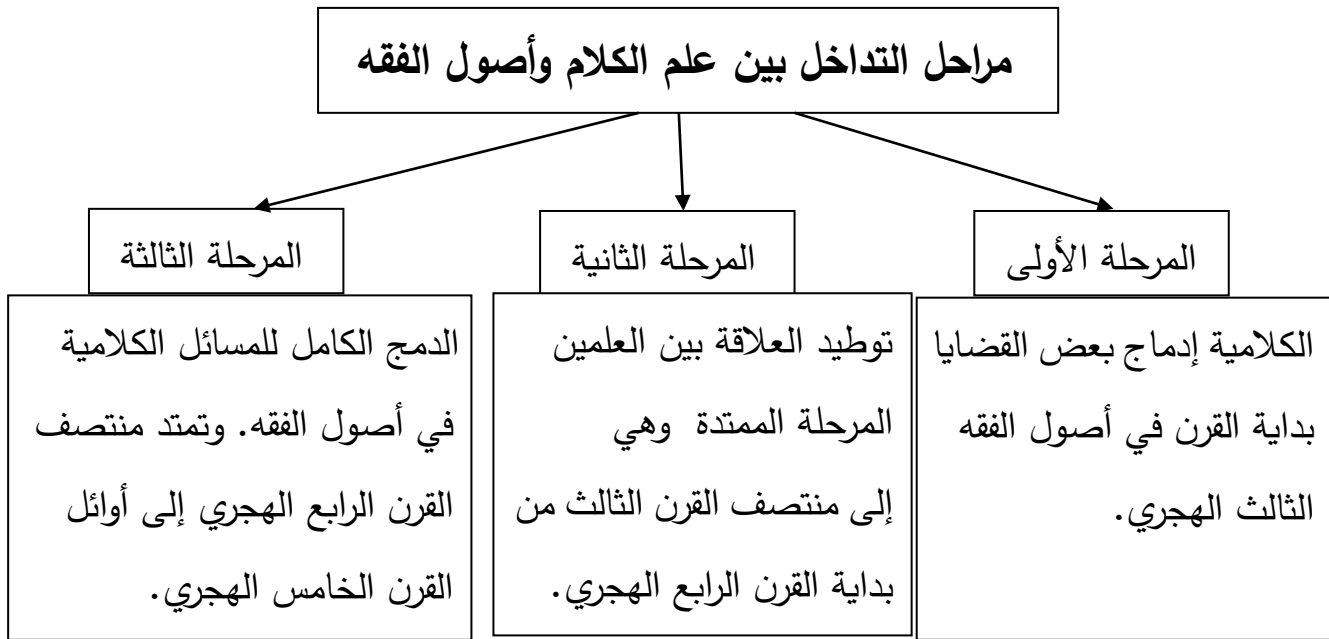
لقد نشأ علم الكلام قبل علم أصول الفقه « لأن تدوين هذا الأخير لم يبدأ إلا مع رسالة الإمام الشافعي رحمه الله (204 هـ) في حين نجد القضايا الكلامية برزت بشكل مبكر، فالمعتزلة تمكنوا من السيطرة على الساحة الفكرية في الخلافة العباسية منذ عهد المأمون (توفي 170 هـ)، ويبدو أن كثيرا من المسائل الكلامية أدمجت في علم أصول الفقه بدءا من هذه المرحلة»².

ويمكن تصنيف مراحل هذا التداخل إلى ثلاث مراحل رئيسية مفصلة في المخطط التالي:³

¹ - محمد الحباس، النحو العربي بين التأثير والتأثر، العلوم الشرعية نموذجا، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 201م، ص31.

² - عبد الرحيم موفق، مقارنة نقدية لجدلية العلاقة بين علم الكلام وأصول الفقه «صفة كلام الله تعالى نموذجا»، مجلة الإحياء، المجلد 21، العدد 28، جانفي 2021م، ص74.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص75.



الشكل 9: التداخل بين علم الكلام وأصول الفقه

ويمكن أن نلمس هذه العلاقة عند مصنفي العلوم كالفارابي، و ابن خلدون، فالفارابي مثلاً يخصص في كتابه (إحصاء العلوم) الفصل الخامس للكلام عن العلم الديني وأجزائه وهي: علم الفقه، وعلم الكلام وهو إن كان يميز بين الفقه و الكلام إلا أننا يمكننا أن نعتبر تمييزه إعتبارياً¹؛ حيث يرى بأن: صناعة الكلام غير الفقه؛ لأن الفقيه يأخذ الآراء والأفعال التي يصرح بها واضع الملة مسلمة، و يجعلها أصولاً فيستنبط منها الأشياء اللازمة عنهما، أما المتكلم فهو ينصر الأشياء التي يستعملها الفقيه أصولاً من غير أن يستنبط منها أخرى ، ويمكن للإنسان أن يجمع بينهما، فيصبح فقيهاً متكلماً.

يتضح مما تقدم أن أصول الفقه: يؤدي إلى استنباط الأصول، وعلم الكلام لا يؤدي إلى الاستنباط؛ بل إلى تأييد هذه الأصول (الرجوع إلى الأصول).

¹ - ينظر: الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمين، دار الفكر العربي القاهرة، ط3، 1968م، ص121، 122.

أما ابن خلدون فإن في تعريفه لعلم الكلام وأصول الفقه تتضح العلاقة بينهما فهو يعرف علم أصول الفقه بقوله: «النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام، وأصول الأدلة الشرعية هي: الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة المبينة»¹، ويعرف علم الكلام بأنه: «علم الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية و الرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف، و أهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد»²؛ فعلم الكلام يمثل الإيمان و المعرفة بالدين، وعلم أصول الفقه يمثل العمل بالدين³؛ فالعمل بأي شيء يتطلب المعرفة والعلم به، فالتكامل واضح من خلال هذين التعريفين.

ثالثا: الصلة بين علم الكلام والنحو:

هناك صلة وثيقة بين علم الكلام والنحو؛ ذلك أن: «النحو الذي يستمد فلسفته من الكلام هو أيضاً بحث لافي مطلق الوجود، بل في متعلقات الوجود اللغوي، كأن يذهب النحوي إلى تصور وجود عالم لغوي، له أيضاً أقسامه و حقائقه، وصفاته، ويرجع سبب هذا التوجه إلى أن البحث في الوجود الأنطولوجي يتعلق بالمدرجات، وهذا ما يفسر وجود عدداً من المصطلحات في العلمين معا تدل على متعلقات الوجود مثل: المكان، والزمان، والجوهر، والعرض، والجنّة، والذات، والشيء، والبدل»⁴، فعلم الكلام والنحو جمعهما منطلق البحث والنظر في متعلقات الوجود لغوياً كان، أم طبيعياً، تبني النحاة كما فعل المتكلمون وسائل بحث ونظر في هذا الوجود تتفق في كلا المجالين، وهي الجدل

¹ - ابن خلدون، المقدمة، ص 452، 453.

² - المصدر نفسه، ص 458.

³ - ينظر: محمد صالح محمد السيد، مدخل إلى علم الكلام، ص 53.

⁴ - إدريس مقبول، سيبويه معتزلياً، ص 53.

والمناظرة والتأويل والاحتجاج¹؛ أي يتفقان في المنهج المتبع سواء منهج البحث، أو منهج التأليف هذا الأخير الذي يظهر في حواشي المنهج التعليمي وفي متون المنهج التفسيري.

رابعاً: الفرق بين المذاهب الفكرية:

يتجلى الفرق في مستويين: المستوى الأول بين المذاهب الفكرية والروافد الأجنبية، والمستوى الثاني بين المذاهب الفكرية فيما بينها فيما يلي:

المستوى الأول: 1- الفرق بين الفلسفة وعلم الكلام:

لقد وجدت بعض المحاولات لإيجاد فروق بين علم الكلام والفلسفة الإسلامية؛ ولكنها كانت في إطار عام، وليس على الحصر، من هؤلاء الباحثين نجد الدكتور الألوسي الذي اعتبر العلاقة بين علم الكلام والفلسفة علاقة جزء بكل، وذكر بعض الفروق بينهما أهمها:

1- 1- من حيث الموضوع: يمكن وضع المتكلمين في مدرسة واحدة على أساس رأيهم في أصل العالم، وهو القول بالخلق من عدم المحض في الزمان، وأنهم يقولون بالبعث الجسدي، وليس بخلود النفس فقط.

أما الفلاسفة الإسلاميون فمعظمهم صديرون، وأرسطويون، وأفلاطيون، أو ذريون، يقولون بعدم المادة والزمان.²

¹ - ينظر: محمد الذهبي، الصلات الاستلزامية بين النحو وعلم الكلام حالة القاضي عبد الجبار نموذجاً (رسالة ماجستير)، جامعة محمد الخامس بالرباط، (دط)، (دت)، ص 113، 114.

² - ينظر: ضياء حبيب توفيق، مصادر المعرفة في الفلسفة الإسلامية المعاصرة، دار دجلة، عمان، ط1، 2010م، ص60.

كما يظهر الفرق بين علم الكلام والفلسفة من خلال عمل كل من الفيلسوف والمتكلم؛ إن نقطة انطلاق الفيلسوف العقل، ونقطة انطلاق المتكلم النص الديني، أما نقطة انطلاق الصوفي فهي القلب، فالفيلسوف يتعقل لكي يؤمن، والمتكلم مؤمن يريد أن يتعقل، أما الصوفي فهو مؤمن يريد أن يشاهد، يريد أن يتذوق ويشرب ويرتوي من كأس الحب الإلهي¹، ولكن « يبقى الفرق الأساسي بين علم الكلام و الفلسفة هو اليقين في قضايا علم الكلام والظن و الاحتمال في قضايا الفلسفة»².

2- وجوه التعارض بين الفكر الإسلامي والفلسفة اليونانية:

لقد كان من أكبر وجوه التعارض بين الفلسفة اليونانية والفكر الإسلامي ذلك الطابع التجريبي الذي دفع القرآن الكريم المسلمين في مواجهة الطبيعة والحياة، بينما كان اليونان يحتقرون التجربة والتجريب، فقد أدرك مفكرو الإسلام تمام الإدراك أنه لا بد من وضع منهج في الحث يخالف المنهج اليوناني، حيث إن هذا المنهج الأخير؛ إنما هو تعبير عن حضارة مخالفة وتصور حضاري مخالف وأهم خصائص المنهج التجريبي الإسلامي:

أ- إنه منهج إدراكي أو تأملي وليس نظرة عابرة

ب- الاختلاف في كبريات المسائل، وفي مقدمتها الحد، القضية الكلية والمنطق الشكلي.

ج- استخدموا كلمة (قياس)، وهي الكلمة التي يستعملها أرسطو، ويمكن الاختلاف بينهما في:

¹ - ينظر: فيصل بدير عون، علم الكلام ومدارسه، ص21.

² - سعد الدين السيد صالح، قضايا فلسفية في ميزان العقيدة الإسلامية، ص22.

القياس الإسلامي	القياس الأرسطي
ينتقل من حالة جزئية أخرى لوجود جامع بينها	ينتقل العقل فيه من حكم عام إلى حكم خاص. ¹

المستوى الثاني: 1- مسائل الخلاف بين مذهب الأشاعرة ومذهب المعتزلة: لقد جاء المذهب الأشعري رداً على مغالاة المعتزلة والجدول الثاني يوضح أهم القضايا المختلف فيها والتي تبين الفرق بين المذهبين:²

الموضوعات	المعتزلة	الأشاعرة (الأشعري)
الصفات	نفوا الصفات التي وردت في القرآن، ولم يثبتوا إلا الوجود، والقدم، والبقاء، والوحدانية؛ حيث نفوا السمع والبصر، والكلام، وغيرها من الأوصاف الذاتية وقالوا إنها في القرآن أسماء لله تعالى كالرحمان والرحيم	أثبت الأشعري الصفات التي وردت كلها في القرآن والسنة، وقرر أنها صفات تليق بذاته الله تعالى، ولا تشبه صفات الحوادث التي تسمى باسمها، فسمع الله تعالى ليس كسمع الحوادث، وبصره ليس كبصرهم، وكلامه ليس ككلامهم .
قدرة الله وأفعال الإنسان	قالوا إن العبد هو الذي يخلق أفعال نفسه بقوة، أودعها الله تعالى إياه، عكس ما اعتقده الجبرية *	قال الأشعري إن الإنسان يستطيع إحداث شيء، ولكن يقدر على الكسب.

¹ - أنور الجندي، الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة، الموسوعة الإسلامية العربية (11)، الشركة العالمية للكتاب،

دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب العالمي، بيروت، (دط)، 1987م، ص 87، 88.

² - ينظر: محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 156، 157.

* فالجبرية قالوا إن الإنسان لا يستطيع إحداث شيء ولا كسب شيء بل هو كالريشة في مهب الريح.

رؤية الله يوم القيامة	قال المعتزلة: الله سبحانه وتعالى لا يرى، وأولوا النصوص القرآنية، ولم يأخذوا بالأحاديث النبوية لأنها أخبار آحاد .	سلك الأشعري مسلكاً وسطاً بين المشبهة*، والمعتزلة حيث قال: إن الله يرى من غير حلول و لا حدود.
الألفاظ الموهمة للتشبيه في القرآن والحديث مثل "يد الله فوق أيديهم"	قالوا: المراد سلطان الله تعالى فوقهم؛ حيث أنهم أولوا هذه الألفاظ .	قال الأشعري يده يد تليق بذاته الكريمة وليست يد جارحة كأيدينا؛ بل يده يد صفة كالسمع والبصر، حيث فوض اليد ونفى التشبيه، ولكن يظهر أنه قد رجع عن هذا الرأي الذي أبداه متحمساً لمناقضة المعتزلة؛ إذ جاء في اللمع أنه قرر تأويل اليد بالقدرة كما فعل المعتزلة.
القرآن	القرآن مخلوق محدث خلقه الله تعالى	القرآن كلام الله غير مغير ولا مخلوق ولا حادث ولا مبتدع، فأما الحروف المقطعة والألوان والأجسام والأصوات فمخلوقات مخترعات.
مرتكب الكبيرة	قال المعتزلة: إن صاحب الكبيرة مع إيمانه وطاعته إذا لم يتب عن كبيرته لا يخرج من النار .	سلك الأشعري طريقاً وسطاً بين المرجئة** من غير أهل السنة والمعتزلة؛ حيث رأى أن الموحد الفاسق هو في مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عاقبه بفسقه ثم أدخله الجنة.

* المشبهة ترى أن الله يرى يوم القيامة مكيفاً محدوداً.

** قال المرجئة من غير أهل السنة من أخلص لله سبحانه وتعالى وآمن به فلا تضره كبيره مهما تكن.

الشفاعة	لا شفاعاة لأحد من العباد	وقف موقفا و سطا بين الإمامية*، والمعتزلة وقال إن للرسول صلوات الله وسلامه عليه شفاعاة مقبولة في المؤمنين المستحقين للعقوبة، يشفع لهم بأمر الله وإذنه، ولا يشفع إلا لمن ارتضى¹.
----------------	---------------------------------	--

ولتتضح الرؤية نورد اختلاف الآراء في أهم القضايا الكلامية، فرأي أبي الحسن الأشعري في الصفات وسط بين المعتزلة و الجهمية، الذين ينفون السمع والبصر والكلام، والحياة وغيرها، وبين الحشوية* والمجسمة الذين شبهوا لله تنزهت صفاته بالحوادث، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، و رأيه في أفعال الإنسان وسط بين الجهمية و المعتزلة، فالمعتزلة قالوا: الإنسان قادر على إحداث أفعاله و كسبها، والجهمية قالوا: الإنسان لا يقدر على إحداث فعل و لا كسب فعل، فقال الأشعري: العبد لا يقدر على الإحداث والخلق، ويقدر على كسب العمل الذي خلقه الله تعالى، قال المشبهة إن الله يرى يوم القيامة مكيفا محدودا، وقالت المعتزلة و الجهمية إنه سبحانه لا يرى بحال من الأحوال، فسلك الأشعري طريقا بينهما، فقال يرى من غير حلول و لا حدود، و قالت المعتزلة يد

* قال الإمامية: إن للرسول شفاعاة وللائمة مثلها.

¹ - ينظر: محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 157، 158.

**الحشوية: من الصعب الحديث عن الحشوية كفرقة معينة، وإنما هم فئات مختلفة تجمعها روح واحدة، تبتسم بالتعصب للنصوص والفهم الحرفي لها، فالحشوية اتجاه عام، ومنهج في التفكير يدعو أصحابه إلى قبول الأفكار والأخبار الشائعة، ويمكن أن نستخلص عناصر الموقف الحشوي في النقاط التالية.

-الاعتماد على النص وحده طريقا إلى المعرفة الاعتقادية خاصة والدينية بصفة عامة، ورفض العقل وأدلته.

-سوء الفهم للنصوص الدينية نفسها.

-النزوع إلى الفهم الحرفي لتلك النصوص مما يؤدي إلى التشبيه: ينظر: حسن محمود الشافعي، المدخل إلى دراسة

علم الكلام، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، ط1، 2001م، ص 68، 69.

الله قدرة ونعمة، وقالت الحشوية يد جارحة، فسلك الأشعري مسلكا وسطا، و قال يده صفة كالسميع والبصير، وقال المعتزلة القرآن كلام الله مخلوق وقالت الحشوية الحروف المقطعة والأجسام التي يكتب عليها والألوان التي يكتب بها وما بنى الرافدين كله قديم غير مغير، ولا مخلوق، فأما الحروف المقطعة والأجسام و الأصوات المحدودات فمخلوقات مخترعات¹.

المبحث الرابع: المذاهب الفكرية والتصورات النحوية:

أولا: مفهوم التصور وأقسامه:

1- مفهوم التصور: إن مفهوم التصور مشترك بين العديد من الحقول العلمية؛ لذا فإن تعريفه و التطرق إليه قد تم من عدة أوجه مختلفة:

أ- لغة: حسب المعجم العربي الأساسي "لاروس" فإن التصور من الفعل «تصور يتصور تصورا، و يعني تمثل صورته في ذهنه. ففي علم المنطق: إدراك المفرد أي يعني الماهية و عكسه التصديق، و في الفلسفة: هو مجموعة الأفكار التي يتصورها الإنسان حول الكون و الحياة، وفي علم النفس هو استحضار صورة شيء محسوس في العقل»²، وحسب المنجد في اللغة و الأعلام «تصور الشيء أي توهم صورته و تخيله والتصور هو صورة العقل»³.

¹ - أبو زهرة، ابن حزم حياته و عصره، آرائه وفقهه، ص133، 134.

² - المعجم العربي لاروس، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، 1990م، ص144.

³ - المنجد في اللغة و الأعلام، دار المشرق، بيروت، (دط)، 1991م، ص 201.

ب- اصطلاحاً: جاء في كتاب التعريفات للجرجاني التصور «حصول صورة الشيء في العقل و إدراك الماهية من غير أن يحكم عليها بنفي أو إثبات»¹، يتضح من خلال تعريف الجرجاني أن التصور يرتبط بالماهية «التي تطلق غالباً على الأمر المتعلّق مثل المتعلّق من الإنسان وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود الخارجي، و الأمر المتعلّق من حيث إنه مقول في الجواب ماهو: يسمى ماهية، و من حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة ومن حيث امتيازها عن الأخيار هوية، ومن حيث حمل اللوازم له ذاتاً، ومن حيث يستنبط من اللفظ مدلولاً، ومن حيث إنه محل الحوادث جوهرًا»²، وعلى هذا فالماهية أنواع حددها الجرجاني في أربعة هي:³

الماهية الاعتبارية	الماهية الجنسية	ماهية الشيء	الماهية النوعية
هي التي لا وجود لها إلا في عقل المعتبر مادام معتبراً، وهي ما به يجاب عن السؤال: بما هو؟ كما أن الكمية ما به يجاب عن السؤال: بكم؟	هي التي لا تكون في أفرادها على السوية فإن الحيوان يقتضي في الإنسان مقارنة الناطق، و لا يقتضيه في غير ذلك.	ما به الشيء هو. وهي من حيث هي هي. لا موجودة و لا معدومة، ولا كلي و لا جزئي، و لا خاص و لا عام.	هي التي تكون في أفرادها على السوية، فإن الماهية النوعية تقتضي من أفرادها ما تقتضيه من فرد آخر كالإنسان فإنه يقتضي في (زيد) ما يقتضيه في (عمر) بخلاف الماهية الجنسية.

¹ - الشريف الجرجاني (علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي) التعريفات، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان دط، 2005م، ص44.

² - المرجع نفسه، ص137.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص137 - 138.

1-1 - الفكر و التصور

التصور ملكة بشرية يفتقدها الجماد و النبات و إلى حد ما العجاوات... و بعبارة أخرى فإن ما نعرفه عن الوجود هو في الأساس تصوراتنا المختلفة له، و بقدر صحة التصور تكون صحة الإدراك. و العلم و الفهم و القرب من الحقائق و بالتالي صواب سلوكياتنا في الحياة، ... و تصورنا عموما ليس هو الحقيقة و لا الواقع، لكنه تمثيلات رمزية محدودة ومتغيرة. لبعض مظاهر الحقيقة أو أوجهها أو آثارها أو للواقع الذي هو نتاج تفاعلات الحقائق، أما الفكر فهو ناتج تفاعلات التصورات العقلية، و التصورات هي أساس عمل العقل و وجوده، و حين يعجز العقل عن تصور قضية فإنه يرفضها أو يحاول تجنبها¹.

1-2 - الخلاف و التصور

إن اختلاف التصورات هو أبرز أسباب الخلافات و الصراعات، فالحقيقة المجردة واحدة، و لو صح تصورنا لها لكان ذلك سببا كافيا لتوحدنا و إتفاننا حولها، و لكن قصور و شدة تباين التصورات يولد التناقضات، و ينشئ الخلافات، كما أن صور الإدراك تتعدد؛ فاللغات والأساليب و المناهج التي نستخدمها في التفكير و التعبير، والنماذج التي في عقولنا تتعدد هي أيضا، و المقدرة على التصور تختلف من شخص لآخر، و الأشياء التي يسهل تصورها يسهل التعامل معها أو يتعذر تصورها؛ فيمكن بالعقل الاستدلال عليها بما يشبهها أو بآثارها كالكهرباء و الجاذبية².

¹ - ينظر: هاني عبد الرحمان مكرم، التصور العقلي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1999م، ص47.

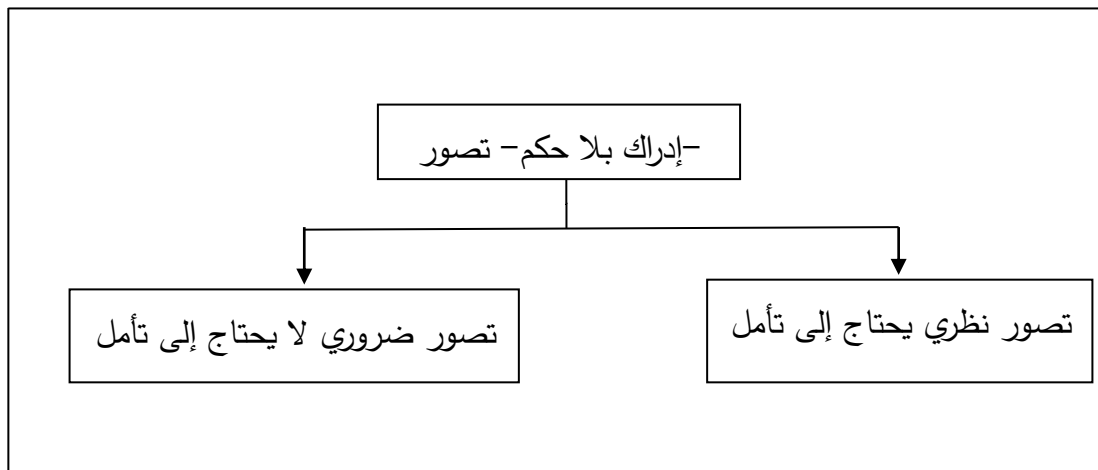
² - ينظر: المرجع نفسه، ص 49.

2- تكون التصور و صحته

يعد التحليل و التركيب من أبرز الأنشطة العقلية و الأساليب العلمية المعروفة لدى المفكرين و الباحثين، فبالتحليل يتعمق الفهم و تظهر بعض الخفايا، و بالتركيب تتجاوز الجزيئات فتتكون الصور و التصورات، وكل من التحليل و التركيب شديدا الحساسية لمدى الدقة، لكن التركيب أشد رغم أن التحليل هو الأسبق زمنيا، و درجة الدقة تحكم درجة صحة التصور¹، فالتصور الصحيح ناتج عن التحليل والتركيب الصحيحين.

3- أقسام التصور:

يقول الرازي: «العلم إما تصور و إما تصديق، فالتصور هو إدراك الماهية من غير أن نحكم عليها بنفي أو إثبات، كقولك الإنسان فإنك تفهم أولا معناه، ثم تحكم عليه إما بالثبوت و إما بالانتفاء، كذلك الفهم السابق هو تصور، والتصديق هو أن تحكم عليه بنفي أو إثبات»²، و نشير إلى أن لكل من التصور أقسام، والمخطط التالي يوضح ذلك:



الشكل 10: أقسام التصور

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 52.

² - الرازي، معالم أصول الدين، حققه: نزار حمادي وآخرون، دار الفكر اللبناني ودار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (دط)، 1992م، ص 18.

ولا يمكن أن نصل إلى مرحلة التصديق إلا من خلال المرور بمرحلة التصور، والعكس غير صحيح¹، يقول قطب الدين الرازي: «الجميع اتفقوا على أن التصديق يستدعي التصور من غير عكس»².

ثانياً: النحو وتداخل المصطلحات:

للنحو عدة تعريفات أهمها تعريف ابن جنّي إذ يعرفه بقوله: « انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية و الجمع والتحقيق والتكسير والإضافة والنسب والتركيب...، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها، وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها ردّ به إليها، وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحووا كقولك قصدت قصدا ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم، كما أن الفقه في الأصل مصدر (فقهت الشيء) أي عرفته ثم خض به علم الشريعة من التحليل والتحريم »³.

يقوم هذا التعريف على عدة ركائز أهمها:

- * النحو مرتبط بإتباع طريقة العرب في كلامهم؛ أي السير على طريقتهم.
- * الربط بين موضوعات علم النحو وعلم الصرف؛ لكونهما علمين متكاملين.
- * تحديد الهدف من معرفة النحو وهو أن يلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة، وإن أخطأ يرد بقواعد اللغة إليها.

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص27.

² - قطب الدين الرازي، رسالتان في التصور و التصديق، تحقيق: مهدي شريعي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م، ص122.

³ - أبو الفتح عثمان ابن جنّي، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، ط1، 2015م، 103/1.

*أصل كلمة " نحو " أنه مصدر عام من نحوت نحواً ثم تحول إلى المعنى الاصطلاحي.¹

فالملاحظ أن ابن جنّي مزج بين موضوعات علم الصرف وعلم النحو، وهما في نظره متكاملان، والعلاقة بينهما علاقة أسبقية، فالتصريف كما يقول: «إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، و النحو ينبغي له أن يبدأ بمعرفة التصريف؛ لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن تكون أصلاً لمعرفة حاله المتقلّبة»²، كما أن هدف النحو يتجاوز الناطقين باللغة العربية إلى غير الناطقين بها، وقبل التطرق لنشأة النحو لابد من تحديد الفرق بينه و بين عدة مصطلحات تتداخل معه.

1- الفكر النحوي والنحو: القاعدة/ التقعيد:

فالفكر النحوي (التقعيد) وسيلة إنتاج القاعدة ومنهج دراستها؛ وهو بهذا الجزء المتغير من النحو، وأما النحو (القاعدة) فهي ثابتة إذ تستند إلى وصف الواقع الثابت من الاستعمال اللغوي الصحيح الذي ارتضاه العرب وعلماء الأمة العربية في عصر الاستقرار والاحتجاج³، فما يهمننا في هذا البحث هو الفكر النحوي المتمثل في الآليات والمناهج التي اتبعها النحويون و إنتاج القاعدة النحوية، وهنا يظهر تأثير العلوم الإسلامية بالعلوم اللغوية وتبادل الأخذ والعطاء فيما بينهما.

¹ - ينظر: صابر بكر أبو السعود، النحو العربي دراسة نصية، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، (دط)، 1987م، ص 48.

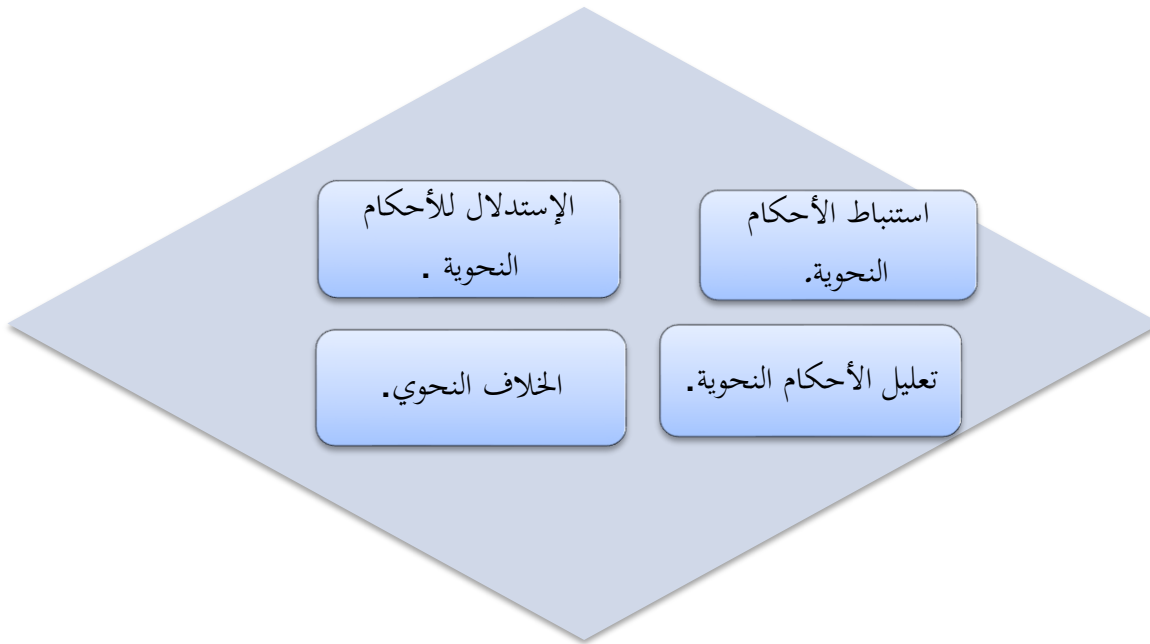
² - ابن جنّي، المنصف، دار إحياء التراث القديم، ط 1، 1954 م، ص 4.

³ - ينظر: حسن خميس الملخ، التفكير العلمي في النحو العربي، الاستقرار، التحليل، التفسير.

2- أصول النحو و النحو:

يعد أصول النحو ميدانا يتجاوز التفكير في اللغة إلى البحث عن مؤسساتها الكلية، ومعالجة فلسفة النحاة في التعليل، والتفصيل، والتأصيل، فأصول النحو يراد بها منهج النحو ومنطقه الذي صدر عنه في بناء نظريته.¹

وقد حدده محمد العمري بقوله: هو العلم الذي تعرف به أصول (أسس) التفكير النحوي في الإجراءات العلمية الآتية²:



الشكل رقم 11: موضوعات أصول النحو

¹ - محمد عبد الفتاح الطيب، ضوابط الفكر النحوي (دراسة تحليلية للأسس الكلية التي بني عليها النحاة آراءهم، مج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، القاهرة، (دط)، (دت)، ص35، 36.

² - محمد العمري، مقطع من المحاضرة من مقرر أصول النحو والصرف، أكاديمية نماء للعلوم الإسلامية و الإنسانية. <https://bi.hy/f60isz>، 13/12/2021، اطلع عليه بتاريخ 13/12/2021، على الساعة 20:00.

وما يجب التأكيد عليه أنه لا نحو بدون أصول، ومعنى هذا أن أصول النحو كانت مدركة و مطبقة منذ عصور الرواد عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي و أبي عمرو بن العلاء؛ لأن الدراسة النحوية العربية لابد أن تبنى على أسس عقلية وعقلية، و إلا كانت فوضى لا ضابط لها، فأصول النحو موضوعه البحث في الأسس الكلية التي يستند عليها النحوي في دراسته للغة من اللغات، فالأصولي لا يتعامل مع النصوص اللغوية إلا بقدر ما يكتشف عن القاعدة الأصولية أما موضوع علم النحو فهو استقراء كلام العرب لاستنباط الأحكام النحوية اعتمادا على القواعد الأصولية، فالأصولية وسيلة النحوي، والقواعد النحوية وسيلة الأصولي، ومن هذا المنطلق نحكم بأن كتاب سيبويه كتاب نحو يتناول فروعه وكتاب (الخصائص) لابن جني كتاب أصول¹. من خلال ما تقدم نستنتج أن أصول النحو هو الميدان الذي يتبين فيه أثر المذاهب الفكرية وتجلياتها.

ثالثا: التصورات النحوية:

لقد احتضنت دار الحديث العامة عام 1435هـ مجالس علمية تلقى فيها ثلة من طلبة علم التصورات النحوية على الشيخ أبي مسلم محمد موسوي، و في يوم السبت 21 رمضان 1435هـ، الموافق لـ 19 جويلية 2014 م، عبر قناة جمعية العلماء المسلمين شعبة تلمسان بالتنسيق مع مكتبة دار الحديث مجلسا ترأسه الشيخ بن يونس آيت سالم قصد منح الإجازة للطلبة، وتكريم الشيخ أبي مسلم محمد موسوي، ونشير إلى أن لأبي مسلم محمد موسوي كتابا معنونا ب: علم التصورات النحوية.

1- سبب تأليف كتاب علم التصورات النحوية

¹ - ينظر: محمد الحباس، النحو العربي بين التأثير و التأثر عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م،

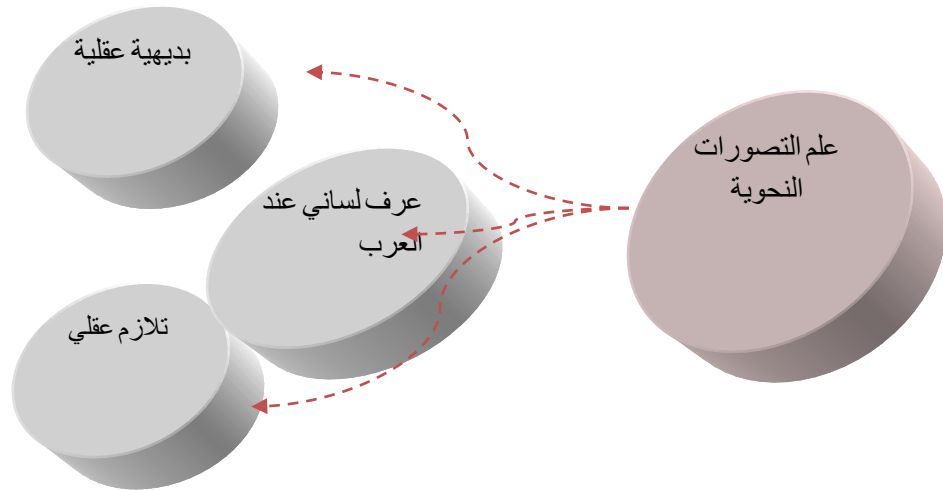
وذكر في تسجيلاته عبر الأنترنت أن سبب تأليفه راجع إلى أن الله وفقه إلى إسقاط جديد في علم النحو.

2- ماهية علم التصورات النحوية

هو علم نستطيع من خلاله استخراج علم النحو عن طريقة التلازم العقلي انطلاقاً من بعض البديهيات مع اعتبار عرف العرب في لسانها.¹

3- أسس علم التصورات النحوية

علم التصورات النحوية قائم على ثلاث مسائل هي:²



الشكل 12: أسس علم التصورات النحوية

رابعاً: مراحل التأثير بين النحو و علم العقيدة:

¹ - تسجيلات الشيخ مسلم محمد موسوي، 15 ديسمبر 2018م. (جمعية العلماء المسلمين تلمسان - YOU Tube) ،

تاريخ الاطلاع: 12 ديسمبر 2018م. بتوقيت 10:00.

² - المرجع نفسه.

إن الأثر و التأثير بين علم العقيدة و العلوم العربية هي أقوى مجالات ظهور الترابط بين العلوم الشرعية، وعلوم اللغة العربية، وهذا ما أكده علماء العربية أنفسهم، حتى عقد ابن جني في كتاب الخصائص باباً أسماه (باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية)¹، وهي إشارة إلى أن علم العربية عامل أساسي في استنباط الأحكام العقدية من النصوص الشرعية. وقال في هذا الباب: «أعلم أن هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب، وأن الانتفاع به ليس إلى غاية ولا وراءه نهاية، و ذلك أن أكثر من ظل من أهل الشريعة عن القصد فيها و حاد عن الطريقة المثلى إليها، فإنما استهواه و استخف حمله ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة التي خوطب الكافة بها، و عرضت عليها الجنة والنار من حواشيها و أصنافها»².

يتبين من خلال قول ابن جني أن التمكن من اللغة العربية شرط أساسي لفهم الشريعة وفي بيان هذه العلاقة أيضا يقول ابن خلدون: «و الذي يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول، و المبتدأ من الخبر و لولاه لجهل أصل الإفادة، و كان من حق علم اللغة التقدم لو لا أن أكثر الأوضاع باقية في موضوعاتها، لم تتغير بخلاف الإعراب الدال على الإسناد و المسند والمسند إليه فإنه تغير بالجملة، و لم يبق له أثر، فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة، و ليست كذلك اللغة»³.

من خلال ما تقدم يتبين مدى أثر ترابط هذين العلمين و تداخلهما و يمكن أن نكشف عن هذا التأثير وفق مرحلتين:

¹ - محمد بن عبد الله بن حمد السيف، الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم جمعا و دراسة، دار التدمرية، الرياض، المملكة العربية السعودية ، مجلد 1، ط 1، 2008 م، ص 62.

² - ابن جني، الخصائص، 245/3 .

³ - مقدمة ابن خلدون، ص 469.

المرحلة الأولى	المرحلة الثانية
مرحلة حماية آيات القرآن الكريم من اللحن و التحريف، وهذه المرحلة واكبت نشأة النحو العربي؛ بل كانت هي الدافع إلى التفكير النحوي، فالدافع العقدي كان حاضرا في التفكير النحوي منذ اللبنة الأولى، بل كان أبرز دوافع نشأة هذا التفكير. مميزات الأثر: ويتسم هذا الأثر العقد بكونه فطريا قريبا من طبيعة العلوم الشرعية في ذلك الوقت، وبعيدا عن المؤثرات المنطق، و الفلسفة، والعلوم الوافدة، واستمرت هذه المعالم في الدرس النحوي في مراحله الأولى على أيدي الطبقات الأولى منهم؛ من خلال المناظرات، و المناقشات، و حتى فيما وصلنا عن مؤلفاتهم النحوية¹.	مرحلة صياغة الفكر النحوي وفق المؤثرات النطقية والكلامية في جوانب مختلفة من الدرس النحوي²؛ حيث برز التأثير الكلامي الخارجي بعد مرور فترة مناسبة على دخول الثقافة الأجنبية إبان مراحل الترجمة، و كان من أبرز مظاهر هذا التأثير الخارجي الأثر المنطقي الذي شاع لدى النحاة المتكلمين كأبي علي الفارسي وابن جنّي و الرمانى، وجاء هذا التأثير المنطقي في كثير من جوانبه مقصورا على الشكل دون المضمون³. ويمكن اعتبار ابن السراج بداية مرحلة جديدة في تأثير علم الكلام في النحو؛ حيث بدأ على يديه مرحلة التأثير المنطقي، وكانت المراحل السابقة مقصورة على التأثير العقدي و الكلامي، فقد أفاد ابن السراج من المنطق من الناحية الشكلية؛ حيث استخدم أسلوب المناطق في التقسيم والترتيب؛ لكنه لم يتوغل في الاستفادة من المنطق إلى الأصول و الأفكار⁴.

¹ - ينظر: محمد بن عبد الله بن حمد السيف، الأثر العقدي في تعدد التوجه الإعرابي، ص 64، 65.

² - المرجع نفسه، ص 65.

³ - مصطفى أحمد عبد العليم بخيت، أثر العقيدة و علم الكلام في النحو العربي، ص 47.

⁴ - المرجع نفسه، ص 41.

خامسا: مستويات التداخل بين المذاهب الفكرية و التصورات النحوية

يتجلى هذا الترابط و التداخل على مستويين¹:

الجانب التطبيقي و التحليلي للنصوص الشرعية	الجانب التنظيري و التقعيدي
وهو المتمثل بالتوجه الإعرابي، و بيان وجه الدلالة فيها.	و ذلك بظهور الأثر العقدي الكلامي في كثير من جوانب الفكر النحوي المتعدد؛ حيث كان التأثير في النحو العربي على مستوى الشكل والأسلوب، وعلى مستوى المضمون والأفكار أيضا. على مستوى المضمون: *الأصول النحوية: أنواع الأدلة كالسماع، و القياس. *الأسس العامة التي وجهت التفكير النحوي كالتعليل والعامل. على مستوى الشكل: *المصطلحات النحوية المتأثرة بالمصطلحات الكلامية. *لغة التأليف النحوي ² .

يتضح أن « النحوي يستمد من دراسته للفقهاء، أو الأصول، أو العقائد عددا من الأفكار، والمصطلحات، والعلل، والأقيسة عند نظره في الموضوعات النحوية؛ لأن تلك العلوم ممتزجة في عقله، ينتقي منها ما يلائم الموضوع الذي يبحث فيه؛ لأن هذه العلوم كالتوأم تعيش في بيئة واحدة و مؤثرات واحدة، وهذا يختلف عن أثر كل من الفلسفة، أو

¹ - الأثر العقدي في تعدد التوجه الإعرابي، ص 63.

² - ينظر: مصطفى أحمد عبد العليم، أثر العقيدة و علم الكلام في النحو العربي، ص 473.

المنطق، وسائر العلوم الأجنبية في النحو العربي، لأن تلك العلوم لم يعرفها العرب إلا عند ترجمتها بعد وفاة الخليل».¹

خلاصة الفصل:

نتوصل من خلال هذا الفصل إلى عدة نتائج أهمها:

1- إن المذاهب الفكرية الإسلامية تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي: مذاهب اعتقادية، مذاهب سياسية، مذاهب فقهية؛ حيث تنقسم المذاهب الاعتقادية إلى: معتزلة، وأشاعرة وجبرية ومرجئة.. وتضم: المذاهب السياسية الخوارج، والشيعة، في حين تشمل المذاهب الفقهية، مذاهب فقهية منتشرة (الحنفي، المالكي، الشافعي، والحنبلي)، ومذاهب مندثرة (مذهب الإمام الأوزاعي، مذهب الليث بن سعد، مذهب أبي ثور، مذهب داود بن علي الأصبهاني).

2- هناك فرق بين المذهب والفرق؛ إذ أن مصطلح المذهب أشمل من الفرق.

3- هناك اختلاف بين المعتزلة والأشاعرة سواء من ناحية المنهج أو من ناحية تحديد الموضوعات.

4- إن مصادر الاستنباط داخل المدرسة الظاهرة هي الكتاب والسنة، والإجماع، والدليل؛ حيث يعتبر المصدر الاستنباطي الأخير، مسلكا متميزا في التعامل مع النصوص والألفاظ.

5- تتداخل مناهج الأصوليين بمناهج المتكلمين؛ إذ يعد منهج المتكلمين أحد أهم المناهج عند الأصوليين، وفي هذا المنهج يتبع المتكلمون نهجا منطقيا نظريا مجردا، ويسمى تارة بمنهج الشافعي وتارة أخرى بمنهج المتكلمين.

¹-كريم حسين ناصح الخالدي، الفكر النحوي العربي بين فهم النص و القرآن و سلطة العقل، ط1، 1437هـ/2016م، دار الرضوان للنشر و التوزيع، عمان، ص70.

6- من بين مظاهر تلقي المعتزلة عن الفلاسفة أسلوبهم في الجدل، والكلام مبدأ تعظيم العقل، مسألة التعطيل.

7- إن التداخل بين المذاهب الفكرية والتصورات النحوية تتجلى في مستويين:
المستوى الأول: ويتمثل في الجانب التنظيري والتعديدي في الأصول النحوية من سماع، وقياس، وعلة، واستحسان، وفي المصطلحات النحوية.
المستوى الثاني: الجانب التطبيقي والتحليلي للنصوص الشرعية، والمتمثل في التوجه الإعرابي وبيان وجه الدلالة فيها.



المبحث الأول: مفهوم المصطلح النحوي وتشكله.

المبحث الثاني: المصطلح الفقهي والمصطلح النحوي الدلالة
ووحدة المنبع.

المبحث الثالث: المصطلح الكلامي و المصطلح النحوي
الاشتراك والشيوع.

المبحث الرابع: الأثر الفقهي والكلامي في الخلاف المصطلحي.

قال الشاطبي في وصف المصطلح: «إما واصفا لعلم كان، أو ناقلا لعلم كائن، أو مؤسسا لعلم سيكون؛ فهو فقرات صلب العلم، فكأن العلوم نفوس والمصطلحات جسام، و لا يمكن إدراك النفوس وأحوالها إلا بمعرفة جسامها» .

الموافقات 77/1.

تمهيد:

يعرف ابن جني اللغة بقوله: « حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم »¹، فابن جني من خلال هذا القول حدد أهم خصائص اللغة، حيث ركز على حالتها الأولى وهي الأصوات، إذ تعد الوحدات الصغرى لتشكل أي لغة، كما حدد وظيفتها وهي التعبير عن الأغراض والمقاصد، وذكر أهم شروطها، والمتمثلة في الاتفاق بين جماعة معينة، ويظهر هذا في كلمة "كل قوم"؛ وهي بهذا ظاهرة اجتماعية وهذه اللغة إذا اقترنت بعلم من العلوم، أصبحت لها خصائص مضافة إلى ما سلف ذكره، ولعل هذه أهم خصائص المصطلحات، فما مفهوم المصطلح؟ وكيف نشأت المصطلحات النحوية؟ وما الاعتبارات التي يراعيها النحاة لوضع هذه المصطلحات؟ وما مظاهر أثر المذاهب الفكرية في المصطلح النحوي، هذه الأسئلة وغيرها سنحاول الإجابة عنها في هذا الفصل.

المبحث الأول: مفهوم المصطلح النحوي وتشكله:

أولاً: مفهوم المصطلح النحوي:

لتحديد مفهوم المصطلح النحوي لابد من التطرق لمفهوم المصطلح بصفة عامة، وذلك بغية الكشف عن العلاقة بينهما .

1- لغة: صلح عند الزمخشري: « من صَلَحَتْ حَالُ فُلَانٍ، وهو على حَالٍ صَالِحَةٍ وَصَلَحَ الأمر و أَصْلَحَتْهُ، و أَصْلَحَ الله الأمير، و أَصْلَحَ إلى دَابَّتِهِ أَحْسَنَ إِلَيْهَا وَتَعَهَّدَهَا، و فُلَانٌ مِنَ الصُّلَحَاءِ »².

وقد ورد في لسان العرب « صَلَحَ الصَّلَاحُ ضِدُّ الفَسَادِ يَصْلُحُ وَيُصْلِحُ صَلَاحًا وَصُلُوحًا...، وقد اصْطَلَحُوا وَصَالَحُوا وَ أَصْلَحُوا وَتَصَالَحُوا وَصَالَحُوا معنى واحد »³.

¹ - ابن جني، الخصائص، ص 101.

² - الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (دط)، (دت)، ص 359.

³ - ابن منظور (ابن الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج2، (دت)، ص 516.

2- اصطلاحاً: أقدم تعريف له ورد عند الجرجاني إذ يقول: «الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما، ينتقل عن موضعه الأول»¹.

يتبين من خلال قول الجرجاني، أن المصطلح أو الاصطلاح مرتبط بجماعة معينة تختلف باختلاف العلم الذي تختص به، كما يرتبط الاصطلاح بالانتقال من الموضع الأول إلى الموضع الثاني؛ أي من الدلالة الأولى فيظهر لنا أن للمصطلح مجالين تداوليين هما:

أ-المجال التداولي الأول: وهو المجال الأصلي الذي ولدت فيه الكلمة أول الأمر.

ب-المجال التداولي الثاني: وهو المجال الثاني الذي انتقلت إليه الكلمة.

كما أن بين هذين المجالين روابط تجمع بينهما؛ من حيث إن الثاني متفرع عن الأول بالمناسبة و المشاركة، فإن بينهما علاقة مفارقة من جهة أن الثاني يحاول التمييز عن الأول بمحدودية التداول لمحدودية المجال؛ فإذا كان تداول اللفظ في المجال الأول مشاعاً بين جميع المنتمين إلى تلك اللغة، فإن المصطلح في المجال الثاني محصور تداوله بين فئة محدودة من المنتمين إلى تلك اللغة، وهذه المحدودية تأتيه من جانبين اثنين هما:²

أ-انتقل و انتسب إلى بيئة لغوية جديدة.

ب- من مقابلته لغيره من مصطلحات لقيمة خلافية، مع مرجعيته الأولى؛ أي إقامته لعلاقة توافقية أو ينتمي إليها. انسجامية مع مصطلحات ذلك الفن

وهذا عادة ما يكون أثناء تعريب المصطلحات أو ارتجالها.

¹ - الجرجاني: التعريفات، ص128.

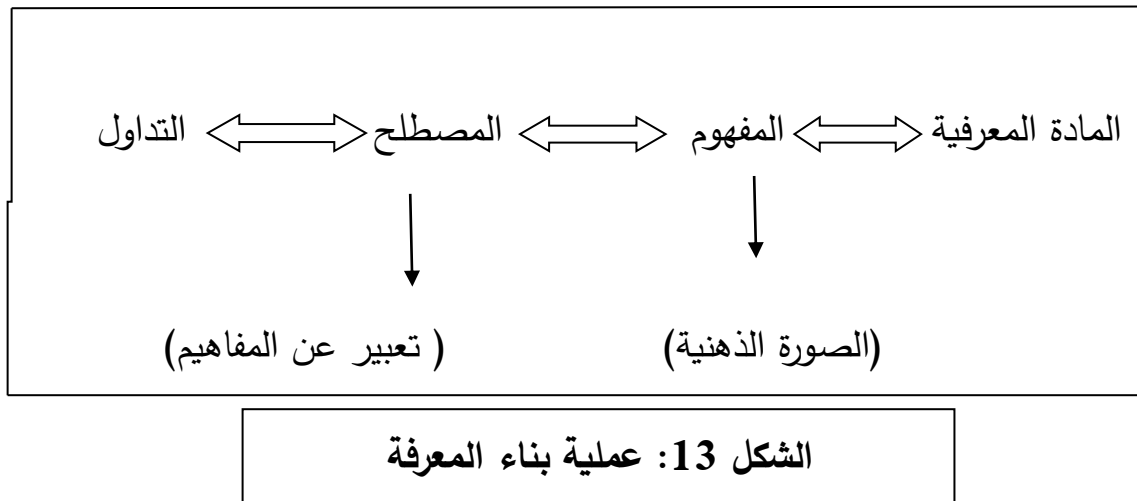
² - ينظر: اليزيد بلعش، العملية الاصطلاحية و بصمتها في النحو العربي آلية لفهم العلوم، جامعة باتنة1، الجزائر ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 27، ديسمبر 2012م، ص263.

وبهذا يعرف المصطلح النحوي بكونه: « اتفاق بين النحاة على استعمال ألفاظ فنية معينة في التعبير عن الأفكار و المعاني النحوية».¹

3- المصطلح و تداخل المفاهيم:

يتداخل المصطلح مع مجموعة من المفاهيم أهمها: المفهوم، والحد، والتعريف، فما العلاقة بينها ؟

أ - **المصطلح و المفهوم:** يعد المصطلح و المفهوم دعامتين أساسيتين لعملية بناء المعرفة؛ إذ يمثل المفهوم بالنسبة للمعرفة صورتها الذهنية المعكوسة في الذهن، أما المصطلح فإنه يمثل معجمها الخاص أو لغتها التي ينفرد بها، والتي تخرج المفهوم من حيزه الضيق (الذهني) إلى مجال واسع إنه مجال التداول، ويمكن تمثيل ذلك بالمخطط التالي:²



¹ - عوض محمد القوزي. المصطلح النحوي نشأته و تطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، المملكة العربية

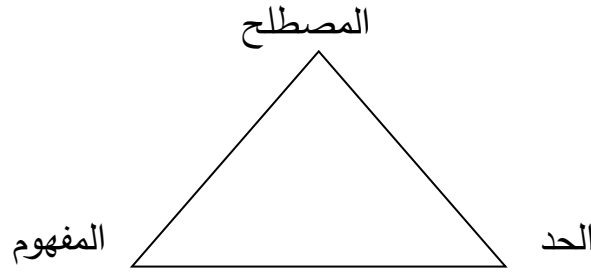
السعودية، ط1، 1981م، ص34.

² - اليزيد بلعش، المرجع السابق، ص267.

من خلال المخطط يتبين الفرق بين المصطلح والمفهوم « فليس من الضروري أن يحمل المصطلح كل صفات المفهوم الذي يدل عليه، بل يحمل صفة واحدة على الأقل منه، فكلمة سيارة لا تحمل من دلالة الكلمة إلا صفة واحدة وهي السير »¹.

فالمفهوم هو المرحلة الأولى التي تمر بها عملية بناء المعرفة، بعدها يتشكل المصطلح.

ب- المصطلح والحد: يرتبط المصطلح بثلاثية لا انفصال لإحدى حلقاتها فإذا تغيرت إحدى زوايا هذا المثلث؛ أدى ذلك بالضرورة إلى تغير في الزاويتين الباقيتين والمخطط يبين ذلك:²



الشكل 14: العلاقة بين المصطلح والحد

فالمتكلم المتخصص بعد أن يتكون لديه تصور ذهني (مفهوم) لشيء ما موجود في الواقع قد يحده أو يعرفه أولاً، وهي خطوة أولى ومبكرة توحى بفهم ذلك الشيء الخارجي، وتكوين تصور ذهني له، لكن المتخصص يتمكن من ربط ذلك المفهوم بمجموعة مفاهيم

¹ - محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب، (دط)، (دت)، ص15.

² - رياض عثمان، تشكل المصطلح النحوي بين اللغة و الخطاب - دراسة صناعة المداخل الاصطلاحية في تفكير الزمخشري - ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2011م، ص15.

مجانسة أو مقارنة، ثم اختيار رمز دال عليها، وهذه المرحلة هي المرحلة الأولى السابقة لمرحلة النضج الفكري فيطلق عليه مصطلحا رمزا خاصا¹.

مما تقدم يتبين أن تشكل المصطلح يمثل مرحلة النضج الفكري، وهي مرحلة مبنية على خطوات مهمة لا استغناء عنها تتمثل في تكون المفهوم ووضع الحدود.

ثانيا: تشكل المصطلح النحوي وأسس بنائه:

1- تشكل المصطلح: المقصود بتشكيل المصطلح طريقة تأليفه و إلقاءه، فالألفاظ وليدة الحاجة، فهي بهذا وحدات معجمية، و المصطلحات خلاصة توافق وتوافق تستقي رموزها من لمّ متناثر في المجتمع و البيئة المحيطة²؛ أي أن المصطلحات ترتبط بالمجتمع والبيئة المحيطة، لذلك تأثر المصطلح النحوي في شكله بالفقه وأصوله وكذا بعلم الكلام .

إن هناك (عدة أسباب أدت إلى تطوير العبارات الواصفة و جعلها مصطلحات نحوية مختصرة وهي:

أ- وجود حلقات الدراسة و المجالس النحوية التي يدور فيها الحوار حول الأحكام النحوية التي استتبطت، فلا يعقل أن يدور الحوار بين الشيخ و المتعلم في الموضوعات النحوية باستعمال تلك الأوصاف الطويلة، ولا يعقل أن يستمر ذلك طويلا لما يتطلبه الحوار المتضمن السؤال، و الجواب من اختصار في القول، و إيجاز في العبارات، وهذا الاختصار يفرض بالتدريج إلى صياغة المصطلح النحوي.

¹ - ينظر: علي توفيق الحمد، قراءة في مصطلح سيبيويه تحليل ونقد، مجلة العلوم اللغوية، مج9، عدد 1 خاص بالمصطلح النحوي، القاهرة، مصر، 2006م، ص 16.

² - ينظر: رياض عثمان، المرجع السابق، ص80.

ب- إن تطور البحث النحوي، و النضج الفكري عند علماء النحو و تمكنهم من أسرار الأحكام النحوية و دلالاتها يؤدي إلى تطوير المصطلحات.

ج- للخلاف النحوي أثر في تطور الدلالات الاصطلاحية، وقد ساعد في ذلك وجود ظاهرة الترادف مما أدى إلى ظهور أكثر من مصطلح لمعنى واحد، وكلها تدل على ذلك المعنى دلالة لغوية واحدة.¹

من خلال ما تقدم يمكن القول: إن المصطلحات النحوية لم تنشأ دفعة واحدة؛ ولكنها مرت بعدة مراحل و تأثرت بعوامل داخلية و خارجية أهمها الخلاف النحوي، و الاحتكاك بالمذاهب الفكرية الأخرى، مما أدى إلى الأخذ و العطاء بين هذه المذاهب و المذاهب النحوية خاصة في مجال المصطلح.

2-أسس بناء المصطلح النحوي:

لبناء المصطلح عدة اعتبارات، ولكن « اللافت للانتباه في هذا الشأن أن صياغة المصطلح النحوي لم تسلك مسلكا واحد في الاعتبار المعتمد لصياغته، فقد ترد الصياغة باعتبار الشكل تارة، و باعتبار الدلالة و الوظيفة تارة أخرى ²، فهناك أسس لبناء المصطلح النحوي ؛ فقد بنى النحاة القدامى فكرتهم الاصطلاحية على اعتبارين هما:

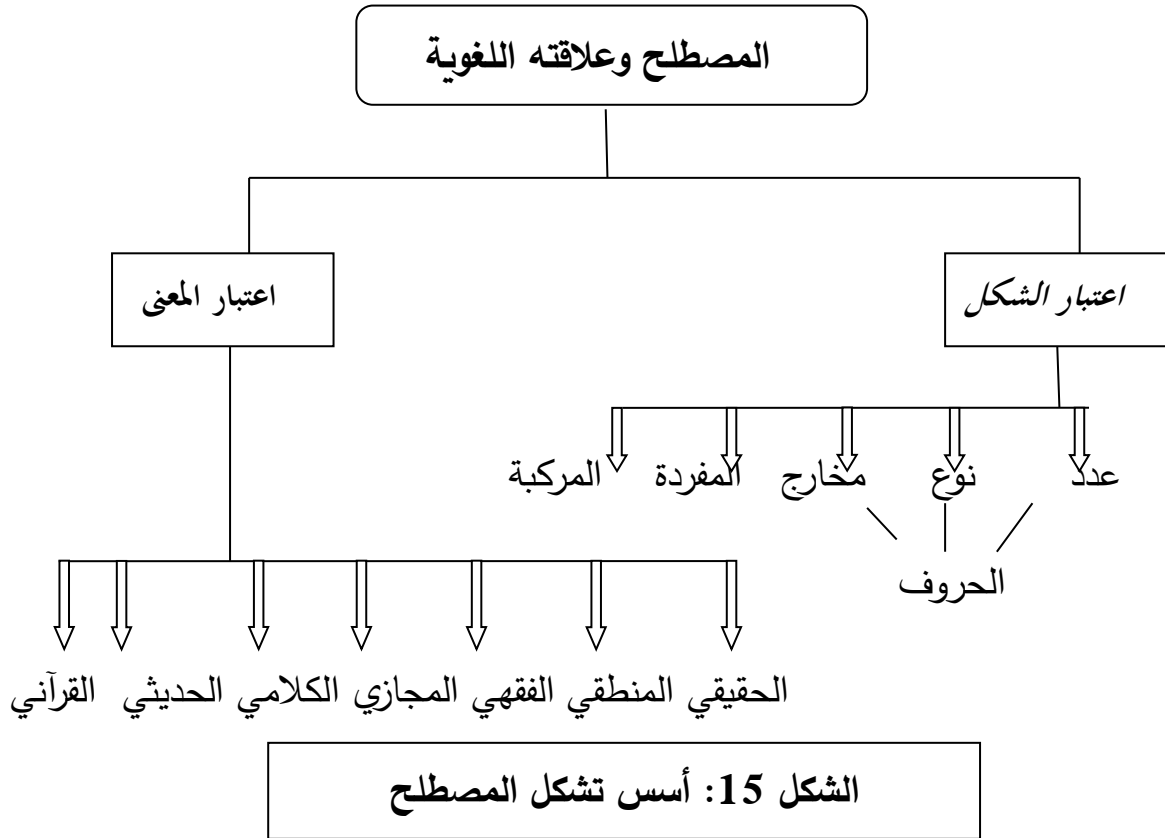
«اعتبار الشكل واعتبار المعنى، نجمت عنهما صفتا التمام، و النقصان»³.

¹ - كريم حسين ناصح الخالدي، الفكر النحوي بين فهم النص القرآني و تأثير سلطة العقل، دار الرضوان للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2016م، ص410.

² عبد القادر حمراي، المصطلح النحوي بين الشكل و الدلالة، مجلة دراسات لسانية، العدد6، جامعة لونيبي علي، البليدة ، الجزائر، مارس 2017م، ص8.

³ - رياض عثمان، المصطلح النحوي و أصل الدلالة، دراسة إبستمولوجية تأصيلية لتسمية المصطلحات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص38.

والمخطط التالي يوضح أسس تشكل المصطلح النحوي:



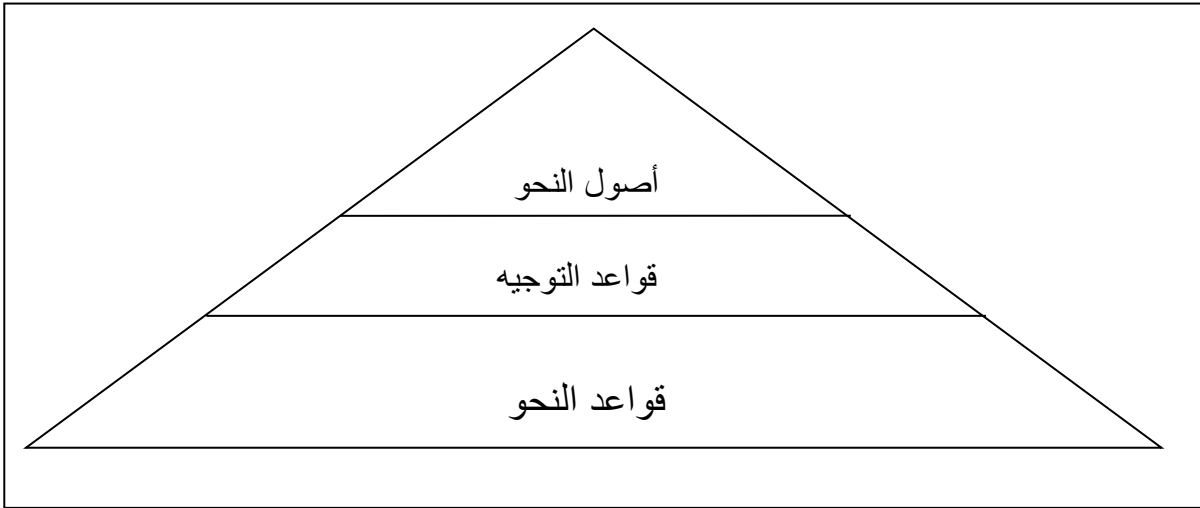
ثالثاً: الاضطراب في فهم دلالة بعض المصطلحات:

ونشير إلى وجود اضطراب في فهم دلالة بعض المصطلحات النحوية رغم وجود فرق بينها ومثال ذلك: قواعد التوجيه وأصول النحو، وفيما يلي بيان ذلك .

1-علاقة قواعد التوجيه بأصول النحو:

قواعد التوجيه هي تلك الضوابط المنهجية التي وضعها النحاة، والتزموا بها في التقعيد النحوي، وبناء الأحكام، وهي تعد جزءاً من أصول النحو، ويمكن بيان العلاقة بين قواعد التوجيه وأصول النحو على الشكل التالي:¹

¹ - عصام عيد أبو غربية، أصول النحو عند السيوطي بين النظرية والتطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2006م، ص 502.



الشكل 16: يمثل العلاقة بين قواعد التوجيه وأصول النحو وقواعد النحو

فأصول النحو هي التي تغطي وتشمل كلاً من قواعد التوجيه وقواعد النحو، حيث أن فالأصول النحوية هي الأعم والأشمل من غيرها¹.

ومما يؤكد على أن قواعد التوجيه من أصول النحو ما يأتي:

- 1- إنّ من النحاة من درسها ضمن كتابه الذي جعله تحت عنوان "الأصول".
- 2- إن منها ما يتصل بالعامل من حيث إثبات عمله، أو نفيه، أو تفضيل عمل عامل على آخر، ومن النحاة من جعل العامل ضمن أصول النحو.
- 3- إنّ من النحاة من أطلق على بعض القواعد مصطلح الأصل².

2- العلاقة بين قواعد التوجيه وقواعد النحو:

العلاقة بينهما هي علاقة العموم والخصوص، فقواعد التوجيه لا تهتم بالمسائل المفردة في الأبواب النحوية - فقط - كقواعد النحو؛ بل تهتم أيضاً بالقواعد الكلية العامة

¹ - المرجع السابق، ص 502.

² - المرجع نفسه، ص ن.

التي لا تختص بباب واحد، وإنما توظف في أكثر من باب، ويمكن توضيح أوجه الاختلاف بين قواعد التوجيه، وقواعد النحو في الجدول التالي:⁽¹⁾

قواعد التوجيه	قواعد النحو
لا يسبقها إلا توجيه لبعض التراكيب أو قواعد نحوية يترتب عليها توجيه التراكيب التي توضحها وتعد أمثلة عليها.	تسبقها عدة مراحل هي: الاستقراء والتقسيم، والتجريد، والتعديد، وتعد نتيجة لهذه المراحل.
وظيفة قواعد التوجيه فتقرير التوجيه الذي تذكر في سياقه، وتفسيره، أو تعليقه، أو الاستدلال عليه.	وظيفة القواعد النحوية التوجيه النحوي.
إن قواعد التوجيه يمكن الاستغناء عنها.	لا يمكن الاستغناء عنها، ويتم التوجيه بناءً عليها لأنها تكسبنا أن نتكلم كما يتكلم العرب.
قواعد التوجيه مترتبة على القواعد النحوية.	القواعد النحوية تسبق قواعد التوجيه في شأنها.
أما قواعد التوجيه فقد توظف القاعدة الواحدة في أكثر من باب نحوي.	لكل باب نحوي قواعده النحوية الخاصة به.
قواعد التوجيه أعم من قواعد النحو؛ لأنها تتعلق بالفكر النحوي نفسه.	تحكم القاعدة الواحدة من قواعد التوجيه عددًا كبيرًا من القواعد النحوية.
قواعد التوجيه تتعلق بفلسفة النحو.	أما القواعد النحوية فتتعلق بالكلام.

¹ - المرجع السابق، ص 503.

المبحث الثاني: المصطلح الفقهي والمصطلح النحوي الدلالة ووحدة المنبع:

إن من طبيعة العلوم أن تتأثر ببعضها خاصة إذا كانت تجمع بينها جوانب مشتركة، وتدور حول فهم نص واحد هو القرآن الكريم، فلقد تأثر علم النحو بعلم الفقه وأصوله وتجلي هذا خاصة في مجالين أساسيين هما المصطلح و المنهج، فمتى بدأ التأثير الفقهي في المصطلحات ؟ وفي أي نوع من المصطلحات تجلى هذا التأثير ؟ هذا ما سوف نتطرق إليه.

أولاً: أقسام المصطلحات النحوية من حيث التأثير:

1- أنواع المصطلحات النحوية:¹

لقد ذكر علي أبو المكارم أنه في مجال تحليل علاقة المصطلحات النحوية بالأصولية يجب التفرقة بين نوعين من المصطلحات النحوية لكل منهما مستواه، ومصدره ورأى أن تأثير المصطلحات الأصولية في مصطلحات النحو ينحصر في ذلك النوع الذي أطلق عليه في كتابه: (أصول التفكير النحوي) الاصطلاحات المنهجية؛ حيث إن جميع المصطلحات التي استخدمت في التراث النحوي في هذا المجال ترجع إلى أصل أصولي²، كما تحدث العيد حذيق في مداخلة له بعنوان: (التفاعل المصطلحي بين علمي أصول النحو و أصول الفقه بين استنساخ التجربة و خصوصية التناول) عن تلك المصطلحات فقال: « إن التأمل في مصطلحات أصول النحو التي كان لعلم أصول الفقه أثر بارز في بلورتها يجدها على وجه الإجمال قسمين اثنين:

أ- المصطلحات المتعلقة بالناحية الهيكلية (الأدلة الإجمالية).

¹ - ينظر: علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، (دط)، 2005م، ص 254.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 254.

ب- المصطلحات المتعلقة بالمسائل الجزئية (مصطلحات الحكم النحوي)¹.

مصطلحات تطبيقية	مصطلحات منهجية
تنصب على القضايا التفصيلية، و القواعد الجزئية التطبيقية	تتناول بالضرورة ما يتصل بالأصول العامة للتفكير النحوي، و أساليب الاستدلال

حيث توصل في نهاية مداخلته إلى أن « الأثر الكبير لأصول الفقه في مصطلحات أصول النحو، لم يلغ البتة خصوصية التناول؛ إذ كانت الاستفادة من المصطلحات من ناحية الشكل، مع تعديل في المضمون يتلاءم و طبيعة المسائل المدروسة »²، فكل علم مجاله، وهدفه، فالخطاب النحوي تأثر معرفيا بالخطاب الفقهي بشقيه الأصول بأدلته الشرعية، و الفقه بأحكامه الاستنباطية في مجالات متعددة: منها و مصطلحا مع فارق تحويلي ينسجم مع طبيعة العلم، فلم يكن نسخا لينحو بهما منحني مغايرا »³.

فالمصطلحات المنهجية والمتعلقة بالناحية الهيكلية تأثرت بمصطلحات أصول الفقه، أما المصطلحات التطبيقية، و المتعلقة بالمسائل الجزئية فكانت متأثرة بالمصطلحات الفقهية.

1- العيد حديق، التفاعل المصطلحي بين علمي أصول النحو و أصول الفقه بين -استنساخ التجربة و خصوصية التناول- ، مداخله بملتقى المصطلح النحوي بين الهجر والاستعمال، كلية الآداب واللغات جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 31 مارس 2021م. -<https://dspace.univ-eloued.dz/items/ea7719a0-afb6-4f6f-a505-aae2146c52cf> . تاريخ الاطلاع: 2022/11/02م. على الساعة: 16:00.

² - المرجع نفسه، ص 14.

³ - علي فرحان جواد، الأثر الفقهي في الخطاب النحوي، جامعة المثني، كلية التربية، مجلة كلية التربية، العدد الثلاثون، جامعة واسط، ص190.

ثانيا: أثر المصطلح الفقهي في المصطلح النحوي:

بعد أن كشفنا الغطاء عن علاقة مصطلح أصول الفقه بمصطلح أصول النحو، سنحاول في هذا المبحث التطرق إلى أثر المصطلح الفقهي بالمصطلح النحوي، ومصدر كل منهما.

المصطلح	معناه في الفقه	معناه في النحو	ذكره في القرآن
النسخ	في الشرع فهو على الوجه الأول في اللغة، ففي اللغة يستعمل في الرفع والإزالة، ويستعمل في النقل وحده: «الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا به مع تراخيه عنه» ¹ .	يظهر مصطلح النسخ عند النحويين في عمل كان وأخواتها وظن وأخواتها؛ حيث «رأى النحويون أن المبتدأ والخبر مرفوعان، وأن دخول (كان، وإن، وظن) عليهما يغير من هذا الحكم، فأطلقوا عليها كلمة النواسخ، وأطلقوا اصطلاح النسخ على هذا العمل لما فيه من رفع حكم، وإبدال آخر به» ² .	قال تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ سورة البقرة- 106 وقال تعالى: ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ بآيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ سورة الحج- 52

¹-أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، اللمع في أصول الفقه، حققه: محي الدين مستو يوسف علي بدوي، دار ابن كثير، ط1، 1995م، ص19.

²-أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي، وتطبيقها في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د ط)، 1994م، ص159.

قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾^١ سورة النساء 129.	عند النحويين بحث يتعلق بظن وأخواتها وهو ترك عملها؛ أي عدم مباشرتها للمفعولين لفظاً ومعنى، وذلك إذا وقع أحد هذه الأفعال قبل شيء له الصدارة، وذلك أن يقع قبل ما النافية، أو قبل لام الابتداء، أو لام جواب القسم أو وقع قبل استفهام، وقد سمي هذا الإلغاء اللفظي لا المحلي تعليقا تشبيها للفعل بالمرأة المعلقة التي هي لا مطلقة ولا متزوجة.²	التعليق ربط حصول مضمون جملة بحصول مضمون أخرى، كما أن هناك عدة فروقات بين التعليق، وعدة مصطلحات منها: التعليق والاستثناء: فالفرق بينهما أن: الاستثناء لا يعمل في جميع المستثنى منه، بل يعمل في بعضه بالإبطال، والتعليق يعمل في جميع المعلق بالتغيير، وأن الاستثناء مع المستثنى منه ليس بيمين بل هو إيجاب والتعليق يمين التعليق والتقيد: التعليق تبديل من الإيجاب إلى اليمين والتقيد ليس بتبديل صورة بل زيادة أمر آخر.¹	التعليق
---	---	---	----------------

¹ - ينظر: رفيق العجم، موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1998،

(أ-ع)، 1/ 467.

		في الشرع تطلق الصحة على العبادات تارة، وعلى عقود المعاملات تارة أخرى، أما في العبادات فعند المتكلم: الصحة عبارة عن موافقة أمر الشارع وجب القضاء، أو لم يجب وعند الفقهاء الصحة، عبارة عن سقوط القضاء بالفعل، فمن صلى وهو يظن أنه متطهر، وتبين أنه لم يكن متطهراً فصلاته صحيحة عند المتكلم لموافقة أمر الشارع بالصلاة على حسب حاله، وغير صحيحة عند الفقهاء؛ لكونها غير مسقطه للقضاء، وأما في عقود المعاملات فمعنى صحة العقد ترتب ثمرته	الصحة
	لفظ يقابل العلة، وهو استعمال ينسب إلى الحروف الصحيحة؛ أي غير المعتلة مما يقبل الحركة وذلك نحو اللام، والراء، والميم، وكل حروف الهجاء ما عدا الألف، والواو، والياء إذا كانت ساكنة وحركة ما قبلها من جنسها مثل: الألف في باع، والياء في يسير، والواو في يلوم. والصحيح وصف يلحق الاسم والفعل والحرف. فالاسم الصحيح هو الاسم المعرب الذي ليس آخره حرف علة، ولا همزة بعد ألف زائدة مثل: هند، أرض، تراب. والفعل الصحيح: هو ما خلت أصوله من حروف العلة الألف والواو والياء وله ثلاثة أقسام هي: السالم،		

² - ينظر: محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1985م، ص 155.

المطلوبة منه عليه. ¹	المهموز، المضعف. ²	
الأحوال أوصاف تقوم بالقلب ولها تعلق به، تنقسم باعتبار هذا التعلق إلى: أولها لواضع وبوارق ولوائح، ثم تكون أحوالا ثم تكون مقاما بثبوتها في القلب واستقرارها فيه. والحال المرتحل في الفقه هو الذي يختم القرآن الكريم، ويبدأ فوراً بختمة جديدة.³	الحال هو الوصف المذكور فضلة لبيان هيئة ما هو له. فالوصف جنس يشمل الحال المشتقة نحو: جاء زيد راكبا. والحال المؤولة بالمشتق كقوله تعالى: ﴿وَحَالُ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ هود 43. النساء 71. والغالب في الحال أن تكون منتقلة مشتقة؛ أي وصفا غير ثابت. مأخوذا من فعل مستعمل، والأكثر في كلامهم أن تكون الحال مشتقة؛ لأنه لا بد أن تدل على حدث وصاحبه وإلا لم تفد بيان هيئة ما هي له.⁴	قال تعالى: ﴿وَحَالُ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ هود 43.

¹ - علي بن محمد الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الصميعي للنشر والتوزيع السعودية، ط1، 2003م، 174/1.

² - ينظر، محمد سمير نجيب اللبدي، المرجع السابق، ص122.

³ - ينظر: مجموعة من المؤلفين، معجم مصطلحات العلوم الشرعية فهرسة مكتبة الملك فهد، المجلد الأول (أ-ت)، ط2، 2017م، ص647.

⁴ - ينظر: ابن الناطم (أبو عبد الله بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك)، شرح ابن الناطم على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2000م، ص227، 228.

اللغو	اللغو ما لا يعتد به من الكلام، واللغو الباطل، والباطل الفاسد الذاهب خسرًا وضياعا، وفي المفردات الباطل نقيض الحق وهو ما لا ثبات له عند الفحص. ويشترك هذا المصطلح مع اللهو، واللعب، والباطل في الدلالة على عدم النفع في الفعل وعدم الجدوى فيه لدين الفاعل أو دنياه، سواء صدر من الصبي، أو المجنون، أو الكبير العاقل.¹	هو نوع من الظرف، وقد سمي هذا الظرف باللغو لضالة وجوده، وعدم استقرار معنى عامله فيه، ويقابل ظرف اللغو الظرف المستقر؛ وهو ما كان متعلقه عامًا.²	قال تعالى: ﴿لَا يُؤْخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ البقرة 225. ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ القصص 55.
الشرط	هو ما يتوقف وجود الشيء على وجوده، وكان خارجًا عن حقيقته ولا يلزم من وجوده وجود الشيء، ولكن يلزم من عدمه عدم ذلك الشيء،	أسلوب في التعبير يدعى أسلوب الشرط قوامه أداة شرط وعلان، يسمى أولهما فعل الشرط، والثاني جواب الشرط ويقال له الجزاء أيضا وهو معنى من معاني	قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ

¹ - ينظر: آية الله المشكيني، مصطلحات الفقه، مطبعة الهادي، مصر، ط1، 1319هـ، ص456-457.

² - محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص204.

إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿ محمد 18.	الحروف التالية. إذما، أمّا، إن، لو، لولا، لوما، ما. وذلك للدلالة على ترتيب وقوع أمر على وقوع أمر آخر مثال: *لولا رحمة الله لهلك الناس. *ما تزرع تحصد.²	والمراد بوجود الشيء وجوده الشرعي الذي تترتب عليه آثاره الشرعية، كالوضوء للصلاة، وحضور الشاهدين لعقد النكاح؛ فالوضوء شرط لوجود الصلاة الشرعية، وقد يوجد الوضوء ولا توجد الصلاة، وينقسم الشرط باعتباره مصدر اشتراطه إلى 1- شرط شرعي: الشارع هو الذي اشترطه لتحقيق الشيء مثل: بلوغ الصغير سن الرشد لتسليم المال إليه. 2- شرط جعلي: كالشروط التي يشترطها الناس بعضهم على بعض في عقودهم وتصرفاتهم.¹	
---	--	--	--

من خلال ما تقدم نستنتج ما يلي:

¹ - ينظر: عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع، (دط)، (دت)، ص 59، 60.

² - ينظر: السفير أنطوان الدحداح، معجم لغة النحو العربي، مكتبة لبنان، ناشرون، ط1، (دت)، ص 176، 177.

1- اتحاد مصدر المصطلحات الفقهية والنحوية : توافق المصطلحات الفقهية والمصطلحات النحوية في عودتها إلى مصدر واحد، وهو القرآن الكريم؛ لأن المصطلحات الفقهية ترتبط بالأحكام الشرعية المستمدة من القرآن الكريم؛ ولذلك نجد معظم هذه المصطلحات موجودة فيه، ونفس الشيء ينطبق على المصطلحات النحوية المرتبطة بالأحكام اللغوية ؛ والتي أول ما وضعت لحماية القرآن الكريم، فلا بد أن تكون مستمدة من هذا المصدر المقدس، والمتمثل في القرآن الكريم؛ حيث نجد أن المصطلحات الفقهية والأصولية، أو بالأحرى مصطلحات العلوم الشرعية يعود أصلها إلى القرآن الكريم.

2- تقارب أو اتحاد المعنى بين المصطلحات الفقهية والنحوية: ونذكر من أمثلة ذلك:

أ- مصطلح التعليق: الذي أخذته النحاة في باب أفعال القلوب؛ فكما أن الزوج يكون موجوداً إلا أن زوجته لا تتمتع بالحقوق الزوجية، كذلك العامل يكون موجوداً؛ لكنه لا يؤثر في المعمول؛ إذ أن التعليق في هذا الباب هو إبطال عمل ظن وأخواتها في اللفظ دون التقدير لاعتراض ماله صدر الكلام بينها وبين معموليها نحو: (علمت لزيد فاضل)، فحق (زيد فاضل) نصب، ولكن العامل ملغى في اللفظ، عامل في المحل، فهو عامل لا عامل.¹

ب- اللغو: اصطلاح أخذته النحاة من الفقهاء، ويجمع بينهما ما زاد على القول ولا يؤخذ به، فالنحاة يطلقون كلمة لغو على كل ما هو زائد في الكلام، ولا يؤثر حذفه في سياق التعبير، وظرف اللغو عندهم ليس عمدة كما هو الحال في الظرف المستقر.²

3- اختلاف المعنى بين المصطلحات المشتركة:

¹ - ينظر: أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي، وتصنيفاتها في القرآن الكريم، ص 159-160.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 161.

من خلال ما سبق يتضح أن هناك بعض المصطلحات المشتركة مع علوم أخرى مثل: علم الكلام، وعلم الحديث، مع اختلاف المعنى في كل علم، ولبيان ذلك نأخذ بعضاً من هذه المصطلحات:

أ- **مصطلح الصحة:** فهذا المصطلح مشترك بين الفقهاء والمتكلمين، والخلاف بينهما في تحديد معناه جاء من نظر كل منهما إلى الفعل؛ فالتكلمون نظروا إلى ظن المكلف، فإذا غلب على ظنه بأن الفعل موافق للأمر فإنه صحيح، وذلك قبل أن يظهر له خلاف ظنه.¹

أما الفقهاء فإنهم نظروا إلى الواقع، وموافقة الأمر، فإذا وقع الفعل موافقاً للأمر مسقطاً للقضاء، فإنه صحيح، فالخلاف بينهما في وصف الفعل قبل إعادته؛ إلا أنهم متفقون على أنه إذا ظهر للمكلف خطأ ظنه فإنه عليه القضاء، ومن هذا يتبين أن لا ثمة لهذا الخلاف بل هو لفظي.²

ب- **مصطلح التعليق:** وهو مصطلح مشترك بين الفقه وعلم الحديث، حيث يذكر الفقهاء مصطلح (التعليق) في كتاب البيوع، في باب شروط البيع، وباب الإجارة، وباب الوقف، وباب الوصية والوكالة، وفي كتاب الإيمان والنذور، والقضاء، ويرد في الحديث، ويراد به حذف راوٍ أو أكثر من أول إسناد الحديث.³

ج- **مصطلح الحال:** وهو مشترك بين الفقه وعلم الحديث ففي علم الحديث يرتبط بالراوي، ويقال (حال الراوي)، وهي صفة الراوي الظاهرة أو الباطنة، من حيث العدالة والضبط .

¹ - ينظر: مريم محمد صالح الظفيري، مصطلحات المذاهب الفقهية وأسرار الفقه الرموز في الأعلام والكتب والآراء والترجيحات، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2002م، ص67.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص67.

³ - ينظر: مصطلحات العلوم الشرعية، ص 648.

المبحث الثالث: أثر مصطلحات أصول الفقه في مصطلحات أصول النحو -المصطلحات المنهجية-:

أولاً: تعدد مصادر مصطلحات أصول النحو:

إن المتأمل في مصطلحات أصول الفقه ومصطلحات أصول النحو يلاحظ تشابهاً كبيراً بينهما، وهذا يعود إلى التأثير و التآثر؛ إلا أنه يجب الإشارة إلى تعدد مصادر مصطلحات أصول النحو « فمصادر مصطلحات أصول النحو مختلفة، و متنوعة فبعضها مستمد من أصل لغوي، وبعضها مستمد من أصل فقهي، وبعضها متعلق بعلم الحديث رواية و دراية، وبعضها متعلق بعلم الكلام، وبعضها بعلم المنطق و الجدل »¹.

فلقد تحدث النحويون في أصولهم عن مصطلح الأصل والفرع، ومصطلح أصل الوضع، والحال الأول، ومصطلح الراجح، ومصطلح العلة والقياس، ومصطلح السماع؛ ويعني الكتاب والسنة، ومصطلح السبب، والإجماع، واستصحاب الحال، والاستحسان، ومصطلح التعارض، والترجيح، ومصطلح السبر والتقسيم، ومصطلح النقض، وغيرها كثير، وكل هذه المصطلحات استخدمها الأصوليون في أصول الفقه.²

ثانياً: أوجه الاختلاف بين مصطلحات أصول الفقه ومصطلحات أصول النحو:

¹ - عبد الرزاق عبد الرحمان سعدي، عبد الوهاب زكريا، نظرات في أصول النحو العربي و أصول الفقه الإسلامي،

مجلة الدراسات اللغوية و الأدبية، 2009م، العدد الأول

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 156.

وفيما يلي سرد لبعض هذه المصطلحات مع بيان أوجه الاختلاف، أو الفرق في المصطلح بين العلمين، بدءاً من تسمية العلم و مفهومه وهذا ما يثبت خصوصية تناول.

المصطلح	معناه		أوجه الاختلاف
	في أصول النحو	في أصول الفقه	
الأصول	ذكر السيوطي أن أصول النحو: « علم يبحث فيه عن أدلة النحو الإجمالية من حيث هي أدلته وكيفية الاستدلال بها وحال المستدل » ¹ . * فأدلة النحو هي سماع وإجماع وقياس كما ذكرها ابن جنّي وعند ابن الأنباري هي: نقل وقياس واستصحاب	أصول الفقه هي أدلة الفقه وجهات دلالاتها على الأحكام الشرعية وكيفية حال المستدل بها من جهة الجملة لا من جهة التفصيل، واستمداد علم أصول الفقه إنما هو من الكلام، والعربية والأحكام الشرعية فمبادئه غير خارجة عن هذه الأقسام الثلاثة. ²	يظهر مدى قوة التشابه بين أصول الفقه، وأصول النحو، ولا فارق بينهما إلا في موضوعهما؛ فموضوع أصول النحو أحكام القضايا اللغوية، وموضوع أصول الفقه أحكام القضايا الشرعية، كما أن قوانين النحو وأصوله تكاد تكون ثابتة كاملة في المنهج والاستنتاج أما أصول

¹ - جلال الدين السيوطي: الإقتراح في أصول النحو ضبطه وعلق عليه عبد الحكيم عطية، دار البيروقي، ط2، 2006م، ص 21.

² - ينظر: علي بن محمد الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الصميعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 2003م، 1/22-23.

الفقهاء فإنه متجدد متطور ³ .		حال، وهذه الأدلة إجمالية؛ لأن الأدلة التفصيلية من وظيفة النحو. ومعنى كيفية الاستدلال بها؛ أي التعامل معها عند تعارضها ونحوه، كتقديم السماع على القياس. * حال المستدل أي المستتبط للمسائل من الأدلة المذكورة. ¹	
وسع النحاة من دلالة السماع ليشمل: كلام العرب الفصحاء الذي يرجع إلى عصور الاحتجاج. - غرض الأصولي من	يقول الزركشي (794هـ): « ينقسم الدليل إلى ثلاثة أقسام: سمعي، وعقلي ووضعي فالسمعي: هو اللفظي المسموع، وفي عرف	عرفه ابن الأنباري بقوله: « النقل هو الكلام العربي الفصح المنقول بالنقل الصحيح الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة ». ²	السماع

³ - ينظر: عبد الرزاق عبد الرحمان السعدي، عبد الوهاب زكريا، نظرات في أصول النحو العربي وأصول الفقه الإسلامي - دراسة عربية إسلامية أصيلية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، السنة الأولى، العدد الأول، 2009م، ص 189-198.

³ - ينظر: جلال الدين السيوطي، المرجع السابق، ص 22.

² - أبو البركات عبد الرحمان كمال الدين بن محمد الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق، سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط2، 1971م، ص 81.

النظر في الأدلة السمعية، استفادة الأحكام الشرعية، وذلك لا يعدو نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية كونهما حجة شرعية. - غرض النحوي من النظر في الكلام المنقول استفادة القواعد اللغوية، فزاوية النظر مختلفة.	الفقهاء: هو الدليل الشرعي أعنى الكتاب والسنة والإجماع، والاستدلال، وأما عُرْفُ المتكلمين، فإنهم إذا أطلقوا الدليل السمعي، فلا يريدون به غير الكتاب والسنة والإجماع².	وجاء على لسان السيوطي: « وأعني به: ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته فشمّل كلام الله تعالى، وهو القرآن، وكلام نبيه (صلى الله عليه وسلم) وكلام العرب قبل بعثته، وفي زمنه، وبعده إلى أن فسدت الأسنة بكثرة المولدين، نظماً ونثرًا، عن مسلم أو كافر¹».	
إن القياس عند الأصوليين قياس منتج ومثمر من الوجهة العلمية؛ إذ إن لديهم	حده أنه: « حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما، أو نفيه عنهما بأمر جامع بينهما، من	هو حمل فرع على أصل بعلقة وإجراء حكم الأصل على الفرع، ولا بد لكل قياس من أربعة	القياس

¹ - السيوطي، المرجع السابق، ص 39.

² - الزركشي (بدر الدين محمد بن بهاء بن عبد الله الشافعي)، البحر المحيط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الكويت، ط2، 1992م، 1/ 36.

³ - ينظر: أبو البركات الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب ولُمعُ الأدلة، ص 93.

⁴ - أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المستصفى من علم الأصول، اعتناء الشيخ ناجي السويد، المكتبة العصرية، دط، دت، 185/2.

أشياء أصل وفرع وعلة وحكم. ³	إثبات حكم أو صفة لهما، أو نفيهما عنهما ولا بد في كل قياس من فرع وأصل، وعلة، وحكم. ⁴	ظاهرة معروفة حكمها وظاهرة أخرى تماثلها في الخصائص مجهولاً حكمها فيقيمون الثانية على الأولى؛ فكأنهم أضافوا حكماً إلى الثانية لم يكن معروفاً من قبل، ولا ينطبق هذا على قياس النحو؛ ذلك لأن الفرع معروف حكمه مقدماً وقبل القياس، ومن ثم فلا فائدة في القياس، ولا ثمرة فيه. ³
ويرد ابن الأنباري على من أنكر القياس بقوله إن إنكار القياس في النحو لا يتحقق؛ لأن النحو كله قياس ولهذا قيل في حده: النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو. ¹	يقول الزركشي: «الإجماع هو اتفاق مجتهدي أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) بعد وفاته في حادثة على	يقول ابن جني (392هـ) في باب القول على إجماع أهل العربية متى يكون حجة: «اعلم أن
الإجماع	يقول الزركشي: «الإجماع هو اتفاق مجتهدي أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) بعد وفاته في حادثة على	إن أوجه الاختلاف تتجلى في مظهرين: الأول: مستند الإجماع ومرجعيته فمستنده عند الأصوليين ومرجعه

¹ - ينظر: أبو البركات الأنباري، الإعراب في جمل الإعراب ولُمع الأدلة، ص 95.

² - ينظر: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المستصفى من علم الأصول، ص 186.

³ - ينظر: أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي، وتطبيقها في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، د ط، 1994م، ص 175.

⁴ - الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، 4/436.

شرعي، مستفاد من نصوص الكتاب والسنة، فيما مستند الإجماع عند النّحاة صناعي متعلق باستقراء كلام العرب واعتبار طرائقها في الكلام والتعبير والثاني: إلزامية حُجّة الإجماع إذ هو عند أهل الشرع مُلزم؛ لأن الاجتماع لا يكون على ضلالة كما أخبر النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، ومعنى ذلك أن الخارج عن الإجماع على ضلالة، وأما عند النّحاة فإن الإجماع غير مُلزم؛ لأن هذا الإجماع، -كما بين ابن جنّي رحمه الله- مستند إلى الاستقراء؛ فالاستقراء عمل بشري لا يمكن أن ندّعي له	أمر من الأمور في، عصر من الأعصار»⁴. فمن خلال هذا التعريف يتضح أن: أهم شروط الإجماع: - أن يكون الشخص من المجتهدين في الدين. - أن يكون المجتهد من أمة محمد - أن يكون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. - أن يكون في حادثة؛ أي لا يكون على الحكم الثابت بالنص والعمل به.	إجماع أهل البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص والمقيس على النصوص. فأما إن لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه، وذلك أنه لم يرد ممن يطاع أمره في قرآن ولا سنة أنهم لا يجتمعون على الخطأ كما جاء النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله: "أمتي لا تجتمع على ضلالة" وإنما هو علم منتزع من استقراء هذه اللغة»¹.	
---	---	--	--

¹ - أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، 264/1.

العظمة حتى نُلزمَ الناس بإتباعه ¹ .			
تتجلى أهم الفروقات فيما يلي: * مفهوم الاستصحاب في أصول الفقه يقوم على بقاء الحكم من حالة إلى حالة ثانية، أما الاستصحاب النحوي فإن له نمطاً آخر إلى جانب البقاء على الأصل وهو مراعاة الأصل. * طرفا الاستصحاب النحوي حالان، أما في الاستصحاب الفقهي فطرفاه زمانان؛ لأن الحكم الشرعي مرتبط بفعل المكلف والفعل يقتضي زمن.	عرفه الغزالي بقوله: « الاستصحاب عبارة عن التمسك بدليل عقلي أو شرعي، وليس راجعاً إلى عدم العلم بالدليل؛ بل إلى دليل مع العلم بانقضاء المغير أو مع ظن انقضاء المغير عند بذل الجهد في البحث والطلب » ⁴ .	عرفه ابن الأنباري بقوله: « وأما استصحاب الحال فإبقاء حال اللفظ على ما يستحقه في الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل » ² . ومثل له في لمع الأدلة بقوله: « والمراد به استصحاب الحال الأصل في الأسماء وهو الإعراب، واستصحاب حال الأصل في الأفعال وهو البناء، حتى يوجد في الأسماء ما يوجب البناء ويوجد في	استصحاب الحال

¹ - ينظر: العيد حذيق، التفاعل المصطلحي بين علمي أصول النحو وأصول الفقه - بين استنساخ التجربة وخصوصية
التناول، ص 13.

² - أبو البركات الأنباري، الإعراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة، ص 46.

* في الفقه لابد من انعدام وجود الدليل المغير لأن الأمر يتعلق بأحكام شرعية من الكتاب والسنة. * يصح وجود الدليل إذا كان المراد الدليل الموجب للتغيير لا المجوز، وفي حالة استعماله في الاستدلال³. * في أصول الفقه لا يجوز الأخذ بالاستصحاب إن وجد دليل يعارضه، أما في النحو فإن للاستصحاب مكانة في الاستدلال أقوى من التي له في أصول الفقه⁴.		الأفعال ما يوجب الإعراب¹.	
--	--	---	--

⁴ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، 410/2، 411.

¹ - المرجع نفسه، ص 141.

³ - ينظر: تامر عبد الحميد محي الدين أنيس، الاستصحاب في النحو العربي إشراف: علي محمد أبو المكارم، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 2001م، ص 85.

⁴ - المرجع نفسه، ص 86.

المبحث الرابع: المصطلح الكلامي والمصطلح النحوي - الاشتراك

والشيوع:-

بعد أن بينا أثر مصطلحات أصول الفقه في مصطلحات أصول النحو ننقل الآن إلى بيان أثر المصطلح الكلامي في المصطلح النحوي، حيث إن هناك عدة مصطلحات مشتركة بين علم النحو، وعلم الكلام، وقبل ذلك وجب التعرف على العوامل التي ساعدت على تقبل الأثر الكلامي، وكذا أسباب كثرة استخدام المادة الكلامية في الكتب النحوية .

أولاً: أهم العوامل التي ساعدت على تقبل الأثر الكلامي:

هناك عدة أسباب أدت تقبل الأثر الكلامي في النحو العربي منها:

1/ إن علم الكلام من أهم العلوم الإسلامية وأكثرها تأثيراً في غيره نظراً لأن موضوعه العقائد الدينية التي هي أساس للأحكام الشرعية و العلوم الدينية، ومن ثم كثر استخدام العلماء من كل فن لاصطلاحات المتكلمين، و مسائلهم على نحو ما نرى في مصطلحات الواجب، والجائز، والمستحيل، والعدم، والوجود، والنفي، والإثبات...، فهذه المصطلحات صارت عرفاً عاماً لدى الأصوليين، والفقهاء، والمفسرين، والبلاغيين والنحويين وغيرهم.

2/ إن كثيراً من النحاة كانوا من المشتغلين بعلم الكلام¹، وكان من بين نحاة المعتزلة ابن جني(392هـ)، و الرمخشري (538هـ)، فقد كان بعضهم يوغل في استخدام المنطق في تصانيفه حتى يذكر الناس عليه هذا .

¹ - ينظر: مصطفى أحمد عبد العليم بخيت، أثر العقيدة و علم الكلام في النحو العربي، ص28.

3/ و يضاف إلى ذلك أن كثيرا من النحاة كانوا من العجم، أو الموالى أصحاب الثقافات الأجنبية، وقد ساعد هؤلاء على تحويل النحو إلى صناعة عقلية قائمة على الاستنباط، والتعليل، والقياس.

فكان سيبويه (180هـ) أعجميا فارسي الأصل، و ابن جني وهو رومي الأصل¹.

4/ و سبب آخر لا يقل أهمية عما قبله، وهو أن المنهج الذي اصطنعه النحاة في دراسته النحو يتميز بسمتين أساسيتين:

* إنه منهج تفسيري، بمعنى أنه لا يقف عند حد وصف الظاهرة كما هي دون أن يجد تفسيراً لها، و تعامل مع الظاهرة اللغوية بهذا المنهج يعني النظر إليها على أنها ظاهرة إنسانية، و جزء من نشاط العقل، و هذا المنهج التفسيري يحتاج إلى مجموعة من الركائز الثقافية و الأصول العقلية، و قد كان من بين هذه الركائز الثقافية التي اعتمد عليها النحاة علم الكلام.

* إنه منهج تعليمي في أكثره، و هذا المنهج يتحرك في إطار ثقافة العصر الذي يعيش فيه، و يرتبط في الوقت نفسه بحاجات المتعلمين و خلفياتهم الثقافية، فقد كان النحاة يشيرون إلى ما ينتمي إلى النحو، و ما لا ينتمي إليه في شروحهم، و حواشيهم على المختصرات التعليمية، و هكذا وجدنا المصنفات النحوية، و خاصة كتب الحواشي مملوءة بمباحث كلامية و منطقية و خلافية، و أخرى أدبية، و تاريخية، و لا شك أن هذه المباحث في أكثرها خارجة عن حدود المادة النحوية.²

كما أن هناك أسباب لكثرة استخدام المادة الكلامية في الكتب النحوية؛ إذ تعد المادة الكلامية أكثر المواد استخداماً في الكتب النحوية، و ذلك راجع إلى أمرين:

¹ - ينظر: أثر العقيدة و علم الكلام في النحو العربي، ص30.

² - ينظر: المرجع السابق، ص 32، 31.

أ- ارتباط علم الكلام بما يتضمنه من أسس منطقية بقوانين الفكر؛ التي هي أيضا من أسس الدراسات النحوية.

ب- إن المنهج الكلامي كان يشكل لدى علماء العصور القديمة أحد مناهج البحث المعتمدة في التأليف، و المناظرة العلمية؛ لأنه علم يقوم على الاستدلال و كيفية إيراد الحجج، و دفع الشبه، فلا نكاد نجد كتابا نحويا من الكتب المؤلفة بعد المائة الثالثة خاليا من اعتماد الطريقة الكلامية سواء في التقسيم، أو المصطلح، أو التنظير، أو غير ذلك¹.

ثانيا: أثر المصطلح الكلامي في المصطلح النحوي:

بعد أن كشفنا الغطاء عن الأثر الفقهي والأصولي في تشكل المصطلح النحوي، سوف نتطرق في هذا المبحث إلى الأثر الكلامي في هذا المصطلح؛ حيث نشير إلى أن الأثر الفقهي والأصولي ظهر مع بدايات ظهور النحو العربي، واستمر إلى غاية القرن الثالث الهجري، أما الأثر الكلامي فإنه كان متأخرا نظرا لتأخر نشأة علم الكلام « فلا نكاد نقرب من نهاية القرن الرابع الهجري حتى نجد وفرة في المصطلحات الفلسفية والكلامية التي انتقلت بلفظها ومعناها إلى البيئة النحوية، أو اكتسبت معنا نحويا جديداً، كذلك نلتقي بالألفاظ النحوية الأصل التي اكتسبت بعدا كلاميا معينا، أو أصابها بعض سمات المصطلح الكلامي، إما على مستوى اللفظ، أو على مستوى المعنى، أو على مستوى اللفظ والمعنى معا² ، يتضح أن المصطلحات النحوية تنقسم إلى قسمين من حيث الأثر الكلامي نبينها في الشكل التالي:

¹ - مصطفى أحمد عبد العليم بخيت، أثر العقيدة و علم الكلام في النحو العربي، ص32.

² - المرجع نفسه، ص 311.



الشكل 17: أنواع المصطلحات من حيث التأثير

إن ما يلاحظ على هذه المصطلحات التي ذكرها مصطفى أحمد عبد العليم بخيت خاصة المصطلحات المشتركة بين النحو وعلم الكلام، أنها مشتركة مع أصول الفقه والفقه كالشرط، والتعلق، والاستقراء، وبما أن أصول الفقه كان أسبق من حيث النشأة عن علم الكلام، فإننا نعتبر هذه المصطلحات أصولية، وفقهية، ولا يمكن إدراجها ضمن المصطلحات الكلامية، لذا سوف يكون تركيزنا على مصطلحات نرى أنها مصطلحات كلامية خالصة.

ثالثاً: الأثر الكلامي في المصطلحات النحوية:

سوف نحاول في هذا المبحث بيان الجوانب المشتركة بين المصطلحات النحوية والمصطلحات الكلامية.

المصطلح	معناه في علم الكلام	معناه في النحو	جوانب الاشتراك
الحركة والسكون	إنّ ماهية الحركة الانتقال من حالة إلى حالة وهذه الماهية تقتضي كونها مسبقة بالغير، والأزل عبارة عن نفي المسبوق بالغير والجمع بينهما محال. وجود الحركة لا يمكن إلا في زمان وكذلك وجود السكون ¹ .	قال الرضي: «أعلم أن الحركات في الحقيقة أبعاد حروف العلة، فضم الحرف في الحقيقة، إتيان بعده بلا فصل ببعض الواو، وكسره: الإتيان بعده لجزء من الياء، وفتحه: الإتيان بعده بشيء من الألف، وإلا فالحركة	لقد وضح هذه الجوانب السهيلي إذ يقول: «الحركة عبارة عن تحريك العضو الذي هو الشفتان عند النطق بالصوت الذي هو الحرف؛ والحرف عبارة عن جزء من الصوت، ومحال أن تقوم الحركة بالحرف حتى يقال:

¹-ينظر: سميح دغيم، موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1998م، (أ- ف)، 1/

حرف متحرك حقيقة؛ لأن الحرف الذي هو جزء من الصوت عرض عند جميع العقلاء إلا النظام فإذا ثبت أن الصوت عرض والحركة عرض آخر فقولنا: حرف متحرك، أو ساكن مجاز لأن السكون أيضا ضد الحركة، ومحلّه محلّها وهو العضو إذ لا تقوم الحركة والسكون إلا بجسم، أو جوهر»³.	والسكون من صفات الأجسام فلا تحلّ الأصوات لكنك لما كنت تأتي عقيب الحرف بلا فصل ببعض حروف المد، سمي الحرف متحركاً»².	« والحركة والسكون والاستتار والظهور من صفات الأجسام دون الأعراض»¹.	
إن لهذا المصطلح ظل كلامي يظهر من ملاحظة أنه معنى اعتباري مجرد، وليس مكاناً حسيّاً في الحقيقة، فهو من هذه الناحية أعم من الظرف أو المكان	«إن المحل عند الكوفيين من الناحية اسم للمفعول فيه، كما يجيء في محله محل الخبر»³. هذا عند الكوفيين أما عند النجاة بصفة عامة فيقصد به أمرين:	«الحجم الذي فيه عرض أو يصح أن يكون فيه، فالشئيين إذا اختص أحدهما بالآخر، فقد يكونان بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر تحقيقاً أو	المحل

¹ - المرجع نفسه، ص 466.

² - يوسف حسن عمر، شرح الرضي على الكافية، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ج 1، ط 2، 1996م، ص 69.

³ - أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (581هـ)، نتائج الفكر في النحو، حققه، عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1992م، ص 66-67.

³ - محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق، علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، لبنان، ط 1، 1996م، 1/ 1490.

لأنه يشمل المكان الحسي والمكان الاعتباري، وربما كانت فكرة المحل هذه مرتبطة بالنظرية العامة في حقيقة الكلام وأنه عرض، ولا بد لكل عرض من محل⁵.	1- المكان الذي تشغله الحركة الإعرابية، وهو آخر الكلمة، فيقال في نحو (جاء غلامي)، غلامي: فاعل مرفوع بالضمة المقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة مناسبة لياء المتكلم. 2- الموقع الإعرابي للمبنيات والجمل في نحو: هذا محمد، هذا مبتدأ مبني على السكون في محل رفع⁴.	تقديرًا... ثم يكون أحدهما محتاجًا في وجوده إلى الآخر، ويكون الآخر غنياً في وجوده عن الأول، ويسمى المحتاج حالاً والغني محلاً¹. « ملاقة موجود لموجود بالتمام لا على سبيل المماساة والمجاورة بحيث لا يكون بينهما تباين فهي الوضع، ويحصل الثاني صفه من الأول كملاقة السواد للجسم يسمى حلولاً والموجود الأول حالاً والثاني محلاً²».	
لقد أثر النحاة استخدام مصطلح (الحيز) لما فيه من معنى العموم؛ بحيث	يقول الرضي: «وحصل... من قيام جزء الجزء موقع الشرط	«الحيز عند المتكلمين هو الفراغ المتوهم الذي يشغله شيء ممتد، كالجسم، أو	الحيز

¹ -قسم الكلام، في مجمع البحوث الإسلامية، شرح المصطلحات الكلامية، دار البصائر، طهران، ط1، 1415هـ، ص 322.

² -المرجع نفسه، ص 323.

³ - ينظر: أثر العقيدة وعلم الكلام في النحو العربي، ص 328.

⁴ -ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

يصلح إطلاقه على المكان المشغول، وغير المشغول، وعلى المتوهم منه والحقيقي والمعتبر فيه حصول شيء أو عدم حصوله، فالعلاقة واضحة من جهة ما في هذا المصطلح من عموم، لإمكانية استخدامه للجسم وغيره، وهو بهذا أنسب في مجال الأصوات والألفاظ من تعبير المكان⁵.	ما هو المتعارف عندهم من شغل حيز واجب الحذف بشيء آخر، ألا ترى أن حذف خبر المبتدأ بعد "لولا"، وبعد القسم لم يحذف وجوباً إلا مع سدّ جواب "لولا" وجواب القسم مسده³. فللحيز عند النحاة ثلاثة معانٍ: 1. المكان. 2. التركيب. 3. ما يتبع اللفظ ويحيط به⁴.	غير ممتد كالجواهر الفرد¹. وثمة مصطلح ثالث وهو (الخلاء) يطلق على الفراغ المتوهم خال عن الشاغل، ولذا قيل: إن الخلاء عندهم أخص من الحيز².	
يتضح أن الجوهر من المصطلحات الكلامية الخالصة التي ظلت محتفظة بظلالها الكلامية؛ فمعنى الجوهر في قول ابن هشام يشير	لقد شاع استخدام مصطلح الجوهر لدى المتأخرين ومثال ذلك قول ابن هشام: «ينقسم الظرف إلى زمني ومكاني، والمبتدأ	«الجوهر عبارة عن المتحيز وهو ينقسم إلى: بسيط ويعبر عنه بالجوهر الفرد، وإلى مركب وهو الجسم؛ فأما الجوهر الفرد فعبارة عن جوهر لا يقبل	الجوهر

⁵ - الشريف الجرجاني، التعريفات، ص 68.

² - ينظر: أثر العقيدة وعلم الكلام في النحو العربي، ص 334.

³ - يوسف حسنى عمر، شرح الرضي على الكافية، 4/ 468.

⁴ - ينظر: أثر العقيدة وعلم الكلام في النحو العربي، ص 336.

⁵ - المرجع نفسه، ص 335-337.

	التجزئة لا بالفعل ولا بالقوة وأما الجسم: فعبرة عن المؤتلف؛ أي عن جوهريين فردين فصاعداً وأما العرض فعبرة عن الموجود في موضوع»¹.	إلى جوهر، كزيد وعمرو، وعرض كالقيام والقعود فإن كان الظرف مكانياً صح الإخبار به عن الجوهر والعرض تقول: زيد أمامك، والخير أمامك، وإن كان زمانياً صح الإخبار به عن العرض دون الجوهر تقول: "الصوم اليوم" ولا يجوز (زيد اليوم)»².	إلى الذات، والجوهر عند المتكلمين كما تقدم هو الموجود المتحيز بالذات.
المنزلة بين المنزلتين	هو العلم بأن لصاحب الكبيرة اسم بين الاسمين وحكم بين الحكمين³، لا يكون اسمه اسم الكافر ولا اسمه اسم المؤمن وإنما يسمى فاسقاً، وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر،	يقول ابن جني في باب في الحكم يقف بين الحكمين « هذا فصل موجود في العربية لفظاً، وقد أعطته مقادراً عليه وقياساً، وذلك نحو كسرة ما قبل ياء المتكلم في	استخدام المصطلح بنفس التسمية؛ وبنفس المعنى إذا أطلق عليه ابن جني الحكم يقف بين الحكمين، ويرد في الباب الذي عقده ابن جني كثيراً مصطلح منزلة بين

¹-سيف الدين الأمدى (631هـ)، المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين، تحقيق: حسن محمود الشافعي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1993م، ص 109-110.

²-أبو عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، حققه: محمد خير طعمة حلبى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص 95.

³-ينظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة القاهرة، ط3، 1996، ص 137.

المنزلتين، وهو مصطلح أهل الاعتزال	نحو: غلامي وصاحبي، فهذه الحركة لا إعراب ولا بناء؛ أما كونها غير إعراب؛ فلأن الاسم يكون مرفوعاً ومنصوباً وهي فيه نحو: هذا غلامي، ورأيت صاحبي، وليس بين الكسر، وبين الرفع والنصب في هذا ونحوه نسبة ولا مقاربة، وأما كونها غير بناء، فلأن الكلمة معربة متمكنة، فليست الحركة إذن في آخرها ببناء»².	ولا حكم المؤمن، بل يفرد له حكم ثالث، وهذا الحكم هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين المنزلتين فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان، فليست منزلته منزلة الكافر، ولا منزلة المؤمن، بل له منزلة بينهما¹.	
يتفق مفهوم مصطلح البداء عند النحاة مع مفهومه الكلامي فهو في كل منهما ظهور أمر بعد أن لم يكن ويختلف النحاة فيما بينهم في شأن	يقول السيوطي: «القسم الرابع من أقسام البدل، بدل البداء، ويسمى بدل الإضراب أيضاً وهو ما لا تناسب بينه وبين	لغة: هو الأمر بالفعل الواحد بعد النهي عنه أو النهي عنه بعد الأمر به مع إتحاد الوقت والوجه والأمر والمأمور، ولقد	البداء

¹-ينظر: المرجع السابق، ص 294.

²-ابن جني، الخصائص، 2/ 380

³- ينظر، أثر العقيدة وعلم الكلام في النحو العربي، ص325.

بدل البداء بين مثبت له ومنكر، ونذكر من بين من أثبت بدل البداء سيبويه وابن مالك.³	الأول بموافقة ولا خبرية ولا تلازم؛ بل هما متباينان لفظاً، ومعنى نحو: مررت برجل امرأة، أخبرت أولاً أنك مررت برجل ثم بدا لك أن تخبر بأنك مررت بامرأة من غير إبطال الأول فصار كأنهما إخباران يصح بهما.²	أطلق في أصل اللغة على تعقب الرأي، والانتقال من عزيمة إلى عزيمة وإنما أطلق على الله تعالى على وجه الاستعارة. فالبداء من الله تعالى يختص ما كان مشروطاً في التقدير، وليس هو الانتقال من عزيمة إلى عزيمة ولا من تعقب الرأي.¹	
--	--	---	--

المبحث الخامس: الأثر الفقهي والكلامي في الخلاف المصطلحي:

أولاً: الخلاف المصطلحي وأسبابه:

يعد الخلاف المصطلحي أحد أهم الخلافات النحوية التي ميزت كل مدرسة عن سواها، حيث ابتعدت مدرسة الكوفة عن التبعية والتقليد في هذا الجانب إذ يقول الدكتور شوقي ضيف - إلى أن الكوفيين «كانوا يقصدون قصداً أن تكون لهم في النحو مدرسة يستقلون بها على الرغم من تلمذة أئمتهم الأولين على أيدي البصريين، وعكوفهم جميعاً

¹ - ينظر: قسم الكلام في مجمع البحوث الإسلامية، شرح المصطلحات الكلامية، مركز تحقيقات، (دط)، (دت)، ص56.

² - السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح وشرح: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ج7، ط1، 1980م، 214/5، 215.

على كتاب سيوبه ينهلون منه ،حاولوا جاهدين أن يميزوا نحوهم بمصطلحات تغاير مصطلحات البصريين والنفوذ إلى آراء خاصة بهم في بعض العوامل والمعمولات ¹؛ إلا أن الخلاف في اعتقادي لم يكن لغرض تكوين مدرسة مستقلة بقدر ما كان لاختلاف المنطلقات ووجهات النظر أثر في الخلاف المصطلحي فالمتعلم الذكي والمجتهد غالباً ما يأتي بالجديد ويخالف أو يضيف أشياء جديدة على توجهات معلميه، فالمتعلم الذي لا يلتزم بالضرورة التبعية و التقليد يكشف عن ذكاء وفطنة «الفراء مثلاً لم يأخذ- جميع مصطلحاته -رغبة في المخالفة أو المعارضة كما زعم بعض المتعصبين على الفراء، ولكن كان واعياً يعرف ما يأخذ، وما يترك و دارساً من طراز جديد خرج على حدود التقليد التي اتسمت به المدرسة البصرية» ² ، ورغم ذلك بقيت المصطلحات البصرية هي المتداولة فما سبب ذلك ؟، وهل يعود ذلك إلى مجموع الخصائص التي تتوفر في المصطلح البصري؟ وما أهم هذه الخصائص؟

إن للمصطلح النحوي القابل للتداول شروط معينة أهمها:

أ- وجود مناسبة معتبرة تجمع بين المصطلح و معناه.

ب- ألا يكون هذا المصطلح مخالفاً للوضع اللغوي أو العرف العام.

ج- ألا يترتب عن هذا المصطلح الوقوع في مفسدة الخلط بين المصطلحات.

1- شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط7، 2019م، ص165.

2- عبد الله بن حمد الخثران، مصطلحات النحو الكوفي، دراستها وتحديد مدلولاتها هجر للطباعة والنشر، ط1، 1990م، ص20.

د- أن يكون لفظا بسيطا واضحا دالا على المعنى دون الحاجة إلى ذكر سواه قابلا لاستيعاب جميع حالات المصطلح، و عليه و أن يكون مستقرا لا اختلاف فيه و إن قدم العهد.¹

فالمصطلح البصري هو المتداول حاليا، فهل يا ترى تتحقق فيه هذه الشروط؟ إن الشرطين الأولين يمكن تحققهما و الأخذ بهما، أما وجهات نظر النحاة إلى السياق الذي جرت فيه الأمثلة النحوية كانت السبب وراء ظاهرة الترادف، فكل مدرسة وضعت المصطلح بحسب وروده في الشواهد، والحالات التي جاء عليها، وإذا أخذنا في الاعتبار اختلاف التوجهات بينهما فيما يتعلق بالسماع والقياس، يمكن أن نستخلص أن القياس فرض على الكوفيين مصطلحات لها دلالات وظيفية استعمالية، في حين أن السماع فرض على البصريين مصطلحات ذات دلالات سياقية»².

كما أن استقرار المصطلح، وعدم الاختلاف فيه و إن قدم العهد أمر يصعب تحقيقه، إلا في نادرة وهي ارتباط هذا المصطلح بنص لا يمكن تغييره، أو تحويله وهو النص القرآني، والأشد إثارة للانتباه أن النحويين المتأخرين انتخبوا مصطلحات من المدرستين دون الالتفات إلى مصدرها.³

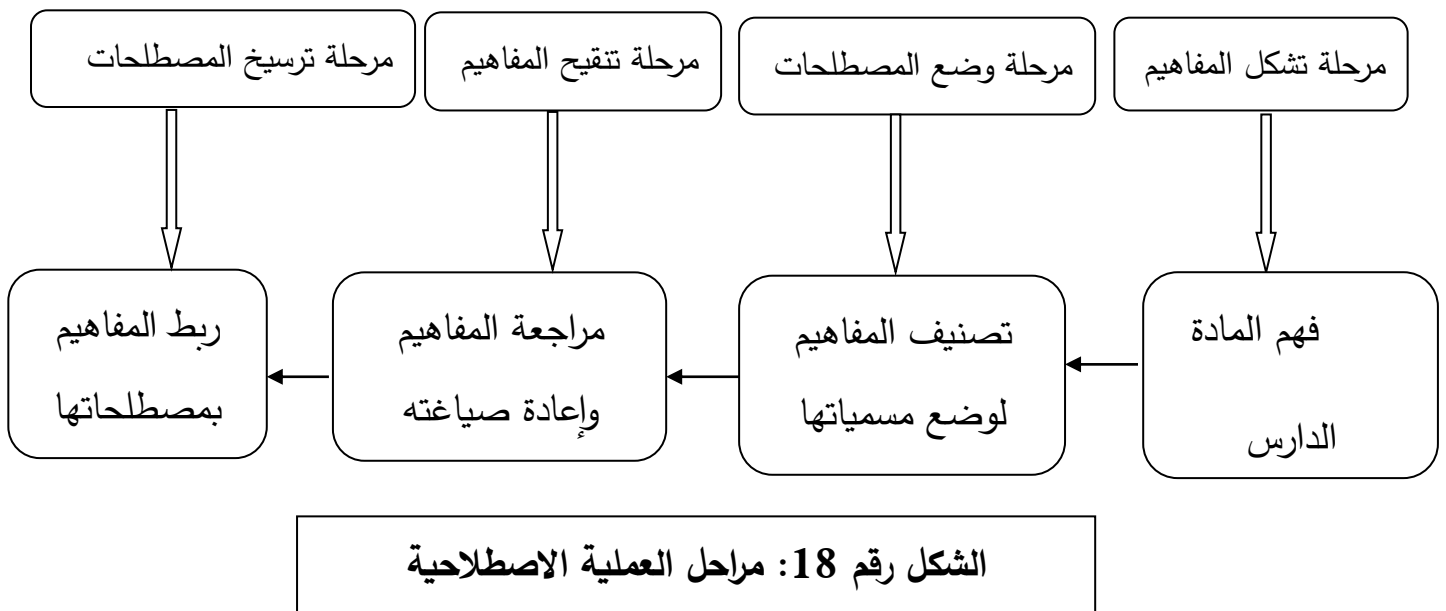
ثانيا: مراحل تطور المصطلح النحوي و بروز الأثر الفقهي والكلامي:

¹ - رشيد حيدرة، تداولية الخطاب النحوي بين الضابط القواعدي و الاستعمال الوظيفي، إشراف بلقاسم إبراهيم، أطروحة دكتوراه علوم اللغة و آدابها تخصص لسانيات تداولية كلية الأدب العربي والفنون، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم ، 2018م، ص 63.

² - المرجع السابق، ص 64.

³ - المرجع نفسه، ص 66.

سوف نحاول الكشف عن الأثر الفقهي والكلامي في مراحل تطور المصطلح النحوي؛ حيث ترتبط هذه المراحل بعضها ببعض لتؤدي إلى ترسيخ المصطلحات وثبوتها مع بيان العلاقات التي تربط بين حدي العملية الاصطلاحية في كل مرحلة، والمخطط التالي يوضح ذلك:¹



يتبين من هذا المخطط أن: العملية الاصطلاحية انطلقت من فهم اللغة أولاً، أي اتخذت من تشكيل المفاهيم مرحلة أولية لها بمعنى أنها فهمت الظواهر اللغوية فهماً مكنها من بناء المفاهيم وتشكيل تصورات نابغة من طبيعة الموضوع²؛ أي محاولة ربط اللفظ بالمعنى داخل سياق محدد ومعين والمتمثل في القرآن الكريم، وتمثل هذه المرحلة مرحلة الالتفاف حول القرآن لوضع نقط الإعجام؛ حيث قال أبو الأسود للكاتب «خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها

¹ - اليزيد بلعش، العملية الاصطلاحية و بصمتها في النحو العربي آلية لفهم العلوم، ص14.

² - المرجع السابق، ص8.

فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، و إذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فإن أتبعته شيئاً من ذلك غُتَّةً فانقط النقطتين»، إن الرجوع إلى القرآن الكريم يمثل نقطة مهمة فهو الثراء اللفظي والمعنوي فمنه يستمد القارئ المفاهيم التي يستطيع من خلالها تشكيل المصطلحات، فالقراءات القرآنية هي التي اعتمد عليها أبو الأسود الدولي في تحديد المفاهيم، كما نلاحظ في هذا القول وجود مصطلح الغنة، و نشير إلى أن العودة إلى النص القرآني الكريم سهل كثيراً في تحديد المصطلحات؛ لأنه يزخر بمفاهيم ومصطلحات قيمة ودقيقة.

أما عن العلاقات التي تربط بين حدي العملية الاصطلاحية فممثلة في الشكل التالي:

من أبي الأسود إلى ما قبل الخليل	من الخليل إلى ظهور المذهب الكوفي
بروز العلاقات الوصفية على العملية الاصطلاحية	
بين المذهب الكوفي والمذهب البصري	مع ظهور البغداديين والمتأخرين من أصحاب الشروح وغيرهم
بروز العلاقات التعليلية	بروز العلاقات الأحادية

الشكل 19: مراحل العملية الاصطلاحية

ثالثاً: الأثر الفقهي والكلامي في الخلاف المصطلحي:

إن للخلاف المصطلحي بين نحاة البصرة والكوفة عدة مظاهر تكشف عن الأثر الفقهي والكلامي، و من بين أهم هذه المظاهر بروز ثلاثة أقسام للمصطلحات النحوية هي:

- مصطلحات كوفية خالصة لم يعرفها البصريون.
- مصطلحات بصرية خالصة لم يعرفها الكوفيون.

- مصطلحات كوفية بصرية. والجدول التالي يوضح أهم هذه المصطلحات:¹

مصطلحات كوفية بصرية		مصطلحات بصرية	مصطلحات كوفية خالصة
البصرية	الكوفية		
الأدوات	الحروف	- لام الابتداء.	- الخلاف.
الجدد	النفي	- اسم الفعل.	- التقريب.
المحل والصفة	الظرف	- المفعول معه.	- الخروج.
الترجمة والتبيين	البذل	- المفعول له.	- الصرف.
الفعل الدائم	اسم الفاعل	- المفعول فيه.	- المثال
الخفض	الجر	- المفعول	
المجهول	ضمير الشأن	- المطلق.	
النعته	الصفة		
العماد	الفصل		
المكني	الضمير		
حروف الصلة أو الحشو	حروف الزيادة		
النسق	العطف		
الرفع والنصب والجزم عند الكوفيين للمعرب والمبني.	عند البصريين للمعرب وللمبني الضم والفتح والكسر والسكون.		

يتضح من خلال الجدول أن الخلاف المصطلحي مس جانبي الشكل والمعنى وفيما يلي أهم النتائج المتوصل إليها:

¹-ينظر: السيد رزق الطويل، الخلاف بين النحويين - دراسة وتحليل وتقويم، المكتبة الفيصلية، ط1، 1985م، ص

1- إن المصطلحات الكوفية الخالصة قليلة مقارنة بالمصطلحات الكوفية البصرية التي تختلف في اللفظ وتتفق في المعنى، وهذا يدل على رغبة الكوفة في تأسيس مذهبهم أسوة بمذهب البصرة.

2- نجد أن بعض المصطلحات البصرية قريبة من ألفاظ المتكلمين بينما المصطلحات الكوفية قريبة من التعبيرات اللغوية ومثال ذلك الجحد عند الكوفة في مقابل النفي عند البصرة.

المفعول معه وله وفيه والمطلق، فهذه ألفاظ بصرية، وقال البصريون بهذه المفعولات تحت ضغط التأثير بالمصطلحات الكلامية من القول بالإطلاق والتقيد.

أما الكوفيون فليس عندهم إلا مفعول به، والبواقي شبيهات بالمفعول به؛ لأنها ليست بمفعول يقابل الفاعل حتى يقع الفعل عليه.

3- جاءت بعض مصطلحات الكوفة أدق من مصطلحات البصرة ومثال ذلك:

• **مصطلح الأدوات:** حيث يعتبر أدق من مصطلح الحروف؛ « لأنهم استطاعوا أن يفرقوا بسهولة بين حروف المعاني وحروف المباني (الهجاء)، بينما المصطلح البصري فيه هذا الالتباس ولذلك عندما يقسمون الكلام يقولون اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، أما تعبير أداة فهو محدد ودقيق¹ ».

• **مصطلح النسق:** أدق من المصطلح البصري -العطف بالحرف- لاختصاره وغنائه عن التقيد.

4- يتضح من دراسة مصطلحات النحو عند البصريين والكوفيين أنها تقوم على الوصف الوظيفي للظواهر اللغوية؛ ونتيجة لذلك فإنها قد تستطيل في بعض الأحيان، كما يتضح في بعض عناوين المسائل في كتاب سيبويه، وهذا يدل على

¹ - السيد رزق الطويل، الخلاف بين النحويين، ص 239.

أنها ليست مأخوذة عن اليونان أو عن غيرهم من خارج البيئة الإسلامية العربية، كما أنها ليست متأثرة بتلك البيئات الخارجية¹.

5- هناك بعض المصطلحات اشتهرت عند الكوفيين مما جعل الباحثين يعدونها مصطلحات كوفية؛ إلا أننا نجد أنها عند سيبويه الذي يعد أحد مؤسسي النحو البصري؛ ولهذا يمكن إدراجها ضمن المصطلحات البصرية والكوفية على السواء ومثال ذلك:

- التفسير: وهو « المصطلح الثالث* من مصطلحات التمييز وقد اشتهر عند الكوفيين شهرة واسعة جعلت الباحثين منذ القدم يعدونه مصطلحاً من مصطلحاتهم وفقاً عليهم دون غيرهم، غير أن سيبويه استعمله أكثر من مرة في كتابه مما يوحي بأنه بصريٌّ من مرحلة ما قبل سيبويه²».

قال سيبويه: « وإذا قلت: كم عبد الله ماكث في (كم) أيام وعبد الله فاعل، وإذا قلت: كم عبد الله عندك، ف (كم) ظرف من الأيام، وليس يكون عبد الله تفسيراً للأيام لأنه ليس منها؛ والتفسير: كم يوما عبد الله ماكث، أو كم شهرا عبد الله عندك³». وفي اعتقادنا أن هذا المصطلح مرتبط بالمذاهب الفقهية التي تقوم بتفسير وبيان الأحكام الشرعية فهذا المصطلح استمد من علوم الشريعة كالتفسير والفقه.

¹ - ينظر: عبد الله بن محمد الخثران، مصطلحات النحو الكوفي - دراستها وتحديد مدلولاتها، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1990م، ص 155.

* - المصطلحات التي استعملها البصريون في تعبيرهم عن التمييز هي: التمييز والتبيين والتفسير، فرغم شهرة المصطلح الأول التمييز إلا أنه ليس من المصطلحات الأوائل في النحو العربي، فسيبويه لم يستعمله، أما التبيين فهو المصطلح الثاني من حيث الشهرة، إلا أنه الأول من حيث القدم والعراقة.

² - يحي عيابنة، تطور المصطلح النحوي البصري - من سيبويه حتى الزمخشري - عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006م، ص 146-147.

³ - سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان)، الكتاب، المطبعة الكبرى الأميرية، ببلاق، مصر، ط1، 1316هـ، 159/2 و185/2.

- الخفض: يعد أحدث المصطلحات التي استعملها البصريون للتعبير عن الجر في نظر يحي عابنة، والدليل على ذلك أن سيوييه والأخفش لم يستعملاه، وأن من استعمله بكثرة المبرد؛ ومن سماه منهم ومن الكوفيين خفضاً؛ فإنهم فسروه نحو تفسير الرفع والنصب، فقالوا لانخفاض الحنك الأسفل عند النطق به وميله إلى إحدى الجهتين¹. فنسبية المصطلح إلى الكوفيين يعود إلى عدم استخدامه عند نحاة البصرة الأوائل.

النسق: لقد استعمله البصريون للتعبير عن العطف إلى جانب (العطف الإشراف)، ويبدو أنه مصطلح طارئ على مصطلحات البصريين، إذ لو كان من مصطلحاتهم لا طرد استعماله عندهم، ولكن استعماله بدأ في أواخر القرن الثالث الهجري عند المبرد، وأما استعماله مصطلحاً شهيراً، فقد كان لمدة وجيزة لم تدم أكثر من أربعين عاماً، وأما كونه ليس من مصطلحات البصريين فقد ذكر الكفوي، وأبو جعفر النحاس أنه كذلك؛ أي أنه مشتهر عند غيرهم².

6- إن الخلاف المصطلحي بين البصريين والكوفيين لم يشمل فقط اللفظ بل امتد إلى جانب المعنى، فمن أشهر المسائل الخلافية بين نحاة البصرة ونحاة الكوفة في هذا الجانب نجد:

علة تسمية الاسم: إذا اختلفوا في مصدر اشتقاقه، فهو مشتق من السِّمة بمعنى العلامة، أم من السِّمو بمعنى الارتفاع؟، ولقد ذكر ذلك أبو البركات بن الأنباري في كتابه الإنصاف وجعلها أول مسألة من مسائل الخلاف بين المذهبين حيث قال:

¹-ينظر: المرجع السابق، ص 187.

²-ينظر: المرجع نفسه، ص 165.

« ذهب الكوفيون إلى أن الاسم مشتق من الوسم - وهو العلامة - وذهب البصريون إلى أنه مشتق من السُمُو وهو العلُو»¹، وحجج الفريقين مذكورة ومفصلة عند ابن الأنباري إذ يقول: « وأما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه مشتق من الوسم؛ لأن الوسم في اللغة هو العلامة، والاسم وسمٌ على المسمّى، فصار كالوسم عليه، فهذا قلنا: عنه مشتق من الوسم، وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه مشتق من السُمُو لأن السُمُو في اللغة هو العلُو، يقال: سما يسمو سُمُوًا، إذا علا ومنه سميت السماء لعلوها، والاسم يعلو على المسمى ويدل ما تحته من المعنى»².

خلاصة الفصل:

توصلنا من خلال هذا الفصل إلى جملة نتائج أهمها:

- 1- إن تشكل المصطلح يمثل مرحلة النضج الفكري، وهي مرحلة مبنية على خطوة لا استغناء عنها، وهي تكون المفهوم، ووضع الحدود.
- 2- إن هناك عدة أسباب أدت إلى تطوير العبارات الواصفة وجعلها مصطلحات نحوية مختصرة من أهمها: وجود حلقات الدراسة، والمجالس النحوية التي يدور فيها الحوار حول الأحكام النحوية.
- 3- للخلاف النحوي أثر في تطور الدلالات الاصطلاحية وبرز مصطلحات جديدة.

¹ - ابن الأنباري (كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن ابن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي)، الاتصاف في مسائل الخلاف - بين النحويين والبصريين والكوفيين - دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ج1، (د ط)، 2009م، ص 27.

² - المرجع السابق، ص 27.

4- تنقسم مصطلحات أصول النحو التي كان لعلم الفقه وأصوله أثر بارز في

بلورتها إلى قسمين:

• المصطلحات المتعلقة بالناحية الهيكلية (الأدلة الإجمالية) وكان لأصول الفقه الأثر

البارز فيها فظهرت مصطلحات من مثل: السماع، والقياس، والعلة، والاستحسان.

• أما المصطلحات المتعلقة بالمسائل الجزئية مصطلحات الحكم النحوي فكانت

متأثرة بمصطلحات الفقه من مثل: الواجب، الجائز، التعليق، الشرط.

5- اتحاد منبع المصطلحات الفقهية والنحوية والمتمثل في القرآن الكريم.

6- اختلاف مصطلحات أصول النحو، ومصطلحات أصول الفقه، وهو ما يثبت

خصوصية تناول.

7- المصطلحات البصرية قريبة من ألفاظ المتكلمين، بينما المصطلحات الكوفية

قريبة من التعبيرات اللغوية.



المبحث الأول: المنهج النحوي و اتجاهاته.

المبحث الثاني: الأثر الكلامي والأصولي في مناهج التنظير النحوي.

المبحث الثالث: منهج سيبويه بين الأثر والتأثير .

المبحث الرابع: أثر المذهب الظاهري في تجديد المنهج النحوي.

المبحث الخامس: أثر الخلاف الفقهي في الخلاف النحوي.

يقول إدريس مقبول:

«النظر النحوي أو الأقوال النحوية إنما هي واجهة تخفي وراءها جملة عقائد».

سيبويه معتزليا - حفريات في ميتافيزيقا النحو العربي، ص 103.

تمهيد:

إن المنهج النحوي الذي يتمثل في الطرق الاستدلالية التي اعتمدها النحويون في استخراج القواعد النحوية، يمثل جانباً مهماً لبروز الأثر الفقهي والكلامي، والذي كان حاضراً في عدة محاور هي: النص، والاجتهاد، والأحكام، وسنحاول في هذا الفصل الكشف عن هذا الأثر من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية: ما الفرق بين منهج النحاة ومنهج الأصوليين؟ وماهي أهم مظاهر الأثر الفقهي والكلامي في المنهج النحوي؟ وما علاقة تصور ابن مضاء القرطبي للأصول النحوية بالمذهب الفقهي؟

المبحث الأول: المنهج النحوي واتجاهاته:

أولاً: مفهوم المنهج النحوي:

قبل تعريف المنهج النحوي لابد من تعريف المنهج بصفة عامة

1- مفهوم المنهج:

أ- لغة: جاء في أساس البلاغة للزمخشري (539هـ) «(ن هـ ج) أخذ النَّهْجَ، وَالْمَنْهَجُ وَالْمَنْهَاجُ وَطَرِيقَةُ نَهَجٍ، وَطُرُقُ نَهْجَةٍ وَ أَنْهَجَ وَضَحَ، قال يزيد بن حذاق الشني: ولقد أضاء لك الطريقة و أَنْهَجْتُ منه المسالك و الهدي يعتدي¹؛ فالمنهج هو الطريقة

¹ - الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيقه أحمد عبد الرحيم محمد، دار المعرفة، بيروت، ص474.

الواضحة وقد عرّف المعجم الوسيط المنهج بأنه « الخطة المرسومة و اللفظة دلالتها محدثة ومنه مَنَاهِجُ الدراسة ومناهج التعليم ونحوها».¹

وفي اعتقادنا أن دلالة لفظة منهج ليس محدثة بدليل ذكرها في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾²، إلا أن هذه الدلالة ارتبطت بمجالات متنوعة ومستحدثة.

ب- اصطلاحاً: هو الطريقة الخاصة التي تصلح لكل علم على حدة بل لكل موضوع من موضوعات هذا العلم، وهذا يعني مجموعة القواعد العامة التي يتم وضعها بقصد الوصول إلى الحقيقة في العلم، إنه الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسة المشكلة لاكتشاف الحقيقة، أو لتحقيق الغاية المراد الوصول إليها.³

فالمنهج عبارة عن قواعد تفرض على الفكر دون أن تؤثر سلباً على جوهره هو خطوات تسمح للنظرية بمواجهة الواقع، هو طريقة في التفكير، رابط يربط الفكر بالواقع من أجل إبراز الحقيقة، وهو ضامن النظام و الترتيب الفكري و الارتباط بما يوجد خارج الفكر، لذلك تتضمن فكرة المنهج النظام والترتيب و إجراءات تفرض التتبع والتطبيق.⁴

ب- المنهج وتداخل المصطلحات:

¹ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار المعارف في مصر، ط2، 1973م، ج2.

² - سورة المائدة، الآية 48.

³ - ينظر: عبد المجيد علي عابدين، مزالق في طريقة البحث اللغوي والأدبي وتوثيقه النصوص، دار النهضة العربية، بيروت، (دط)، ص44.

⁴ - حنان قصبي ومحمد الهلالي، في المنهج، دفاتر فلسفية نصوص مختارة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2015م، ص6.

***المنهج والمنهاج:** إن المنهاج هو الطريقة أو الشريعة في حين أن المنهج مجرد طريقة في الاستدلال، المنهاج أسلوب حياة نظام أخلاقي و اجتماعي و سياسي في حين أن المنهج أقرب إلى طريقة النظر¹، يتضح أن دلالة المنهاج أوسع من دلالة المنهج حيث يمكن ربط هذا الأخير بالفكر.

***المنهج والموضوع:** كان الموضوع و المنهج في الحضارات الشرقية شيئا واحدا، فلا يوجد منهج مستقل عن الموضوع، المنهج موضوع متحقق و الموضوع منهج مطبق، والوعي متحد بهما معا، الموضوع يفرض منهجه من ذاته و المنهج يفرض موضوعه من ذاته، وفي الحضارات الإسلامية تتأكد وحدة المنهج والموضوع كما هو الحال في الحضارات الشرقية، فالوحي وهو الموضوع الأول لها، هو في نفس الوقت منهج العقل والبرهان نظرا لمواقفه صحيح المنقول الصريح المعقول.²

***الفهم و المنهج:** إن وقائع العلوم الإنسانية، تختلف عن وقائع العلوم الطبيعية اختلافا جذريا، فوقائع العلوم الطبيعية محسوسة وملموسة لها وجود مماثل أمام حواسنا وهي مباشرة تخضع للإدراك الحسي، أما وقائع العلوم الإنسانية فهي وقائع غير مباشرة تتمثل في المعاني و المشاعر و الأفكار، ووقائع العلوم الطبيعية تخضع للتفسير الذي يحاول بيان العلاقات الخارجية بين الوقائع، أما وقائع العلوم الإنسانية فتخضع للفهم الذي ينفذ إلى المعاني الباطنة، داخل الأشياء وليس الفهم منهجا، وإنما هو لب المنهج الكيفي وهو عملية لا غنى عنها في العلوم الإنسانية، بل هو يطبع هذه العلوم بطابعه ويرتكز

¹ - ينظر: حسن حنفي، قضايا العلوم الإنسانية، إشكالية المنهج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الفلسفة والعلم، ص1996م، ص 44.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص56.

الفهم على ثلاثة شروط إبستمولوجية وهي: الألفة بالطبيعة الإنسانية ومعرفة الخلفية الثقافية والوعي بالسياقات المحددة التي تحدث فيها عمليات التعبير.¹

***المنهج والنظرية:** ويتداخل المنهج مع النظرية إذ «إن النظرية متكاملة وبالتالي مغلقة، أما المنهج فهو حالة بحث عن العناصر الثابتة مما يجعله في حالة انفتاح، إن المنهج بالرغم من ارتباطه الأكيد بإطار نظري معين يتمتع بانفتاح طبيعي سمح له بالاتسام بطابع الاستقلالية النسبية عن النظرية»²، فالمنهج إذا يرتبط بالنظرية إذ يمثل الجانب الإجرائي العلمي، في حين تمثل النظرية التصور المرتبط بالفكرة.³

ثانياً: سمات المنهج النحوي والنقد الموجه له:

1- سمات المنهج النحوي:

إن المنهج الذي اصطنعه النحاة في دراسة النحو العربي يتسم بسمتين أساسيتين:

1-1- إنه منهج تفسيري: وتعني هذه السمة أن المنهج « لا يقف عند حد وصف الظاهرة كما هي دون أن يجد تفسيراً لها، وإنما يحاول أن يفسرها في ضوء العلاقات المتشابكة مع غيرها من الظواهر بغية الوصول إلى القانون الكلي الذي تندرج تحته هذه الظاهرة»⁴؛ وهذا المنهج ارتبط « باستقراء النص القرآني، و الكشف عن معانيه من

¹ - ينظر: علي عبد المعطي محمد، قضايا العلوم الإنسانية، إشكالية المنهج، إشراق يوسف زيدان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الفلسفة والعلم، 1996، ص 21، 22.

² - فردريك معتوق، منهجية العلوم الاجتماعية، عند العرب، وفي الغرب، ط 1، 1985م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ص 11.

³ - مزيتي مريم، تجليات المنهج الوصفي في الدرس النحوي العربي القديم قسم اللغة العربية و آدابها المركز الجامعي تيمسويلت، مجلة علوم اللسان العربي، العدد 22، ديسمبر 2012م، ص 11.

⁴ - مصطفى أحمد عبد العليم بخيت، أثر العقيدة وعلم الكلام في النحو العربي، ص 31.

خلال تحليل مكوناته، وتبين ما يجري بينها، بغية الوصول إلى ما يقترب من القصد الإلهي «¹؛ أي إن هذه السمة ظهرت مع بداية ظهور النحو العربي وارتبطت بالنص القرآني و ذلك بغية الكشف عن معانيه من خلال تحليل مكوناته، وهذا التحليل لنصل بذلك إلى مرحلة التفسير ثم التأويل كآخر مرحلة من مراحل التحليل.

وهذا المنهج التفسيري يحتاج إلى مجموعة من الركائز الثقافية و الأصول العقلية، وقد كان من بين هذه الركائز الثقافية التي اعتمد عليها النحاة علم الكلام ² وعلم الفقه وأصوله.

ولقد اتسم المنهج اللغوي العربي في دراسة النصوص القرآنية بسمات مهمة منها:

أ- إنه منهج دلالة غايته الكشف عن دلالات الألفاظ و الإشارات، والكتابات والحال التي تطرأ على الحال

ب- إنه منهج معنوي يسخر دلالات الألفاظ و الجمل، والمقام للكشف عن المعاني المقصودة كالأمر و النهي والاستفهام، والتمني، والترجي.

ج- إنه منهج تحليلي في بدء نشأته يسعى من خلال تحليل النص إلى وحدات صغيرة، يعضد بعضها البعض لتحقيق الوصول إلى القصد.

د- إنه منهج تكاملي تعضد فيه دلالات الوحدات الصوتية و الصرفية و النحوية الحصيلة المستخلصة من دلالة الألفاظ والجمل و المقام.

¹ - كريم حسين ناصح الخالدي، الفكر النحوي العربي بين فهم النص القرآني و تأثير سلطة العقل، دار الرضوان للنشر و التوزيع، ط1، 2016م، ص412.

² - مصطفى أحمد عبد العليم بخيت، المرجع السابق، ص31.

هـ- إنه منهج بنيوي، يعلم المنشئين بناء النصوص الأدبية في ضوء طرائق بناء النص القرآني و أساليب التعبير فيه¹؛ حيث إن هذا المناخ الإسلامي العام هو الذي أنتج (علوما إسلامية) تشاركت في النشأة، تشاركت في النشأة، وأسهمت في أسباب التطور، وفي وجوه التأثير و التأثير، وأحسب أن وضع النحو العربي في هذا السياق بعين علم فهم الأسس التي صدر عنها أصحابه في رسم منهجه على وجه الخصوص.²

1-2- السمة الثانية: إنه منهج تعليمي في أكثره، وهذا المنهج يتحرك في إطار ثقافة العصر الذي يعيش فيه، ويرتبط في الوقت نفسه لحاجات المتعلمين، وخلفياتهم الثقافية، بل إنه يحاول تفسير الحقائق النحوية، وقد يكون في تلك الطريقة نوع من الاستطراد، والخروج عن موضوع البحث من الوجهة العلمية، والحق أن النحاة كانوا على وعي بذلك، وكانوا يشيرون إلى ما ينتمي إلى النحو وما لا ينتمي إليه في شروحهم وحواشيه على المختصرات التعليمية³؛ حيث يتم من خلال هذا المنهج نقل تفاصيل القوانين والقواعد والأصول إلى المعلمين بغية التلقين و الإفهام، وهي مهمة صعبة لوجود عدد كبير من المتعلمين من غير العرب لا يعرفون أسرار الموروث اللساني، وهذه المهمة حرجية وخطيرة نحت بالنحو العربي، وليس بالفكر العربي، نحو التنظير العقلي و المنطقي والتعليمي الذي يضع القوالب الجاهزة للحفظ والتلقين لا الفهم والاستنباط⁴.

2-النقد الموجه للمصطلح النحوي:

¹ - ينظر: كريم حسين ناصح الخالدي، الفكر النحوي العربي بين فهم النص القرآني وتأثير سلطة العقل، ص235-236.

² - عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1979م، ص 12.

³ - مصطفى أحمد عبد العليم بخيت، المرجع السابق، ص32.

⁴ - كريم حسين ناصح الخالدي، المرجع السابق، ص413.

رغم ما يتميز به المنهج النحوي من مميزات المنهج العلمي إلا أنه تعرض لهجوم عنيف إلى جانب الهجوم الذي شن على الفصحى ودعا إلى العامية وإلى الهجوم الذي عيب القواعد النحوية التقليدية؛ حيث بدأ نقد منهج النحو العربي مع نهاية ثلاثينيات القرن العشرين وهذا كله تحت تأثير عوامل منها:

- عودة المبعوثين من الخارج خصوصا المتشبعين بالمنهج الوصفي العربي كإبراهيم أنيس وعبد الرحمان أيوب و تمام أحسان.

- وفي هذه الفترة نشر واشتهر كتابان أحدهما من المحدثين وهو كتاب إحياء النحو لإبراهيم مصطفى، والذي نشره سنة 1937م والآخر مؤلفه من القدماء، وهو كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي الذي نشره شوقي ضيف سنة 1947م¹، ويمكن أن نلخص هذا الهجوم في ثلاث نقاط أساسية هي:

1- إن النحو العربي في نشأته متأثر بالمنطق الأرسطي العقلي و كان له أثر سلبي من ناحية أنه هو الذي أوجد نظرية العامل وأنشئ عليه التقسيم الثلاثي غير الواقعي للكلمات العربية.

2- معيارية النحو العربي: إن مكن العيب في المعيارية حسب هؤلاء الباحثين هو أن النحاة القدماء حين انتقلوا من مرحلة تدوين اللغة و جمعها إلى مرحلة التقعيد استهوتهم القواعد التي وضعوها وحكموا على الشواهد التي خرجت عليها ولم تجد لها مكانا في قوالبهم بالتأويل والتخريج في تكلف وتعسف، فإذا لم يستطيعوا تأويلا أو تخريجا حكموا على هذا الاستعمال بالشذوذ و رأوا وجوب الانصراف عنه و إهماله بعض أنماط هذه المادة نفسها غير صالح للبحث النحوي و اللغوي.

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 297.

3- الخلط بين المستويات اللغوية؛ أي الخلط بين ما يقوله الحضر و ما يقوله أهل البادية وكذا عدم مراعاة التطور الطبيعي للغة.¹

ومجمل ما هدف إليه المحدثون بنقدهم لمنهج القدماء هو:

1- التخلص من تأثير نظرية العامل والاتجاه إلى الدراسة الوصفية لعناصر الجملة.

2- الفرار من العلل الزائفة و من الإغراق في التأويل.

3- طرح الإعرابين التقديرى والمحلي، وتقدير العوامل و إظهار المعمولات.²

ثالثا: اتجاهات المنهج النحوي و أدلة التأثير:

الاتجاه الظاهري	الاتجاه الاعتزالي	الاتجاه الأثري التقليدي
يعد ثورة على المنهج الاعتزالي وفرضياته البعيدة التي اخترعتها عقول الفلاسفة النحاة و التي لا تجد في كثير من الأحيان سنداً لها في المعطيات الأثرية (السماع) بل يعود حلها إلى القياس بوصفه معطى فكرياً غذته علوم المنظور والفلسفة. ²	تشكل ظاهرة بارزة المعالم السمات والقسمات سرعان ما بلورت لنفسها منهجاً قوامه النحو البصري ممزوجاً بمعطيات الجدل والمنطق و الفلسفة.	يضم النحاة المنظرين الأوائل من أعلام المذهب البصري في القرنين الثاني و الثالث من الهجرة وكذلك أعلام المذهب الكوفي، يعد هذا الاتجاه الأصل الذي بني عليه الاتجاهان الآخران بسبب مباشرة رواده لجانب من جوانب السماع.

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص298، 299.

² - ينظر: المرجع السابق، ص299.

² - ينظر: طلال يحيى إبراهيم، ثامر عبد الجبار نصيف، النحاة المعتزلة، آداب الرافدين العدد 45، 2007م، ص56.

إن الظاهر من استقراء الفكر النحوي العربي أن هناك ثلاثة اتجاهات متميزة يحكي كل منها منهجا معينا في الدراسة النحوية مع ظهور تنوعات ضمن بعضها، ولكنها محكومة بخصائص ذلك المنهج وهذه الاتجاهات ممثلة فيما يلي:

اتجاهات المنهج النحوي

يظهر من خلال هذا التقسيم:

1- أثر المذاهب الكلامية في الاتجاه الثاني والذي سماه كل من طلال يحي إبراهيم وثامر عبد الجبار نصيف بأحد أسماء الفرق الكلامية وهي: فرقة المعتزلة وذلك لاعتماد هذا الاتجاه على أسس هذه الفرقة الكلامية المرتكزة أساسا على القياس والجدل و إعطاء الأولوية للعقل، ولقد بدأ هذا الاتجاه مع نحاة البصرة، من أمثال ابن جني.

2- أثر المذاهب الفقهية في الاتجاه الثالث، حيث أطلق عليه تسمية الاتجاه الظاهري نسبة إلى المذهب الفقهي الظاهري الذي يركز على ظاهر النص و إبعاد القياس والتأويل مع إعطاء الأولوية للسمع، وقد حمل لواء هذا الاتجاه ابن مضاء القرطبي في كتابه "الرد على النحاة" حيث نادى إلى تخليص النحو مما علقه به من تعليقات وتأويلات بعيدة عن منطق اللغة.

3- ويبقى السؤال الذي يطرحه نفسه عن الاتجاه الأول ، والذي سمي بالاتجاه الأثري التقليدي فهل كان حاليا من الأثر الخارجي، مع أن العلوم الإسلامية تفاعلت مع بعضها البعض خاصة في بداية نشأتها، وهذا بسبب التقاف علماء الإسلام حول القرآن لفهمه وكشف سر إعجازه، ونشير بعلمي الكلام و أصول الفقه، ومن بين هذه الأدلة:

- اعتراف النحاة أنفسهم بذلك ومن أمثلة ذلك:

* إشارة ابن جني (392هـ) في كتابه "الخصائص"، والذي صرح في مقدمته بمحاولته إنشاء أصول لغوية على غرار الأصول الفقهية والحدود الكلامية فقال: «...وذلك أنا لم نر أحداً من النحاة تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه».¹

* كما يقر ابن الأنباري (577هـ) بتأثره بمناهج الفقهاء في تأليف لكتابه "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين"؛ حيث يقول: «إن جماعة من الفقهاء المتأدبين و الأدباء المتفقهين المشتغلين بعلم العربية بالمدرسة النظامية. عمر الله مبانيها، ورحم بانيها سألوني أن ألخص لهم كتابا لطيفا يشمل على مشاهير المسائل الخلافية بين الشافعي و أبي حنيفة».²

* كما يذكر السيوطي في كتابه " الاقتراح في علم أصول النحو"، تأثره بأصول الفقه إذ يقول: « هذا كتاب غريب الوضع عجيب الصنع لطيف المعنى طريف المبنى، لم تسمح قريحة بمثاله، ولم ينسج ناسج على منواله...وهو أصول النحو الذي هو بالنسبة إلى النحو كأصول الفقه بالنسبة إلى الفقه... ورتبته إلى النحو ترتيب أصول الفقه في الأبواب والفصول و التراجم كما سنراه واضحا بينا إن شاء الله تعالى...».³

¹ - أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، 2/1.

² - ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص 25.

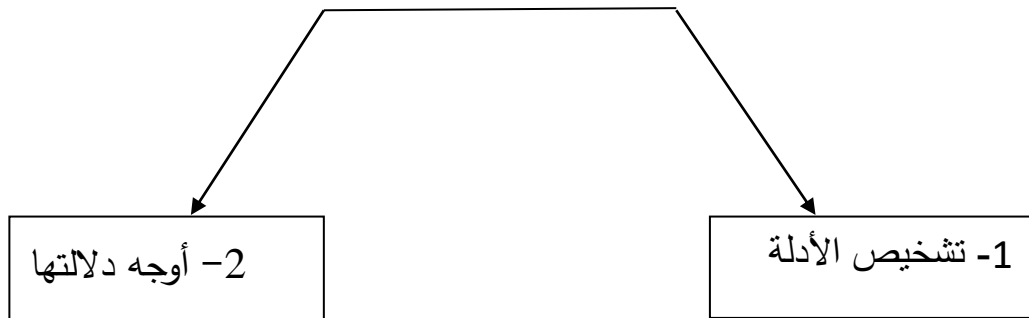
³ - السيوطي، الاقتراح، ص 15.

المبحث الثاني: الأثر الأصولي والكلامي في مناهج التنظير النحوي:

أولاً: جوانب التأثير:

لقد كان لمنهج البحث الأصولي أثر كبير في منهج البحث النحوي من ناحيتين:

نواحي التأثير¹



نجد في تشخيصهم لأدلة النحو ما وجدناه عند الأصوليين من والسماع، والقياس، والإجماع، الاستحسان، والاستصحاب، وغيرها.

وفي أوجه دلالتها بحث الأصوليون في طرق النص، حمل النص وثقة النقلة والرواة وبحثوا عن التواتر، والآحاد، والمرسل، والمجهول، وشروط ذلك، كما تحدثوا عن إجماع أهل العربية، ومتى يكون حجة، ومتى تجوز مخالفته، وعن أفواه الإجماع، وتكلموا عن أقسام القياس، وعن أركانه الأربعة، وشروط هذه الأركان.

الفقه

بعدي،

إلى، العدد الأول، 2009م،

الإسلامي، دراسة عربية

الشكل 20: نواحي التأثير في مناهج النحو

ص193.

ثانياً: الفرق بين منهج النحاة ومنهج الأصوليين:

رغم تأثر أصول النحو بأصول الفقه من ناحية المنهج؛ إلا أن هناك فروقا في المسلك الذي انتهجه النحويون في تأصيل أصولهم عنها، وفيما يلي أهم تلك الفروق:

أ- إن قوانين النحو تكاد تكون ثابتة كاملة في المنهج و الاستنتاج كما ثبت في كتب مدرستي البصرة والكوفة، وبخاصة القديمة مثل: كتاب سيبويه، ومعاني القرآن للفراء أما أصول الفقه فإنه متجدد متطور، وقد تحدث فيه نظريات جديدة تلغي النظريات القديمة حسب ما يراه المجتهد، حيث كان أبو حنيفة وطلابه يعتمدون الإجماع السكوتي والاستحسان و الرأي، وما كانوا يقررونه من شروط في السنة النبوية تجعل نطاق الاعتماد على الحديث النبوي ضيقا؛ ثم جاء أتباع الشافعي من بعده، فصقلوا هذه الأصول ووسعوها و أحكموا قواعدها و خالفوه في بعضها، وقد سميت هذه الطريقة بطريقة الشافعية، أو بطريقة المتكلمين، فالأول ثابت في مناهجه، والثاني متغير متطور، لم نجد نحوا جديدا كما وجدنا فقها جديدا.

ب- إن طريقة الاستنباط في أصول الفقه تختلف عنها في أصول النحو فكلاهما يعتمد السماع والقياس في الحكم إلا أن طبيعة الحكم الذي يستنبط الفقيه عنه طبيعية، الحكم الذي يستنبط النحوي¹، فالنحو يمكن أن يستنبط حكمه النحوي من كل آية في القرآن، ومن كل حديث في السنة، أما الفقيه فلا يستنبط حكمه الفقهي إلا من النص

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 198.

القرآني المتعلق بتلك المسألة التي يطلب حكمها أو من الحديث المتعلق بها¹؛ لذلك أطلق على هذه الأدلة (آيات الأحكام) أو (أحاديث الأحكام).

ج- تكون القراءات القرآنية محط أنظار النحوي أكثر من الفقيه، فالنحوي ينظر إلى القراءات أنها أقوى الأدلة النحوية، لأنها نصوص عربية فصيحة وهذا خلاف ما عليه الفقهاء الذين لم يبحثوا في أصول الفقه أو الفقه قضية القراءات إلا قليلا، مثل جواز الصلاة بإحدى القراءات المتواترة

د- كما نجد النحويين القدامى لم يشاركوا الفقهاء في الاحتجاج بالسنة القولية، حيث نجد الفقهاء قد اهتموا في تحقيق الحديث و تخريجه، ولم يهتم بذلك النحاة².

ثالثا: الأثر الفقهي في التقعيد النحوي:

يدل التقعيد على «الاستغناء بالكلام في الحكم الشامل وهو القاعدة عن الكلام في أحكام المفردات كل منها على حدة»³، ولقد كان المنطق الأول للنحاة استقراء كلام العرب الفصيح، وتم ذلك عن طريق إتباع خطوتين.

الخطوة الأولى: حسية لا تتجاوز النقل والاستقراء اللذين أجراهما النحوي على المسموع وفي هذه الخطوة وضعت شروط لهذا المنقول الصحيح الذي ينبغي أن يكون

¹ - المرجع نفسه، ص 199.

² - المرجع السابق، ص 199.

³ - تمام حسان، الأصول (دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عن العرب النحوي، فقه اللغة، البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، دط، 2000م، ص 60.

بالعًا حدّ الكثرة حتى يصلح الاعتماد عليه¹، حيث وضعت شروط زمانية ومكانية وشروط تتعلق بالناقل نفسه و المنقول إليه.

الخطوة الثانية: التجديد وهي استخراج المعقول من المحسوس، واتجه النحاة في ذلك ثلاث جهات:

1- استصحاب حال

2- القياس

3- قواعد التوجيه

وتسبق هذه الخطوة عملية التصنيف التي تبدأ بمعرفة العلاقات بين المفردات، والتي تنقسم إلى نوعين علاقات وفاقية، وعلاقات خلافية، ومعنى هذا «أن التصنيف خطوة إلى التجربة»².

حيث إن المصدر الأساسي للتقعيد النحوي هو النصوص لذلك «فالنحو في أصله وغايته هو علم النصوص إنه بها ولها»³.

من خلال ما تقدم يتبين أن الأثر الفقهي في التقعيد النحوي يبرز في الخطوة الأولى التي تركز على النقل وشروط المنقول، والمنقول إليه، والناقل، أما الخطوة الثانية فتتجاوز الأثر الفقهي إلى الأثر الكلامي والمنطقي؛ حيث يكثر فيها التعليل، والقياس.

رابعاً: أثر المذاهب الفكرية في مناهج التنظير لدى النحاة:

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 61

² - المرجع السابق، ص 62

³ - محمد عيد، الاستشهاد و الاحتجاج باللغة، رواية اللغة و الاحتجاج بما في ضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1988م، ص 212.

1- أسس التنظير النحوي:

لقد ارتبط البحث النحوي المنظم منذ بدايته الأولى بالتنظير « فهو ليس من قبيل الاختراع بل هو أقرب إلى منطق إعادة الاكتشاف، ذلك أن المعرفة قد تكون متحققة بالفعل على سبيل الإدراك من غير أن يصرح بإطارها التنظيري النظري ثم يأتي من يصوغها على شكل منهج أو نظرية فتتسبب إليه نسبة لا تنفي أنها كانت متحققة بالفعل قبله»¹، ولقد قام التنظير النحوي في مجمله على عدة أسس وقواعد وأهم هذه الأسس:

1- الأصلية و الفرعية: و تتجلى فكرة الأصلية و الفرعية في مختلف علوم اللغة العربية منذ العصور الأولى للتنظير بدءاً من علم الأصوات إلى علم الصرف، و النحو وما يتعلق بالمعاني في مجال البلاغة و المجال الدلالي عموماً²، ولقد ظهر مصطلح الأصول عند النحويين بمفهومين:

أ- الأول بمعنى الأصول التي يستندون إليها في إثبات صحة الأحكام و القواعد النحوية، و منها السماع و القياس و الإجماع و الاستحسان و استصحاب الحال وهي في الأصل أصول فقهية اعتمد عليها الفقهاء في إثبات صحة الأحكام الفقهية.

ب- المفهوم الآخر للأصول: وهو يعني وجود أصل يتفرع إلى فروع، و الأصل الأول والفرع الثاني، وقد تحدث سيبويه في أول كتابه عن هذه الأولوية حيث قال في معان نحوية أنها أولى، ولم يسمها بالأصول و الفرع و كان يصفها بالثقل و الخفة³.

¹-حسن خميس الملقح، التفكير العلمي في النحو العربي، الاستقراء-التحليل-التفسير، دار الشروق للنشر و التوزيع ط1، 2002م- ص32.

²- ينظر: عبد العليم بوفاتح: أسس التنظير النحوي و مناهجه، جامعة الأغواط الجزائرية، مجلة الآداب، العدد 16 جوان 2010م- ص43- 51.

³- ينظر: كريم حسين ناصح الخالدي، الفكر النحوي العربي بين فهم النص القرآني و تأثير سلطة العقل، ص 173-180.

قال: «واعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة، وهي أشد تمكناً لأن النكرة أول ثم يدخل عليها ما تعرف به، فمن ثم أكثر الكلام ينصرف في النكرة، و اعلم أن الواحد أشد تمكناً من الجميع لأن الواحد الأول... واعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث لأن المذكر أول، وهو أشد تمكناً، و إنما خرج التأنيث من التذكير»¹.

فاستعمال مصطلحي الأصل و الفرع في المذكر و المؤنث و المفرد و المثنى والجمع من الاستنتاجات العقلية المتأخرة عن حقبة تطور النحو و اكتماله لأن سيبويه تحدث عن هذه المعاني و أطلق عليها مصطلح الأثقل و الأول ولم يذكر في هذا المقام مصطلحي الأصل و الفرع².

من خلال هذا يتضح أن الأصلية و الفرعية عرفت عند النحاة القدماء لكن بتسمية مختلفة مع الاشتراك في المعنى.

2- **العمل النحوي:** يعد العمل النحوي أساس النظام النحوي، فنحن إذا تصفحنا كتب النحو العربي وجدناها تقسم موضوعاتها بحسب العوامل، كما قسموا العامل إلى لفظي ومعنوي حيث إن هناك عوامل مؤثرة في الأسماء و عوامل مؤثرة في الأفعال، إلا أنهم يتجاوزون حدود الاستقراء أحيانا إلى إيجاد تعليلات لتفسير بعض الظواهر اللغوية وهذا هو الجانب الذي يجدر أن تثار حوله المناقشة .

ثانيا: أقسام مناهج التنظير النحوي

¹ -المرجع السابق، ص 517.

² -ينظر: عبد العليم بوفاتح، المرجع السابق ص 43 - 51.

إن المتتبع لجهود النحاة في مجال التنظير و التععيد يمكن أن يقف على عدة مناهج متداخلة و متكاملة فيما بينها أبرزها:¹

المنهج الوصفي الاستقرائي	المنهج التعليمي	المنهج العقلي المنطقي
يقوم هذا المنهج على الوصف و الاستقراء إذ انطلق النحاة من عينات لغوية خلال فترة زمنية معينة في رقعة مكانية محددة وفق شروط معينة فكانت بداية الوصف إذا من اللغويين في جمعهم لمواد اللغة كما نطقها العرب الأقحاح في بيئاتهم الصافية، و بعد ذلك ينتقل الأمر إلى النحاة إلى استقراء هذه المادة، و تحليلها عن طريق التنظيم والتصنيف و دراسة المكونات وتحديد التشابهات والفروق بين أجزائها	إن التنظير النحوي له اتجاهان أحدهما علمي والثاني تعليمي، وقد نجد هذين الاتجاهين مترامنين في بعض الأحيان، غير إن النحو بدأ علميا وانتهى تعليميا كانت البداية الحقيقية لهذا المنهج مع أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع للهجري و من بين خصائص هذا المنهج:	لم يعرف إلا بعد القرن الثالث الهجري وكان منهجا عاما في التفكير و لم يكن مقتصرًا على البحث النحوي، لذا فقد أملت عدة عوامل منها:
	- الابتعاد عن الخوض في قضايا الخلاف بين البصرة و الكوفة	- ثقافة العصر التي أخذت تنتشر و تعم الأمصار وهي ثقافة دينية كلامية.
	- فصل الشروح عن المتن الأصلية ليتأتى للقارئ فصل النص وشرحه.	- ظهور المذاهب الفلسفية وإنتماء العلماء لهذه المذاهب.
		- شيوع أساليب الجدل بين العلماء الذين ينتمون إلى فرق مختلفة في معالجة القضايا الدينية مما انعكس على سائر العلوم منها النحو. ومن مظاهر هذا المنهج ما تلاحظه من أساليب التعليل التي يغالي فيها النحاة المتأخرون على حساب الوصف.

¹-ينظر: المرجع نفسه، ص 57-64.

يتضح من خلال هذه الأنواع أن الأثر الكلامي و الفقهي واضح و جلي في المنهجين الأول - المنهج الوصفي الاستقرائي - و المنهج الثالث - المنهج العقلي المنطقي - ، حيث إن النحو العربي في بداياته تأثر بالفقه و أصوله من حيث تعديد القواعد و استنباطها؛ فنتج عن ذلك إتباع المنهج الاستقرائي، أما في المراحل المتأخرة من تاريخ النحو العربي فكان التأثير بعلم الكلام الممزوج بالفلسفة و المنطق، لذا سنسلط الضوء على المنهجين الاستقرائي و العقلي المنطقي لتتضح الرؤية أكثر.

1- المنهج الوصفي الاستقرائي:

لقد جعل علماء النحاة و الأصوليين و علماء المنطق الاستقراء على قسمين:

الأول: الاستقراء التام، و يعتمد هذا النوع من أنواع الاستقراء على حصر جميع الجزئيات بطريقة التقسيم و أشار الأصوليون إلى أن الاستقراء التام أو القياس المنطقي حجة بلا خلاف.¹

1-1- شروط الاستقراء : يمكننا ذكر أهم الشروط التي اشترط النحاة في الاستقراء الذي يؤخذ بنتاجه.

أ-ارتباطه بالواقع النحوي: لقد اعتمد النحاة في دراسة اللغة العربية على الدراسة الوصفية للواقع اللغوي فقاموا من خلالها بالحصر و التتبع له.

مثال عن ذلك ظاهرة الوقف و الابتداء التي تعدّ مثالا عن تلك الدراسة الوصفية الاستقرائية، حيث لاحظ النحاة أن العرب لا ينطقون بالسكان في بداية الكلمة أو الجملة

¹-ينظر: محمد بن عبد العزيز العميريني، الاستقراء الناقص و أثره في النحو العربي، دار المعرفة الجامعية،

ولا يقفون على متحرك، فإذا ما لاحظوا أن الحرف الأول جاء ساكناً ألقوا به في أول الكلمة همزة سموها همزة وصل حتى يمكنهم النطق بالساكناً¹، نجد هذا في قول ابن جني: «اعلم أنألف الوصل همزة تلحق في أول الكلمة توصلها إلى النطق بالساكناً و هرباً من الابتداء به، إذ كان ذلك غير ممكن في الطاقة فضلاً عن القياس»²، و لقد تتبع النحاة الأسماء السماعية التي تبدأ بهمزة الوصل فوجدوها عن طريقة المنهج الوصفي الاستقرائي عشرة وهي: ابن، ابنة، امرؤ، امرأة، اثنان، اثنتان، اسم، است، أيمن، و ابنم وهو بمعنى ابن.

ب- أن يبني الاستقراء على نصوص فصيحة: لقد تم استقراء النصوص في فترة زمنية محددة تنتهي بمنتصف القرن الثاني الهجري في الحضر، و أواخر القرن الرابع الهجري في البادية حتى يضمنوا لهذه النصوص الصحة و السلامة و البعد عن الحق والتعريف³.

ج- إجراء الاستقراء على نصوص قبائل محددة الأماكن لاتسامها بالأصالة والفصاحة:

ابتعد النحاة بهذا القيد عن القبائل التي خالطت العجم أو خالطت الحضر فلانت ألسنتهم واستقر رأيهم على عدم الأخذ عن قبائل العرب كافة لأن القبائل متفاوتة في الفصاحة ووصف اللغة.

د- شروط خاصة بمستقراء اللغة:

¹- ينظر: المرجع نفسه، ص24.

²- ابن جني، المنصف، 53/1.

³- ينظر: محمد بن عبد العزيز العميريني، المرجع السابق، ص25.

وذلك كاشتراط كونه واسع الاطلاع، قوة الملاحظة، يعرف ضوابط الكلام العربي عن غيره، وقد كان النحاة القدامى على وعي تام بهذه الأمور و كانوا قادرين على التفريق بين الكلام العربي و غيره ¹.

2- الفرق بين الاستقراء التام و الناقص في النحو العربي:

إن الاستقراء التام يجب أن يشمل من الناحية النظرية و العلمية جميع المسموعات بالإضافة إلى استقراء آراء النحاة فيها، وهذا أمر يصعب تقريره فضلاً عن الحكم به أو القطع بإمكانه بل إن سيبويه قد أشار إلى أنه يستحيل الاستقراء التام لكلام العرب²، وهو ما تفهمه من قوله: «و كل شيء جاء قد لزمه الألف و اللام هو بهذه المنزلة فإن كان عربياً تعرفه، ولا تعرف الذي اشتق منه فإنما ذاك لأن جهلنا ما علم غيرنا، أو يكون الآخر لم يصل إليه علم، وصل إليه الأول المسمى»³.

ولذا يمكن القول بأن الاستقراء الناقص هو الذي قام عليه النحو العربي، وقامت عليه الأحكام النحوية المستندة إلى الآراء و المسموعات فهو ليس استقراء علمياً مقنناً، وإنما هو استقراء يعتمد على جمع النصوص والحصول على النتائج و لقد أشار تمام حسان إلى القول بأن العلم المضبوط يمتاز بالاستقراء الناقص ومن ثم يكون صناعة، على حين يتسم غير المضبوط بالاستقراء التام و من ثم يكون معرفة⁴ حيث كانت النصوص أساس التقنين و التقعيد النحوي و المادة الأساسية التي اعتمد عليها النحاة حيث إنهم «أجروا الاستقراء على ما وصل إلى أيديهم من النصوص مستغنين به عن

¹ - المرجع نفسه، ص 28

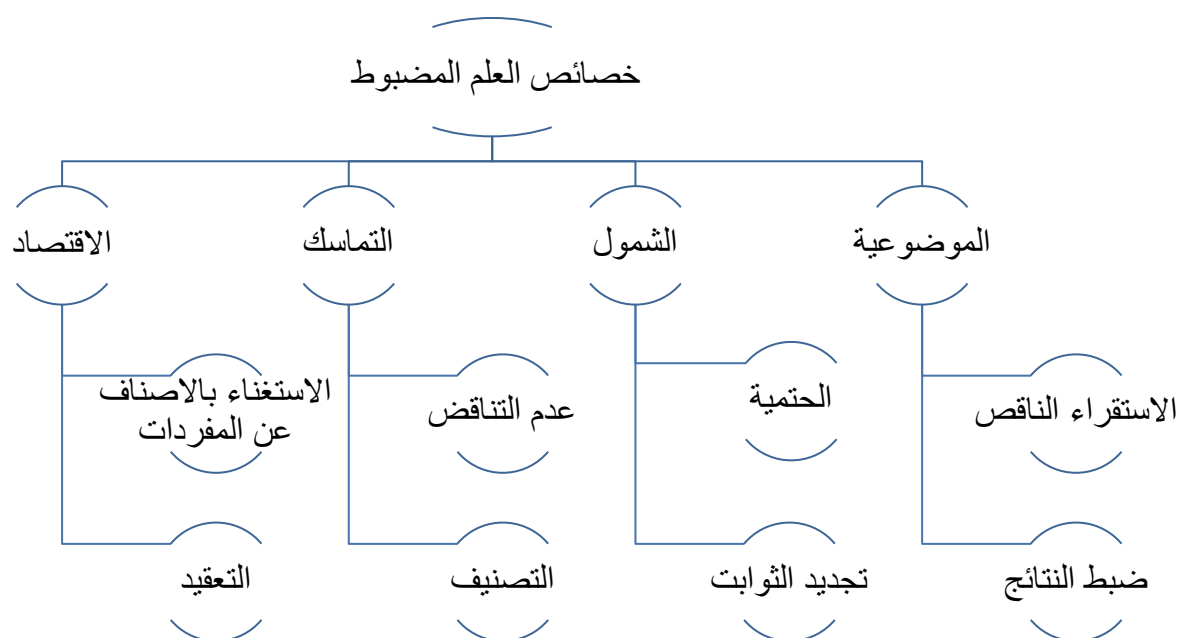
² - محمد بن العزيز العميريني، المرجع السابق، ص 16.

³ - سيبويه الكتاب ص 102، 103.

⁴ - ينظر: محمد بن عبد العزيز العميريني، المرجع نفسه ص 17.

غيره مما لم يصل إليهم فكان ذلك منهم استقراء ناقصا وهو مطلب العلم المضبوط أو الصناعة»¹.

ولقد ذكر تمام حسان جملة من خصائص هذا العلم و الذي تميزه عن العلم غير المضبوط وضحاها في المخطط التالي:²



الشكل 21: خصائص العلم المضبوط

إن «فالنحو صناعة تتصف بجميع مواصفات العلم المضبوط و بالتالي فهي تكتسب بالتدريب حتى تصبح ملكة في النفس تتمكن بالتطبيق المستمر، عكس المعرفة التي تكتسب بمداومة الاطلاع، و يتوقف الوصول إليها بتوقف هذا الاطلاع»³.

¹-تمام حسان، الأصول- دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحوي، فقه اللغة، البلاغة- عالم الكتب القاهرة، 2000م، ص57.

²-ينظر: المرجع السابق، ص 16.

³-المرجع نفسه، ص 61.

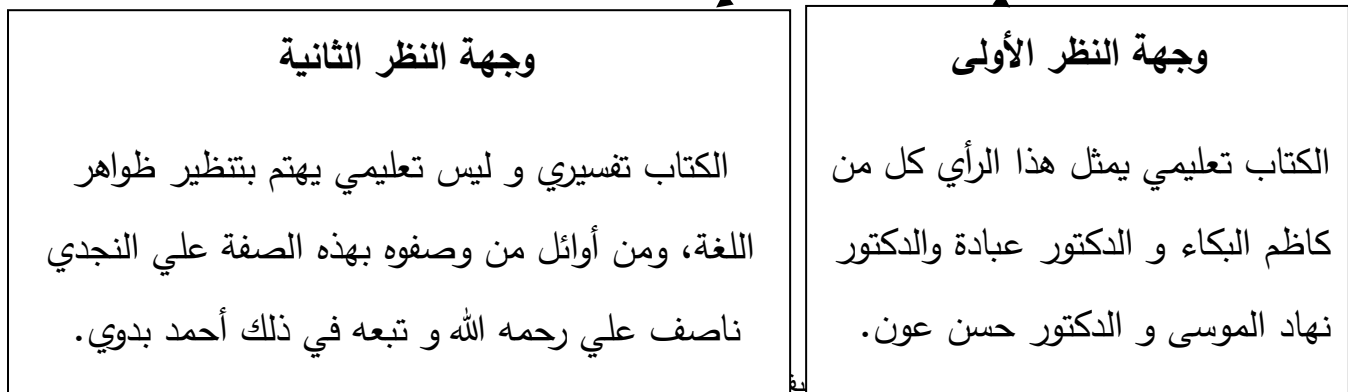
3- الاستقراء بين علم الأصول و النحو:

الواضح أن الأصوليين يعدون الاستقراء منهجا من مناهج التفكير في الاستدلال، وهذا ما جعلهم يختلفون في ضبطه كمصطلح على نوع من أنواع الأدلة المعتمد بها، والتي تمثل مرحلة من مراحل التمهيد و الإعداد للحكم الغالب أو المقطوع به حيناً، و أما النحاة فقد اعتمدوا على استقراء النصوص العربية لجمع خصائص مفرداتها و تراكيبها اعتماداً كبيراً¹، انطلاقاً من فكرة أن الاستقراء للنصوص وسيلة إلى وصف قواعد اللغة وضبط قوانينها، لذا فإن الاستقراء بالإضافة إلى كونه منهجا من مناهج التفكير في الاستدلال يعده النحويون دليلاً معتبراً إذا اكتملت شروطه².

المبحث الثالث: منهج سيبويه بين الأثر و التأثير

يعد كتاب سيبويه أول كتاب يصل إلينا مزج فيه بين علوم اللغة، و اختلف العلماء حوله فوصفه بعضهم بأنه كتاب تعليمي و أطلقوا عليه ما شاءوا من الأوصاف الدالة على التيسير والسهولة والمنهجية و غيرها....، ووقف آخرون على الجانب الآخر فنعتوه بالتعقيد والمعيارية والتحكم، في لغة العرب و رمى هذا بالصواب وهذا بالخطأ و غيرها³، وفيما يلي بيان لوجهات النظر في منهج سيبويه .

وجهات النظر في منهج الكتاب⁴



الشكل 22: وجهات النظر في منهج الكتاب

الكويت، ط1، 2007م، ص

⁴- ينظر: المرجع نفسه، ص

إلا أن المتفحص لكتاب سيبويه يجد أنه مزج بين الطابع التعليمي؛ حيث جاءت بعض نصوصه لبيان الضوابط التي تميز الصواب من الخطأ في التراكيب وبنية المفردات كما نجد فيه الطابع النظري، والذي يحاول أن يعرض فيه لما يسمى بفلسفة النحو.

أولاً: أصول النظر النحوي عند سيبويه:

ولقد اعتمد منهج سيبويه على عدة أصول أهمها :

1-فكرة الباب: تعد فكرة التبويب أحكم خطوة في تطور التأليف النحوي فهو « أهم خطوة في انتقال النحو من تعيين علامة الرفع أو النصب أو الجر في القراءة إلى مرحلة دراسة أبواب نحوية ذات موضوعات متغايرة أو متشابهة في تفصيلاتها، وهي الخطوة الأساسية الثانية بعد نقط القرآن الكريم ونقط الإعراب».¹

فالتبويب يعني التفكير في الأبواب التي شملتها المقولات التالية:

أ-مقولة (ضمنت شفتي): والتي اصطلح عليها بالمرفوعات وتضم أبواب (الفاعل، نائب الفاعل، مبتدأ، الخبر، اسم كان، وخبر إن).

ب-مقولة (فتحت شفتي): وهي التي اصطلح عليها بالمنصوبات وتضم أبواب المفعولات (المفعول به، المفعول المطلق، المفعول فيه، المفعول له، والمفعول معه، والحال، التمييز، وغيرها من المنصوبات).

¹ - كريم حسين ناصح الخالدي، الفكر النحوي العربي بين فهم النص القرآني و تأثير سلطة العقل، ص53.

ج- مقولة (كسرت شفتي): دراسة بابي المضاف إليه والمجرور بحرف الإضافة (الجر).

د- الغنة: أدت إلى التفكير بموضوعي النكرة والمعرفة؛ لأنّ المراد بالغنة التثنية، والتثنية علامة التثنية ونقيضه.¹

فهذا الأصل موجود قبل "سيبويه" إلا أن « منهج سيبويه في إيراد المسائل تحت الأبواب يعتمد أسلوب التغليب؛ إذ يحشد في الباب ما يتصل به من قضايا وشواهد وأمثلة وضرائر وتظل بعض مسائل هذا الباب منتشرة في أبواب أخرى يصلها بها روابط أخرى ومعنى ذلك أن لكل باب من أبواب الكتاب جاذبيه تستقطب المواد، إنها جاذبيه تداعي المعاني»²، فهو إن فكر في صناعة الأبواب لمسائل النحو؛ إلا أنه لم يستطع ضم مسائل كل باب بعضها ببعض ليكون منها سلاسل متصلة الحلقات متتابعة الاختصاص³، فمنهج "سيبويه" في التثنية يخالف المنهج الذي نتبعه ويتبعه المؤلفون المؤخرون من عدة جوانب أهمها:

* ترتيب أبواب الكتاب يخالف ما عهدناه من الترتيب فيما نتداوله من الكتب التي بين أيدينا، فلا يأتي بالمرفوعات كلها على حدة ثم المنصوبات والمجرورات مثلاً بل بعضها ممزوج ببعض.

* لا يسير في ترتيب أبوابه وفصوله على الطريقة المنطقية الدقيقة، فهو يقدم أبواباً من حقها التأخر، ويؤخر أبواباً من حقها التقدم، ويضع فصولاً في غير موضعها الطبيعي

¹- ينظر: المرجع السابق، ص 54.

²- فريدة بن فضة، أصول النظر النحوي في كتاب سيبويه، جامعة تيزي وزو مجلة اللغة العربية، العدد الثالث والعشرون، الجزائر 2009م، ص 46، 47.

³- ينظر: عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي، ص 126.

فهو يتحدث عن المسند إليه والمسند وكان من اللائق أن يستوفي أبواب المسند وأبواب المسند إليه من مبتدأ أو فاعل وغيرهما.¹

* يذكر "سيبويه" الباب العام ثم يعقد لكل مسألة من مسائله تقريبا بابا خاصا يعالجها فهو يعنون مثلا للتصغير ويذكر صيغه المختلفة، ثم يعقد أبواب المسائل الجزئية فيه فتجد بابا للتصغير كان على ثلاثة أحرف ولحقته زيادة التأنيث وأبواب أخرى لفروع التصغير المختلفة.

* يذكر مسائل في أبواب نضعها نحن تحت عناوانات أخرى، فمثلا هو يعدّ في أبواب الفاعل بابا الفاعل الذي لم يتعده فعله إلى مفعول، وبابا آخر للفاعل الذي يتعده فعله إلى مفعول، وبابا ثالثا للفاعل الذي يتعده فعله إلى مفعولين، بينما نحن الآن نضع ذلك تحت عنوان الفعل المتعدي واللازم.²

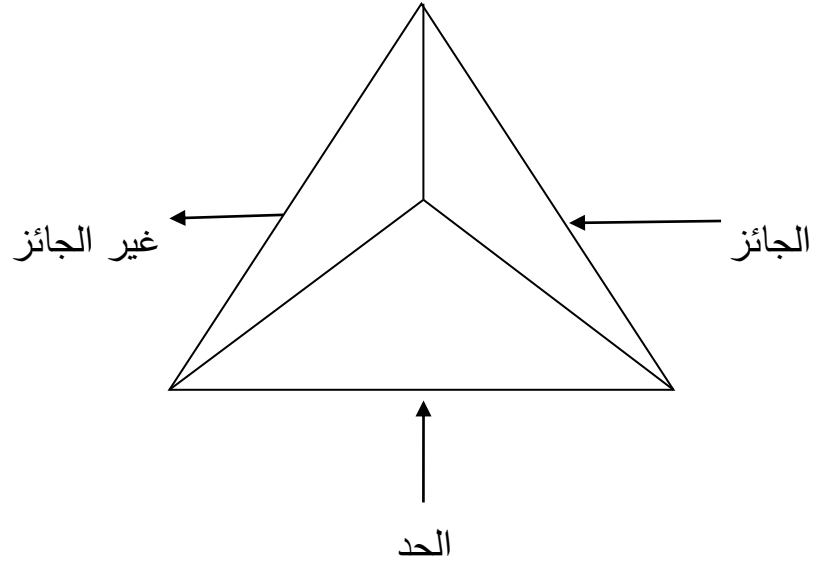
* لا يذكر دائما مسائل الباب الواحد سلسلة متصلة متتابعة، بل يذكر بعضها في موضع وبعضها الآخر في موضع ثان بعد أن يفصل بينهما في كثير من الأحيان بأبواب أخرى، وتذكر هذه المسائل لمناسبات تستدعيها.³

* يذكر القاعدة وأمثلتها ويمزج ذلك بالتعديلات المنطقية، وبيان وجه القياس فيما يذكره من القواعد، وعرض الآراء المختلفة في الموضوع الواحد ويمكن أن نمثل القاعدة عند سيبويه بالمخطط الآتي:

1- ينظر: أحمد أحمد بدوي، سيبويه حياته و كتابه، مؤسسة هنداوي، مصر، القاهرة، (دط)، 2019م، ص 28.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 29.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص 29.



الشكل 23: القاعدة عند سيبويه

* يفرض فروضا يضع لها أحكاما.

* لم تكن الأبواب قد تميز بعضها عن بعض التمييز الكافي ويدلنا على ذلك باب التمييز، وباب التعجب، فلم تحدد معالمها التحديد الواضح في كتاب سيبويه.

* نجده يضع عناوين طويلة للأبواب وغالبا ما تكون هذه العناوين غير مفهومة لنا فترى نفسك مضطرا إلى العودة إلى صلب الكتاب لتفهم المقصود منها مثال ذلك: أنه يضع عنوانا للمفعول لأجله بقوله: "هذا باب ما ينتصب من المصادر لأنه عذر"، وهذا يدل على أن الاصطلاحات النحوية لم تكن قد استقرت بعد فقد كان يدعو أسماء الإشارة بالأسماء المبهمة، كما كان يدعو التسكين جزما.¹

كما أن أهم ما يميز عنوانات كتاب سيبويه ما يلي:

¹- ينظر: المرجع السابق، ص 30.

* إنه يضع عنواناته للمسائل النحوية من حيث علاقتها بالعامل و يذكر العلاقات اللفظية بين التراكيب من خلال العنوان، ثم ينفذ إلى المسألة النحوية من خلال الأمثلة والشواهد.¹

أما عن مقدمة الكتاب فهي مخالفة لما عهدناه في المقدمات النحوية عند المتأخرين؛ فمقدمته في الأصول الفكرية التي عالج خلالها قضايا اللغة والنحو، أما المتأخرون فمقدماتهم لغوية، وليس فيها ما يشير إلى أصول النحو التي ينفذ من خلالها إلى فهم قضاياها.²

2- نظام الأصل الفرع: ومن أمثله ما جاء في الكتاب:

* ما يتعلق بقواعد تخصص مبحث علم الكلم، فيما يتصل بالتعريف والتتكير قوله: «النكرة أحق عليهم من المعرفة، وهي أشد تمكنا لأن النكرة أولا... لأن أشياء إنما تكون نكرة ثم تعرف».³

وهذه القاعدة تثبت أصالة و أولية النكرة وفرعية المعرفة.⁴

- قواعد ترتيب العامل والمعمول، فالأصل في الجملة الاسمية أن يتقدم الاسم فيها إذا عمل، والمبتدأ يعمل فيها بعده كعمل الفعل فيما يكون بعده ومنه أن تأخير الخبر على

1- فؤاد رمضان محمد أبو حمادة، منهج التفكير النحوي عند سيبيويه من خلال القسم الأول من الكتاب- دراسة في أصول النحو العربي-، أطروحة دكتوراه، إشراف: الدكتور إبراهيم آدم إسحق، جامعة النيلين، كلية الدراسات العليا، جمهورية السودان، (دط)، (دت)، ص372.

²-ينظر: المرجع نفسه، ص 376.

³-سيبيويه الكتاب، ج 1 / 241، 242.

⁴-ينظر: فريدة بن فضة أصول النحو العربي في كتاب سيبيويه، ص52.

المبتدأ قوي لأنه عامل فيه.¹

3 - اللغة المنطوقة: حيث شكلت اللغة المنطوقة في الكتاب حيزا كبيرا؛ والدليل على ذلك العبارات التي استخدمها سيبويه للإشارة إلى أن الظاهرة اللغوية التي يدرسها تتصل باللغة المنطوقة، ومن بين تلك العبارات نجده يقول: « (تحدث أن تحدثه)، وهذا رغبة في الوصول إلى قاعدة سليمة وصحيحة، إضافة إلى هذا فقد كان لسيبويه إشارات إلى اللهجات، وتباينها في الاستعمال اللغوي، وكان حريصا على توجيه كل استعمال، وإبداء الرأي فيه، وكانت اللهجتان التميمية والحجازية أكثر حظوة²».

هذه بعض الأصول التي اعتمد عليها سيبويه والتي تكشف عن ارتباط بعضها بالمذاهب الفقهية كنظام الأصل والفرع وفكرة الباب.

ثانيا: مميزات منهج سيبويه:

لقد اتجه "الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي" إلى النصوص القرآنية الواردة في كتاب سيبويه لدراسة منهجه وقد توصل من خلال دراسته إلى جملة من القضايا تكشف عن مميزات هذا المنهج أهمها:

1- إن سيبويه في أكثر الآيات كان سائلا مستفسرا يتوجه في كل آية إلى عالم اللسان العربي الخليل بن أحمد الفراهيدي يسأله عما ورد فيها من إشكال.

2- إن الدرس اللساني عند الخليل بن أحمد الفراهيدي كان مبنيا أساسا على النص القرآني و الدليل على ذلك أن أسئلة سيبويه تكثر في القضايا القرآنية، و لاشك في أن الدرس النحوي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي يمثل مرحلة النضج في الفكر النحوي لأن

¹-ينظر: سيبويه، الكتاب ، ج1/ 120 ، 126.

²-ينظر: فريدة بن فضة، المرجع السابق، ص 54.

إجاباته تدل على اكتمال أدوات البحث اللساني عنده، فلقد صارت إجاباته أساساً للدراسات النحوية من غير رفض، أو ردِّ يناقضها أو يبطلها.¹

3- إن تلك الأسئلة والأجوبة تدل على أن الخليل كان في مجلسه يُدرس نحو القرآن الكريم فالدرس كان نحواً قرآنياً يسير على منهج تحليل النص القرآني تفسيراً وإعراباً وتبيين العلاقات بين مكونات النص.²

4- كان النص القرآني هو ميدان التحليل النصي عند الخليل، فقد كان يدرس بنية النص القرآني، ولم تكن الآية القرآنية كما تصور كثير من الباحثين شاهداً نحوياً كغيرها من الشواهد الشعرية أو الأمثال أو كلام العرب المروي عنهم، فليست الآيات القرآنية شواهد نحوية بل كانت نصوصاً تدرس وتستنبط منها القاعدة النحوية، فالنص القرآني يدرس ويُحلل، وتفكك مكوناته، وتستنبط من حالاتها القاعدة النحوية، وهذا الفهم لنشأة النحو يختلف عن فهم عدد من الباحثين لطبيعة نشأة النحو³، فلقد جاء "كريم حسين الخالدي" برأي جديد هو الباعث على ظهور العلوم الإسلامية والعلوم اللغوية، فالصحيح حسب نظره أن: «القاعدة النحوية قد صاغها النحويون من فهم النص القرآني بعد تحليله، ولتعزيز تلك القاعدة والتدليل عليها يؤتى لها بالشواهد الشعرية، والشواهد من كلام العرب وأمثالهم وحكمهم وما روي من أقوالهم».⁴

5- إن ما ورد في كتاب سيبويه من عرض الأبواب النحوية التي تبين المنهج البنيوي المكمل للمنهج التحليلي هو مرحلة تتبع مرحلة تحليل النص القرآني، وفهم معاني

¹-ينظر: كريم حسين ناصح الخالدي، الفكر النحوي العربي بين فهم النص القرآني و تأثير سلطة العقل، ص 209.

²-ينظر: المرجع نفسه، ص 210.

³-ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

⁴-المرجع نفسه، ص 211.

مكوناته وبيان علاقات بين تلك المكونات، والدليل على ذلك أن أسئلة سيبويه لم تأت بطريقة حجاجية أو نقاشية؛ بل كانت بطريقة استفهامية حقيقية تدل على جهل بما يسأل عنه، لذا كانت الأجوبة تفتح المجال للالتساع في الشرح والتبيين، ووضع الأسس للمنهج النبوي الذي يغدو واضح المعالم في ضوء المنهج التحليلي المتبع في فهم النص، ورجح "الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي" أن يكون الخليل هو الذي أنضج المنهج التحليلي، كما أنه هدى إلى موازاته بمنهج بنيوي، بما ورد من آراء بنيوية اقتضتها حاجة المنشئين لبناء النصوص البليغة بقواعد سليمة تنحو نحو العرب في طرائق بناء النصوص.¹

6- لقد كان سيبويه ذا فطنة ورأي ونقد، أحسن تبويب الأفكار وأعاد صياغتها لكي يفهم أساتذته حقهم، وكان ينقل عنهم بأمانة وصدق، ويبيدي رأيه فيما يراه صحيحاً، ويناقش ويصحح ويزيد على من سبقوه بما يستحق الزيادة، غير أن الآراء الجوهرية والأفكار المهمة التي كونت أعمدة الفكر النحوي هي من ابتكار الخليل بن أحمد الفراهيدي، فهو مهندس الفكر النحوي وباني صرحه.²

ثالثاً: أثر المذاهب الفكرية في بناء منهج سيبويه:

إن جل الدراسات التي اطلعت عليها تؤكد أن منهج سيبويه مبني على الفطرة، وليس متأثراً بالمذاهب الفكرية الكلامية منها والفقهية؛ إلا دراسة "إدريس مقبول" في كتابه "سيبويه معتزلاً حفريات في ميتافيزيقا النحو العربي" - إذ يعتقد "إدريس مقبول": أن الصناعة الفقهية في زمن سيبويه لم تكن قد بلغت أشدها كما هو متصور عند الكثيرين وما يذهب إليه بعض الباحثين من تأثر سيبويه بالفكر الأصولي لا يقوى قوة تأثيره بالنظر الكلامي في صورته المعتزلية؛ حيث اعتبر أن المعتزلة الذين تأثر بهم سيبويه كما كانوا

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 211.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 212.

رؤوسا في الكلام كانوا رؤوسا في الأصول، وأنهم على الأرجح أسبق من الشافعي في رسالته، واستشهد بقول "أبي هلال العسكري" عند حديثه عن "واصل بن عطاء" في كتاب "الأوائل" كما ذكر رأي "محمد عابد الجابري" الذي يعتقد بتأثر "الشافعي" نفسه بمنهج "سيبويه" لا العكس¹، حيث يقول: «وكان الشافعي معاصرا كذلك لتلميذ الخليل، سيبويه صاحب الكتاب الذي جمع قواعد اللغة العربية وأرسى أصولها في نسق محكم مازال بصلابته إلى اليوم.... وسواء استوحى الشافعي مشروعه من عمل الخليل، أو من عمل سيبويه فإن الشيء الذي لا يمكن تجاهله، ولا إغفاله هو تأثير منهج اللغويين والنحاة في الرسالة شكلا ومضمونا، وإذا عرفنا أن الشافعي لم يسم رسالته تلك بهذا الاسم؛ بل كان يدعوها الكتاب أدركنا أية علاقة كانت بين مشروع الشافعي ومشروع سيبويه صاحب الكتاب»².

ونذكر من مظاهر تأثر "سيبويه" بالثقافة الفقهية خصوصا في كتابه ما نجده من أمثلة يضربها تؤكد اطلاعه على الفقه ومباحثه، من ذلك قوله «هذا الباب ما ينتصب من الأسماء التي ليست بصفة ولا مصادر لأنه حال يقع فيه الأمر فينتصب لأنه مفعول به: وأما بايعته يدا بيد فليس فيه إلا النصب لأنه لا يحسن أن تقول بايعته ويد بيد و لم يرد أن يخبر أنه بايعه و يده في يده، و لكنه أراد أن يقول: بايعته بالتعجيل و لا يبالي أقربا كان أم بعيدا»³.

ومن مظاهر تأثر النحاة بالفقهاء إطلاقهم على أقاويلهم و آرائهم "لفظ الفتاوى"، وهذا ما جاء عند "ابن جني" إذ يقول: «وكان أبو علي رحمه الله يقول في هيهات أنا أفتي مرة

¹ - ينظر: إدريس مقبول، سيبويه معتزليا حريات في ميتافيزيقا النحو العربي، ص 33.

² - محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، سلسلة نقد العقل العربي، المركز الثقافي العربي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط8، 2000 م، ص 98.

³ - سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 110.

بكونها اسما سمي به الفعل: كصه ومه، وأفتي مرة أخرى بكونها ظرفا على قدر ما يحضرني من الحال، وقال مرة أخرى إنها وإن كانت ظرفا فغير ممتنع أن تكون مع ذلك اسما سمي به الفعل كعندك ودونك¹.

رابعاً: اضطراب منهج سيبويه

ذهب أكثر العلماء القدامى والمحدثين إلى أن منهج سيبويه في كتابة مضطرب، وليس للكتاب مقدمة ولا خاتمة فلقد بين "الدكتور عبد الصبور شاهين" في دراسته على المنهج اللغوي في كتاب سيبويه مضطرب، وأن هذا الاضطراب يعود إلى أشياء كثيرة متداخلة، حيث يقول: إن المنهج عند سيبويه لا يحكمه اعتبار واحد أو اعتباران، وإنما يخضع لجملة اعتبارات تتداخل في هيئة دائرة متحدة المركز، ولكن تختلف أقطارها ويمكن تلخيص هذه الدوائر على النحو التالي:

- دائرة العامل النحوي ومعمولاته.
- دائرة الإعراب والبناء.
- دائرة وحدة الوجه الإعرابي أو تعدده.
- دائرة وحدة الإثبات وغيره.
- دائرة وحدة كون العامل فعلاً أو غير فعل.
- دائرة وحدة كون العامل مذكوراً أو محذوفاً.
- دائرة وحدة كون العنصر اسماً أو فعلاً.
- دائرة كون الاسم ظاهراً أو مضمراً.
- دائرة كون الاسم متمكناً أو غير متمكن.

¹-أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، 1/ 206.

وكل هذه الدوائر مركزها واحد هو موضوع الدراسة أعني (النحو) ولاشك أن منهجا تراعى في صياغته هذه الاعتبارات هو منهج معقد.¹

إلا أنه في اعتقادنا يمكن اختصار هذه الاعتبارات في ثلاثة هي:

1. اعتبار العامل النحوي و معمولاته.

2. اعتبار الإعراب و البناء.

3. اعتبار الاسم و الفعل.

ورغم ذلك يبقى منهجه معقدًا ومضطربا باتفاق العلماء ولقد ظهر هذا الاضطراب في ثلاث نقاط هي:

1. غموض أسلوبه.

2. تفريق المسألة في أكثر من باب.

3. اضطراب مصطلحاته.

فمحصلة آراء العلماء أن اضطراب الكتاب وغموضه أكثر ما يظهر في هذه الصور

الثلاث.²

ففي غموض أسلوبه يقول الأستاذ "علي النجدي": «تتفاوت عبارة الكتاب وضوحا وغموضا، فربما وضحت حتى تصير كفلق الصبح سفورا أو إشراقا تستبق إلى الفهم ألفاظه ومعانيه، وربما غمضت واستغلت حتى تكون كالأحاجي والطلسمات يحار فيها

1- ينظر: عبد الصبور شاهين، المنهج اللغوي في كتاب سيبويه، مجلة آداب، جامعة الكويت، العدد 3 و 4، 1973م، ص 72.

2- وضح عبد الكريم جمعة الميعان، التأليف النحوي بين التعليم والتفسير، ص 189.

الفهم ويزيد عنها القارئ عجزا وكلالا، وبين هذين الحدين مراتب من الوضوح و الغموض لا تكاد تحصى»¹.

ووصل به الأمر إلى أن يقول إن سبب هذا الاضطراب ربما يعود إلى اختلاط أوراق الكتاب يقول: إن ثمة أبوابا تبدو في مواضعها غريبة مفحمة لم أستطع أن أجد تأويلا لمقامها، حيث تقيم فقد تكلم مثلا القسم وحروفه بين التصغير ونوني التأكيد أي في الصرف مع أنها بالنحو أشبه ومن يدري لعل مرجع الأمر في ذلك إلى اختلاط في أوراق الكتاب من بعد صاحبه نتج عنه انتقال بعضها إلى غير المكان الذي كانت فيه.²

وهناك من أرجع هذا الاضطراب إلى أصل سيبويه غير العربي من ناحية وكون اللغة العربية لم تكن لغة العلم في ذلك الوقت من ناحية أخرى؛ إذ يقول عبد الرحمان أيوب: إن سيبويه في كتابه كان يواجه صعوبتين أساسيتين.

أولهما: أن اللغة العربية لم تكن قد بلغت بعد المرحلة التي يمكن أن تعتبر فيها لغة علم

ثانيتهما: أنه كان أجنبيا اكتسب العربية بالتعلم ومن ثم فقد كان يأتي في أسلوبه العام وتعبيراته الخاصة أحيانا بما يأتي به الأجنبي من لف و دوران أو لجوء إلى تركيب أسلوبى ليس مألوفاً للقارئ.³

وكان نتيجة هذا الاضطراب مصطلحاته و غموضها إذ يقول أحمد بدوي: « إن الاصطلاحات النحوية لم تكن قد استقرت بعد ومن أجل ذلك نجده يضع عناوين طويلة

¹ - ينظر: علي النجدي، سيبويه إمام النحاة، ص 160.

² - ينظر المرجع نفسه، ص 184.

³ - عبد الرحمان أيوب ، صعوبات أسلوبية في كتاب سيبويه مجلة دراسة عربية ع/2 كلية بايرو الجامعية كانو. نيجيريا 1976م، ص 127.

الأبواب و غالبا ما تكون هذه العناوين غير مفهومة لنا فترى نفسك مضطرا إلى العودة إلى صلب الكتاب لتفهم المقصود منها، وقلما تجد عنوانا مفهوما لك في هذا الكتاب».¹

خامسا: مصادر نصوص كتاب سيبويه:

لقد نقل سيبويه في كتابه قدرا هائلا من أساليب اللغة و استفاد منها كما يظهر في هذه النقول كلها صادقة في النقل، و أمانته في الأداء تترد في كتابه كثيرا أمثال هذه العبارات: "حدثني من أثق به من العرب"، وسمعنا ناسا كثيرا من العرب"، و "سمعنا فصحاء العرب" ، فمصادره كلها شفهية حتى شواهد الشعرية كان ينص على سماعها إما من أصحابها، و إما من العلماء الذين سمعها منهم و أخذها سيبويه.²

وبحسب إحصاء الأستاذ علي النجدي ناصف فإن مصادر نصوص سيبويه موزعة

كما يلي:³

عن الخليل	عن يونس بن حبيب	أبي الخطاب الأخفش الأكبر	أبي عمر بن العلاء	عيسى بن عمر	أبي زائد
522 مرة	200 مرة	47 مرة	44 مرة	22 مرة	9 مرات
عن هارون بن موسى	عن أبي إسحاق	الكوفيين	أما عن شواهد		
			القرآن	الحديث	شاهد شعري
05	04	04	400 شاهد	12 حديث	1050

¹ - أحمد بدوي، سيبويه حياته وكتابه، ص 30.

² - ينظر: وضحة عبد الكريم جمعة، التأليف النحوي بين التعليم والتفسير، ص 201، 202.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 201.

يتبين من خلال الإحصائيات السابقة أن سيبويه اعتمد في نقله عن الخليل و عن يونس بن حبيب، و أبو عمرو بن العلاء، و عيسى بن عمر و أكثر الشواهد من القرآن الكريم و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن عمل سيبويه لم يأت من عدم بل سبقه إليه علماء أفذاذ، حيث نجد أن أول من ألف في الهمزة المقرئ الشهير عبد الله بن أبي إسحاق؛ فكان يقال لا عبد الله أعلم أهل البصرة و أعقلهم ففرع النحو و تكلم في الهمزة حتى عمل فيه كتابا مما أملاه وكان رئيس الناس وواحد¹، وقد ظهر النحو بالمعنى الفني على يديه وهو أول من اتجه إلى التعليل، و نشط القياس، وأعمل فكرة فيه، وخرج مسائل كثيرة عليه.²

فنحن لا نخطئ إذ قولنا: إن التاريخ والنحو واللغة مرتبط بالقرئات و إن قرئات القراء كانت هي بدايات التأليف النحوي في مرحلته المتقدمة؛ إذ نشأت منذ القرن الأول الهجري حركة نحوية ولغوية متمثلة في نشاط القراءة في ميداني القرئات، و التفسير وحركة أخرى تتصل برواية الحديث و نقله، وثالثهما³ حركة فقهية فكرية قادتهم بقيادتها جماعة من الصحابة .

سادسا: التعليل عند سيبويه بين الأثر و التأثير:

وكان سيبويه يستمد تعليلاته للمسائل التي يعرضها الآراء التي يراها من كل ما يمكن أن تستمد منه التعليلات إلا من الحقائق الفلسفية و قضايا العلوم فهذه و تلك مما

¹ - ينظر: السيوطي، المزهر، ج2/ 398

² - محمد الطنطاوي، نشأة النحو، دار المعارف، ط2، (دت)، ص 72.

³ - ينظر: وضحة عبد الكريم جمعة الميعان، المرجع السابق، ص 67.

لم يكن بلغ أشده بعد فيكون له في النحو أثر و في تفكير النحويين عمل على النحو كان له بعد تلك في شتى الأجيال و العصور.¹

فقد كان يلتمس علة من حكم العدل و مراعاة الأصل و دفع اللبس و مراد المتكلم و حال المخاطب و كبيعة الشيء و عليه الكثرة و مقتضى المشابهة و الخلاف²، إذا أردنا التفرقة بين سيبويه و الخليل في قضية التعليل فإننا نجد من الصعوبة الفصل من خلال الكتاب سيبويه بين علل الخليل و علل سيبويه فالتشابه بينهما كبير جدا ولكن يميز سيبويه على غيره أنه أعطى ما أخذه عن شيوخه بعدا في التوسع و المحاكمة الذهنية فنراه يكثر من التعليقات في كتابه منطلقا من تأصيله القوي³، الذي يعبر عنه بقوله: « ليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحولون به وجها »⁴، ومن أهم سمات التعليل في مرحلة الخليل و تلميذه سيبويه ما يلي:

-الاستمداد من روح اللغة بعيدا عن الفلسفة العقلية.

-العناية و الاهتمام بتقرير حكم نحوي و تثبيته و بيان سره، ومدى موافقته لطبيعة اللغة العربية؛ أي بيان الغاية من التعليل و هي فهم كلام العرب.

-الشمول و التوسع في بيان العلة لأنها تتناول كل جزئيات البحث النحوي.

-البعد عن الفرض و التخمين.⁵

¹ - علي النجدي ناصف، سيبويه إمام النحاة، عالم الكتب، القاهرة، (دط)، (دت)، ص 168، 169.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 169.

³ - ينظر: سناء علي حسين، مظاهر التعليل في كتاب سيبويه، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، المجلد الخامس العدد الثامن عشر، السنة الخامسة، تشرين الثاني، 2018 م، ص 101.

⁴ - سيبويه، الكتاب، 1/ 32.

⁵ - ينظر: سناء علي حسين، المرجع نفسه، ص 101.

فالتعليل عند سيبويه بعيد عن التأثير بالمذاهب الفكرية سواء الكلامية أو الفقهية فهو تعليل مبني على روح اللغة و الفطرة.

ينهج سيبويه في دراسة النحو منهج الفطرة و الطبع، يدرس أساليب الكلام في الأمثلة و النصوص، و يكشف عن الرأي فيها صحة و خطأ أو حسناً و قبحاً أو كثرة و قلة، لا يكاد يعرف معرفاً، أو يلتزم مصطلحاً، أو يفرع فروعاً، أو يشترط شروطاً على نحو ما نرى في الكتب التي انتشرت في عهد ازدهار الفلسفة و استبحار العلوم و فرق ما بينه وبين الكتب التي جاءت بعده كفرق ما بين كتاب في الفتوى و كتاب في القانون ذات يجمع جزئيات يدرسها و يصنفها ويصدر أحكاماً فيها و الآخر يجمع كليات يصنفها و يتقنها لتطبع على الجزئيات.¹

المبحث الرابع: أثر المذهب الظاهري في تجديد المنهج النحوي:

إن من بين الظاهر تفاعل المذاهب الفقهية والمذاهب النحوية، وتأثر بعضها ببعض انتقال أصول المذهب الظاهري من الفقه إلى النحو، وكان ذلك على يد أبي العباس أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن مضاء اللخمي القرطبي (592هـ) في كتابه "الرد على النحاة"، حيث كان رده موجّهاً إلى النحويين كافة دون تحديد مذاهب نحوية معينة بصرية أو كوفية، وبالتالي فإنه نادى بهدم الأصول المشتركة بين النحاة؛ تلك الأصول التي أدت إلى فلسفة النحو ونفور المتعلمين منه، وبالتالي يمكن القول أنه نادى لتجديد المنهج النحوي وتيسيره وفقه تصوره الظاهري فما ملامح هذا التصور؟ وما أساسه؟

¹- ينظر: علي النجدي ناصف، سيبويه إمام النحاة، 163، 164.

أولاً: ملامح التصور الظاهري عند ابن مضاء القرطبي:

1- منهج ابن مضاء القرطبي: وإنَّ المَطَّلَع على كتاب "الرد على النحاة" يلاحظ أن ابن مضاء القرطبي قد سار في طريق الحرية الفكرية التي تعرف وتقوم ثم تحكم لقد اختار.¹

المتمردين على التبعية المطلقة التي تعد مأساة العلم والفن أيضاً، ولعل أبرز ما يدل على حرية عقله ورغبته الفائقة في الفهم والاقتناع والإقناع، طريقته في مناقشة ما نافش من أصول، ومسائل تطبيق تلك الأصول مما يصح أن يطلق عليها (الحس العلمي)².

ويمكن تحديد تصوّر بالحسّ العلمي في النقاط التالية:

أ- الاتجاه إلى الحقيقة عامة: وفي النحو خاصة- فابن مضاء من هذه الناحية لا يثقل نفسه وفكره بتقليد آراء غيره إنه يتجه إلى الجهد العلمي.

ب - كيفية عرضها: حيث إنه إذا اتجه إلى فكرة من أفكار النحو كالعامل مثلاً يذكر رأى النحاة فيها، ويورد احتمالاتها، ويذكر رأيه خلال ذلك لا يلتزم فيه مكاناً معيناً، وفي الأحيان يذكر حكم الدين وواضح أن خصائص هذا الاتجاه هي:

* الحياد العلمي في عرض آراء غيره.

* حرية عقله في إبداء رأيه.

¹ - ينظر: محمد عيد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب،

القاهرة، ط 4، 1989م، ص 46.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 46، 47.

*تأثير مذهبه الظاهري فيما يتعرض له من أحكام الدين¹.

ج- الموقف من رأي الغير: فهو أخيراً يدعو لرأيه بالحسنى، فليس هناك التزام للأخذ به، بل دعوة إلى إبداء الرأي المخالف إن وجد، إن رأيه ظاهر للعيان معروض للاقتناع أو عدم الاقتناع².

حيث يقول: «وعلى الناظر في هذا الكتاب من أهل هذا الشأن إن كان من يحتاط لدينه، ويجعل العلم مُزَلَّفاً له من ربه أن ينظر، فإن تبيّن له ما نبّيه رجع إليه وشكر الله عليه، وإن لم يتبين له فليتوقف توقف الورع عند الإشكال، وإن ظهر له خلافه فليبين ما ظهر له بقول أو كتابة»³.

فالمنهج المتبع من طرف ابن مضاء القرطبي جاء نتيجة تأثره بالمذهب الظاهري، فهو يبتعد عن كل تعليل أو تأويل للنصوص التي يعتمد عليها، إذ ينكر الرأي ما لم يسند على دليل على نحو ما ينكره الظاهرية في الفقه، ثم هو يتشدد في التمسك بحرفية النص دون تأويل فيه⁴، ويستشهد في ذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « من قال في كتاب الله برأيه فأصاب، فقد أخطأ»، وقوله: « من قال في كتاب الله بغير علم فليتبوأ مقعده من النار».

ونذكر أن التركيز على دقائق علل النحو يؤدي بصاحبه إلى عدم إحصاء الحقيقة الواجب أخذها من علم النحو، إذ يقول: « وكذلك من أخذ من علم النحو ما يوصله إلى

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 47.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 48.

³ - ابن مضاء القرطبي، كتاب الرد على النحاة نشره وحققه، شوقي ضيف، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1997م، ص 80.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ص 23.

الغاية المطلوبة، واستعاض من تلك الظنون التي ليست كظنون الفقه التي نصبها الشارع صلى الله عليه وسلم أمانة للأحكام ولا كظنون الطب التي جربت، وهي في الغالب نافعة في الأمراض والآلام... فقد نفعه الله بالتعليم وهداه إلى صراط مستقيم، أما من اقتصر كل الاقتصار على المعارف التي لا تدعو إلى جنة ولا تزجر عن نار كاللغات والأشعار ودقائق علل النحو ومسليات الأخبار فقد أساء الاختيار، واستحب العمى على الأبصار»¹. من خلال هذا القول يتبين أن "ابن مضاء" عقد مقارنة بين ظنون النحو وظنون الفقه، والطب، فاعتبر الأولى غير نافعة، بينما الثانية والثالثة في الغالب نافعة؛ فالغاية المطلوبة من كل علم هي المنفعة الدنيوية أو الدعوة إلى الجنة، والزجر عن النار، فطرحة جديد يشبه تماما « منهج اللسانيات البنيوية وأقصد بذلك وجهة نظر دي سوسير في منهجه اللغوي، إذ تعتمد الدراسة اللسانية عنده على وصف النظام اللغوي كما هو في الواقع دون تحليل للظواهر اللغوية»².

إلا أن هناك من العلماء من ذهب إلى أن "ابن مضاء القرطبي" لم يخرج على المذهب الذي كان سائدا في المغرب والأندلس، إذ يشير "الدكتور بكري عبد الكريم" إلى أن « ابن مضاء لم يكن ظاهريا ولم يخرج عن المذهب الذي كان سائدا في المغرب الأندلس واستدل على ذلك بأن ابن فرحون ترجم له في الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، وعده في طبقات العلماء المالكيين»³، إلا أن المتمعن في كتاب "الرد على النحاة" يلاحظ إن "ابن مضاء القرطبي" متأثر بالمذهب الظاهري ومطلع على

¹-ينظر: المصدر السابق، ص 82، 83.

²-جمال عصام، المذهب الظاهري وأثره في التصور النحوي لأبي حيان الأندلسي، مجلة الشهاب، مجلد4، عدد1، مارس 2018 م، ص 60.

³-بكري عبد الكريم، أصول النحو العربي في ضوء مذهب ابن مضاء القرطبي، دار الكتاب الحديث، ط1، 1999 م، ص 38.

أصوله التي استوحى منها ما يناسب القاعدة النحوية؛ إذ نجد تواجد مصطلح الظاهر في كتابه في أكثر من موضع، حيث ترتبط هذه المواضع بأصول المذهب الظاهري، مثال ذلك قوله: « فظاهر هذا أن العامل الإعراب، وذلك بين الفساد»¹، إذ يرفض نظرية العامل لكونها لا تتوافق مع ظواهر النصوص وينجم عنها التأويل والتقدير.

وقوله « والأظهر أن لا يقاس شيء من هذه على المجموع إلا أن يسمع في هذه كما يسمع في تلك»².

ويعود الدكتور " بكري عبد الكريم" في موضع آخر ويقول: « إن القراءة الفاحصة لكتاب الرد على النحاة تكشف على أن ابن مضاء لم يكن مخلصا للإخلاص كله للمذهب الظاهري، لذلك فإنه وإن ثار على بعض أصول النحو العربي كما ثار الظاهريون على أصول الفقه، لم يدع إلى إلغاء القياس والعلل مثلا»³، نقول إن ابن مضاء متأثر بالمذهب الظاهري وليس شرط التأثير الإخلاص كله. بل الأخذ بما يناسب النصوص محل الدراسة، أما عن إلغاء القياس والعلل، فلقد نادى بإلغاء العلل الثواني والثالث التي تؤدي إلى التأويل والتعقيد، أما عن القياس فلقد واجه القياس العقلي والذي يتنافى مع نطق العرب واستعمالاتهم.

ولقد تحدث عن هذا التأثير وبينه محقق كتاب "الرد على النحاة" شوقي ضيف" إذ يقول: « فالعصر الذي ألف فيه كتاب (الرد على النحاة) كان عصر ثورة على المشرق أوضاعه في الفقه وفروعه، وقد كانت دولة الموحدين، منذ أول الأمر تدعو إلى هذه الثورة حتى إذا كان يعقوب، رأيناه يأمر بحرق كتب المذاهب الأربعة يريد أن يرد فقه المشرق

¹ -ابن مضاء القرطبي، كتاب الرد على النحاة، ص 86.

² - المصدر نفسه، ص 16.

³ - بكري عبد الكريم، أصول النحو العربي -في ضوء مذهب ابن مضاء القرطبي-، ص 39.

على المشرق. وقد تبعه "ابن مضاء القرطبي" قاضي القضاة في دولته فألف كتاب "الرد على النحاة" يريد أن يرد به نحو المشرق على المشرق أو بعبارة أدق يريد أن يرد بعض أصول هذا النحو وأن يخلصه من كثرة الفروع فيه وكثرة التأويل¹. ويؤكد على هذه الفكرة في موضع آخر؛ إذ يقول: «إن من يرجع إلى نصوص كتاب الرد على النحاة يلاحظ ملاحظة واضحة أن صاحبه ثائر على المشرق، وهي ثورة تعتبر امتدادا لثورة سيده عليه، وأيضًا فإنه يلاحظ نزعة ظاهرية في ثنايا الكتاب مما يؤكد صلة صاحبه بثورة الموحدين على كتب المذاهب أو من يعرف؟ ربما كان ابن مضاء أحد المؤيدين على هذه الثورة، وإن لم يكن المؤيد الأول كما يقضي بذلك منصبه².

ثانيا: أساس التصور النحوي عند ابن مضاء القرطبي:

يتضح من خلال القراءة الفاحصة لكتاب الرد على النحاة، أن «أساس التصور النحوي عند ابن مضاء القرطبي يتمثل في ارتباطه المذهبي بالظاهرية الذي ربطه بابن حزم وأرائه الفقهية فترجمها إلى الميدان اللغوي»³، إن المذهب الظاهري لم يتخذ شكل مذهب فقهي إلا مع داود الأصفهاني الذي جعله مذهباً قائماً بذاته حتى أصبح ملتصقاً باسمه فاشتهر بـ "داود الظاهري" لكنه لم يشكل نسقاً فكرياً متكامل الجوانب إلا مع الإمام أبي حزم بن سعيد، الذي جعله ممتداً إلى مختلف الميادين المعرفية، حيث لم يعد منحصرًا في مجال الفقه بل تعداه إلى مجالات أخرى من أصول وكلام وأدب، كما تحيل على ذلك مؤلفاته، وقد عمل في ذلك على استخدام أداتين اثنتين في التعامل مع القضايا

¹ - ابن مضاء القرطبي، كتاب الرد على النحاة، ص 8، 9.

² - المصدر نفسه، ص 11.

³ - فؤاد بوعلي، الأسس الفكرية واللغوية للدراسة النحوية عند أبي حيان الأندلسي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1،

2014م، ص 28.

المختلفة هما العقل والنص¹، فعند تعامل ابن حزم مع النصوص تمسك بظاهرها في استخراجها للأحكام الشرعية، دون البحث عن المعاني والمصالح التي لأجلها وقع تشريع الحكم، وهكذا وضع أصول المذهب الظاهري التي قد تخالف أصول وأسس المذاهب الأخرى².

وللكشف عن أساس التصور النحوي عند ابن مضاء القرطبي لا بد من عقد مقارنة بين تصور ابن حزم وتصور ابن مضاء للأصول النحوية، ولعل أحسن كلمة تصور طبيعة هذه الأصول وتبرز دورها في تثبيت الأحكام النحوية، هي العبارة التي جاءت على لسان السيوطي قال: «ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله»³، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن وضع هذه الأصول وبدايتها الأولى كانت على يد "ابن السراج".

ثالثاً: الأصول النحوية بين ظاهرية ابن حزم وثورة ابن مضاء القرطبي:

لقد أثرت ظاهرية ابن حزم في تصور الأصول النحوية عند ابن مضاء القرطبي والجدول التالي يوضح ذلك:

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 17.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 18.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 18.

الأصول	تصور ابن حزم	تصور ابن مضاء القرطبي
اجتهاد	كان منطلق ابن حزم هو تأسيس فهم جديد للاجتهاد ينبني على رفض كل أشكال التقليد¹، إذ يقول: «ولا يحل لأحد أن يقلد أحدا لا حيا ولا ميتا وعلى كل أحد من الاجتهاد حسب طاقته فمن سأل عن دينه فإنما يريد معرفة ما ألزمه الله عز وجل في هذا الدين»². إلا أنه من جانب آخر يرى أنه لا رأي في الدين فليس لأحد أن يجتهد برأيه ويدعي أن ذلك حكم الله تعالى، وأن ما يصل إليه برأيه هو حكمه هو وليس حكم الله تعالى وهو بذلك سد باب الاستنباط بالقياس والاستحسان. والمصالح المرسلة وسد الذرائع، والتعليل³.	فتح ابن مضاء باب الاجتهاد على مصراعيه أمام كل من أبان عن قدرة لاستنباط القواعد من استقراء النصوص المسموعة. ولم يعتبر إجماع النحاة حجة. حيث يقول ابن مضاء: «إن النحو علم منتزع من استقراء هذه اللغة، فكل من فرق له عن علة صحيحة وطريقة نهجه كان خليل نفسه وأبا عمرو فكره»⁴.
القياس	يقول ابن حزم: « ولا يجزى القول بالقياس في الدين ولا بالرأي لأن أمر الله تعالى عند التنازع بالرد إلى كتابه	تختلف نظرة ابن مضاء القرطبي إلى القياس عن نظرة ابن حزم حيث إنه لم يرفض القياس كله بل ربط رأيه بأنواع

¹ - ينظر: فؤاد بوعلي، المرجع السابق، ص 18.

² - ابن حزم، المحلى بالآثار، تح: عبد الغفار سليمان البندري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، 1/85.

³ - محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره وأراؤه وفقهه، ص378.

⁴ - ابن مضاء، الرد على النحاة، ص 82.

القياس وفيما يلي بيان ذلك: رأي ابن مضاء في القياس:⁵ *القياس النحوي: فهو يجيزه إن ورد له من النصوص ما يصححه وهو يرفضه إذا لم ترد له نصوص تؤيده. * القياس العقلي: فهو يرفضه وقد واجهه بصراحة وذلك بالاعتماد على أساسين أحدهما عقلي والآخر لغوي. فالأساس العقلي: يلخصه أن المشابهة غير كاملة. بين المقيس والمقيس عليه. و الأساس اللغوي: وهو إنكار أن العرب أرادت ذلك أوبعبارة أخرى إنكار أن يكون هذا مما له صلة بنطق العرب واستعمالاتهم.⁶ حيث يقول: « والعرب أمة حكيمة فكيف تشبه شيئاً بشيء وتحكم عليه بحكمة وعلة حكم الأصل غير موجودة في الفرع، وإذا فعل واحد من النحويين	والى رسوله صلى الله عليه وسلم قد صح، فمن رد إلى قياس أو إلى تعليل يدعيه أو إلى رأي قد خالف بالرد إليه. وفي هذا ما فيه»¹، حيث اعتبر القول بالقياس انحرافاً عقدياً وهو حادث في الملة خلال القرن الثاني الهجري.² وقد نقد تعريفهم للقياس من عدة أوجه هي:³ أحدهما: قولهم فيما لا نص فيه، وهذا معدوم لأن الدين كله منصوص عليه. ثانيهما: إنه حتى لو وجد لما جاز أن يحكم بذلك، لأنه دعوى بلا برهان. ثالثها: قولهم لاتفاقهما في علة الحكم، ولا علة لشيء من أحكام الله تعالى إذ دعوى العلة في ذلك قول بلا حجة.⁴ ويسوق ابن حزم عدة أدلة لإبطال	
--	--	--

¹ - ابن حزم، المحلى، 78/1.

² - ينظر: فؤاد بوعلي، الأسس الفكرية واللغوية للدراسة النحوية عند أبي حيان الأندلسي، ص 21.

³ - ينظر: محمد عيد، أصول النحو العربي - في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1989م ص 85.

⁴ - ابن حزم، ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل، تح: سعيد الأفغاني، مطبعة جامعة دمشق، (دط)، 1960م، ص 5.

⁵ - محمد عيد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، ص 85.

⁶ - المرجع نفسه، ص 85.

ذلك جهل ولم يقبل قوله، فلم ينسبون إلى العرب ما يجهل به بعضهم بعضاً، وذلك أنهم لا يقيسون الشيء ويحكمون عليه بحكمه إلا إذا كانت علة حكم الأصل موجودة في الفرع، وكذلك فعلوا في تشبيه الاسم بالفعل في العمل، وتشبيههم (إن وأخواتها) بالأفعال المتعدية في العمل»⁴.	القياس نذكر أهمها فيما يلي: 1- أول هذه الأدلة أن الله سبحانه أنزل الشرائع وجاءت نصوص القرآن بكل ما هو محرم، وجاءت بكل ما هو مأمور به والباقي على أصل الإباحة، فمن أوجب من بعد ذلك شيئاً بقياس أو بغيره فقد أتى مما لم يأذن به الله تعالى، ومن حرم من غير النص فقد أتى بما لم يأذن به الله تعالى¹. 2- أنه لا قياس في موضع النص عند القياسيين وإنما القياس في غير موضع النص، ومن قال إنه لم يشمل النص كل شيء فهو يناقض قوله. قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ وَعْدِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾²، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا نُنَزِّلُ الْكِتَابَ لِنُثَبِّتَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ
---	---

¹ - ابن حزم، الأحكام، ج، ص2.

² - سورة المائدة، الآية 3.

	وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾. فهذه أدلة على أن النصوص قد اشتملت على كل شيء فلا حاجة إلى قياس بعدها^٢.	
إن ابن مضاء القرطبي لا يلغي من العلل النحوية إلا ما خرج بالدرس النحوي عن مستوى اللغة الظاهرة إلى التفسير العقلي، حيث يقول: «ومما يجب أن يسقط من النحو العلل الثواني والثالث وذلك مثل سؤال السائل على زيد من قولنا: قام زيد لم رفع؟ فيقال: لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع، فيقول: ولم رفع الفاعل، فالصواب إن يقال له: كذا نطق به العرب ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر ولا فرق بين ذلك وبين ما عرف أن شيئاً ما حرام بالنص، ولا يحتاج فيه إلى استنباط عقلي لينتقل حكمه إلى غيره فسأل لم حرم؟ فإن الجواب على ذلك غير واجب على الفقيه»^٤. ويمكن	نجد أن ابن حزم يرفض تعليل الأحكام لأن في ظاهر النص ما يغني عن البحث وراءه^٣، حيث يقول: «وجملة القول إن كل شيء نص الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عليه فهو حق وكل ما زادوه بأرائهم مما ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله فهو باطل وإفك»^٤. ويقول في موضع آخر: « وإذا لم يحل لنا أن نسأله عن شيء من أحكامه تعالى وأفعاله (لم كان هذا) فقد بطلت الأسباب جملة وسقطت الحل البتة إلا ما نص الله تعالى عليه أنه فعل أمر كذا لأجل كذا، وهذا أيضاً مما لا يسأل عنه، فلا يحل لأحد من العباد أن يقول: لم كان هذا	التعليل

^١-سورة النحل، الآية ٤٤.

^٢- ابن مضاء، الرد على النحاة، ص ١٥٦-١٥٧.

^٣-محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره-آراؤه وفقهه، ص ٤٠٨.

^٤-ينظر: فؤاد بوعلی، المرجع السابق، ص ١٩.

^٤-ابن حزم، الأحكام، ٩٢/٨.

^٤- ابن مضاء، الرد على النحاة، ص ١٣٤.

تلخيص رأيه في التعليل فيما يلي: * فالعلل الأولى مقبولة عنده وهي التي بمعرفتها تحصل المعرفة بالنطق بكلام العرب، فنطق العرب واستقراء كلامهم هما أساس العلل النحوية المقبولة. 2- العلل الثواني والثالث يجب أن تسقط من النحو لأمرين: أ- لا حاجة لكلام العرب إليها فإذا قال قائل: لم رفع الفاعل؟ فالصواب أن يقال له كذا نطقت به العرب ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر. ب- هذه العلل ترد الأمور لا شأن لها باللغة فهي إما أن تقطع تطلع السائل بعد العلة الأولى أو لسد ضرورة ذهنية مفتعلة، أو سفسطة لا قيمة لها إطلاقاً. فأساس رأيه في التعليل أن مايفسر النطق مقبول وما لا علاقة له بالنطق مرفوض³.	السبب، ولم يكن غيره، وأن يقول لم جعل هذا الله هذا الشيء سببا دون أن يكون غيره سببا أيضا، لأن من قال هذا السؤال فقد عصى الله عز وجل والحد في الدين»¹. فمقاصد الشارع وأغراضه تطلب في نظر ابن حزم من النص ذاته دون اللجوء إلى التعليل أو القياس أو التأويل إذ يقول: «واعلم أن الأسباب كلها منتفية عن أفعال الله تعالى كلها وعن أحكامه حاشا ما نص تعالى عليه أو رسوله صلى الله عليه وسلم، وأما العرض في أفعال الله تعالى وشرائعه، فليس هو شيئا غير ما ظهر منها فقط، والغرض في بعضها أيضا أن يعتبر بها المعتبرون»².	
---	--	--

¹ - ابن حزم، الإحكام، 102/8.

² - المرجع نفسه، 104/8.

³ - محمد عيد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء، وضوء علم اللغة الحديث، ص135.

يظهر تصور ابن مضاء للإجماع من خلال حديثه عن [إجماع النحويين على القول بالعوامل ليس بالحجة]، إذ يقول: « فإن قيل فقد أجمع النحويون على بكرة أبيهم على القول بالعوامل، وإن اختلفوا، فبعضهم يقول: العامل في كذا كذا، وبعضهم يقول: العامل فيه ليس كذا، إنما هو كذا.. قيل إجماع النحويين ليس بحاجة على من خالفهم»⁴. وقد استشهد بقول ابن جني في ذلك إذ يقول: « اعلم أن إجماع أهل البلدين (يعني البصرة والكوفة) إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده أن لا تخالف المنصوص والمقيس المنصوص فإن لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه»⁵. واستشهد بقول أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: « ما على الناس شيء أضر من قولهم: ما ترك الأول للآخر شيئاً، إلا أنه وضع شروطاً وقواعد	يقرر ابن حزم أن الإجماع حجة بالإجماع تقريباً، لم يختلف في ذلك أحد السنين¹، وهو لا يكتفي ببيان استحالة الإجماع من غير نص لاستحالة الاجتماع، بل يبين أن الإجماع على غير نص غير ممكن لأن تفكير الناس في استخراج العلة لا يمكن إن يتفق لاختلاف مناحي تفكيرهم²؛ إذ يقول: «إن اليقين قد صحّ بأن الناس مختلفون في مهمهم واختيارهم وآرائهم وطبائعهم الداعية إلى اختيار ما يختارونه، وينفرون عما سواه. متباينون في ذلك تبايناً شديداً متفاوتاً جداً... فبطل أن يصح إجماع على غير توفيق و هذا برهان قاطع ضروري»³. فالإجماع عند ابن حزم ينتهي إلى النص لأنه: 1- لا يشترط أن يكون سنده النص. 2 - لا يتصور إجماعاً إلا أن يكون متواتراً تواتر نقل مقطوع به حتى	١٣٥
--	---	------------

¹-محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره- آراؤه وفقهه، ص 348.

²-ينظر: المرجع السابق، ص 355.

³-ابن حزم، الإحكام، 4/138.

⁴- ابن مضاء، الرد على النحاة، ص 93.

⁵- ابن جني، الخصائص، 1/196.

للإقدام على مخالفة الجماعة التي طال بحثها، و تقدم نظرها منها: 1- يتفهم الموضوع اتقاناً، ويثبته عرفانا. 2- لا يخلد إلى سانح خاطره ولا إلى أول نزوة متى نزوات تفكره. 3- المباشرة بإنعام تصفحه أحناء الحال، أمضى الرأي: فيما يريد الله منه غير معازٍ به ولا غاضٍ من السلف رحمهم الله في شيء منه، فإنه إذا فعل ذلك سدّد رأيه. وكان للصواب مثنة ومن التوفيق مظنة²».	يصل إلى عهد النبوة. 3- لا يتصوره إلا بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم بقول أو فعل أو تقرير¹.	
---	---	--

من خلال ما تقدم نتوصل إلى ما يلي:

- 1- تصور ابن حزم مبنى على رفض كل اجتهاد يتجاوز ظاهر النص فيؤول بصاحبه إلى القياس أو إلى تعليل الأحكام أو إلى الاستحسان لأن الشريعة في نظره نزلت تامة غير ناقصة.
- 2- تصور ابن مضاء القرطبي للأصول النحوية، تصور جديد مناقض لما جاء به السلف متفق إلى حد بعيد مع الأصول الثابتة للمذهب الظاهري عند ابن حزم، والتي كانت مجرد آراء متناثرة و منفردة عند داود الظاهري.

¹ - محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره - آراؤه وفقهه، ص 357.

² - ينظر: ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، ص 94، 95.

3- إن مجمل آراء ابن حزم وابن مضاء القرطبي تدور حول الانكفاء على ظاهر النص فلا إجماع إلا بالنص. ولا اجتهد إلا في ظاهر النص وهذا هو المنطلق الأساسي للمذهب الظاهري.

4- عدم الاتفاق الكلي بين تصور ابن حزم و تصور ابن مضاء القرطبي، ويظهر ذلك جليا في القياس والتعليل، حيث إن ابن مضاء القرطبي لم يرفض القياس كله، كما أنه لا يلغي من العلل النحوية إلا ما خرج عن مستوى اللغة الظاهرة. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على اختلاف منبع استخراج الأحكام، ففي الجانب الفقهي يتمثل في النص المقدس؟ أما في الجانب النحوي فهو النص اللغوي الذي يقبل نوعا من التعليل ومن القياس.

5- ويمكن أن نقول إن خلاصة منهج ابن مضاء القرطبي وابن حزم الظاهري يعود إلى النصوص أولا وأخيرا .

رابعا: طبيعة نصوص كتاب الرد على النحاة:

إن النصوص التي اعتمد عليها ابن مضاء القرطبي هي نصوص تكشف عن ما يعانيه النحو العربي من غموض وتعقيد نتيجة تجاوز أصحابه الفائدة المرجوة، فعلى متعلم النحو أن لا يأخذ من النحو إلا ما يحتاج إليه، وفي هذا يقول ابن حزم: « وأقل ما يجزي من النحو كتاب الواضح للزبيدي أو ما نحوه كالموجز لابن السراج، وما أشبه هذه الأوضاع الحقيقية، و أما التعمق في علم النحو ففضول لا منفعة فيه، بل هو مشغلة عن الأوكد ومقطعة دون الأوجب والمهم وإنما هي تكاذيب، فما وجه الشغل بها هذه صفته»¹.

¹ - ابن حزم، رسالة مراتب العلوم في ضوء ما سبقها من تصنيف العلوم عند العرب، رسائل ابن حزم الأندلسي المجموعة الأولى، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ص 64.

ويتفق ابن مضاء مع ابن حزم في هذه النقطة إذ يقول: «وإنني رأيت النحويين رحمة الله عليهم قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن، وصيانته عن التغيير، فبلغوا من ذلك إلى الغاية التي أموا وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا إلا أنهم التزموا ما لا يلزمهم وتجاوزوا فيها القدر الكافي منها، فتوعرت مسالكها ووهنت مبانيها وانحطت عن رتبة الإقناع حججها حتى قال الشاعر:

ترنو بطرف ساحر أضعف من حجة نحوي»¹.

وهذا الرأي لابن مضاء القرطبي جاء نتيجة قراءته للنصوص النحوية حيث إن «ابن مضاء لم يكتف بقراءة كتاب سيبويه على ابن الرماك، فقد قرأ أيضا شرح السيرافي على سيبويه ونقل منه نصوصا، كما نقل نصوصا أخرى على الانتصار لابن ولاد شيخ نحاة مصر، وأيضا فقد ذكر ابن جني مرارا و نقل عن خصائصه نقولا»². وعلى العموم فلقد اهتم ابن مضاء بالنحو البصري. ولم يعن بالنحو الكوفي، ومرجع ذلك في نظر محقق الكتاب "شوقي ضيف": «أنه لم يكن حريصا على التوفيق بين مذاهب النحاة، وإنما كان حريصا على مهاجمة النحو، وقد اختار المذهب البصري الذي كان شائعا من حوله»³. ونضيف إلى أن النحو الكوفي كان بعيدا عن التأثير بالمذاهب العقدية التي تركز في بحوثها على العقل، وتتبنى التعليل والقياس لإظهار الرأي ودحض الرأي الآخر، كما أن النحو الكوفي كان أكثر التصاقا بالنص القرآني، ومعظم نحاته من القراء الذين يبتعدون عن التعقيد والغموض والتأويل ويركزون على الوضوح والبيان.

¹ - ابن مضاء، الرد على النحاة، ص72.

² - المصدر نفسه، ص12-13.

³ - المصدر نفسه، ص13.

فمضمون نصوص كتاب الرد على النحاة هو الاختلاف في التعليل، والاضطراب في القياس، والمغالاة في تقدير العامل، والتي تكشف عن البعد عن جادة الصواب، حيث يقول: « والإطالة في هذه المسائل وهي مظنونة غير مستعملة ولا محتاج إليها لا تنبغي لمن رأى ألا ينظر إلا فيما تمس الحاجة إليه، وحذف هذه و أمثالها من صناعة النحو مقوِّ لهاو مسهل، ومع هذا فالخوض في هذه المسائل التي تفيد نطقاً أولى من الانشغال بما لا يفيد نطقاً كقولهم: بما نصب المفعول؟ بالفاعل؟ أو بالفعل؟ أو بهما؟¹، وسنأخذ أمثلة عنه هذا الاضطراب في أصلين من أصول النحو وهما: القياس والتعليل.

أ- الاضطراب في القياس:

فمن الأمثلة التي ساقها عن الاضطراب في القياس وجوده قياسان لبناء (فُعِلَ) من (البيع) أحدهما (بوع) قياساً على (موقن وموسر)، و الآخر (بيع) قياساً على (بيض وغيد) وقد ذكر ما ترتب على ذلك من اضطراب قائلًا: «وأما أي الرأيين هو الصواب؟؟ فكل من الرأيين حجة، فحجة من أبدل الياء واوًا أن (بوعًا) وحمله على (موسر) ونظرائه أولى من الحمل على الجمع، وأيضاً فإننا وجدنا الآخر يتبع الأول أكثر ما يتبع الأول الآخر...وحجة من قال (بيع) بالكسر قياسه على (أبيض) وإبدال الضمة كسرة لتصبح الياء أولى من رد الياء إلى الواو، لأن الياء أخف، وهي الغالبة على الواو، وكما يتبع الآخر الأول، كذلك يتبع الأول الآخر، قالوا في تصغير شيخ (شيوخ) وكسرت الشين من أجل الياء»²، فهذا الاضطراب والاختلاف مما لا جدوى فيه ويؤدي إلى نفور المتعلمين من اللغة العربية؛ إذ يقول ابن مضاء مؤكداً على عجز الناس عن حفظ اللغة الفصيحة الصحيحة نتيجة كثرة هذه الاختلافات «وهذا في مسألة واحدة، فكيف إذا كثرت

¹ - ابن مضاء، الرد على النحاة، ص 161.

² - المرجع نفسه، ص 62.

هذا الفن وطال فيه النزاع، وامتدت فيه أطناب القول مع قلة جدواه وعدم الافتقار إليه، والناس عاجزون عن حفظ اللغة الفصيحة الصحيحة، فكيف بهذا المظنون المستغني عنه¹، ولقد بين "الدكتور محمد عيد" أن أساس عدم الجدوى في النزاع والاضطراب في القياس عند ابن مضاء القرطبي يرتبط باحترامه لنصوص اللغة².

وقد وضع ابن مضاء ذلك في أمرين:

الأول: ليس هذا من اللغة الفصيحة التي يحتاجها الناس، فحاجة الناس إلى معرفة اللغة لا تقتقر لهذا الاضطراب والنزاع.

الثاني: أنه مظنون مستغني عنه، والظن ليس نصاً من نصوص اللغة، ومن أهم ما يترتب عليه اضطراب الأقيسة³.

وعليه «فالنزاع والصراع في القياس لا طائل وراءهما، انه حقاً مجهود عنيف لكنه مجهود مبدّد لا هدف له، ومن هنا فحقه العزل والرفض، ذلك أن المجهود في دراسة اللغة يجب أن يكون من أجل اللغة وهذا النزاع لا يفيد، كما يقول في حفظ اللغة الفصيحة الصحيحة»⁴. ولاضطراب القياس عدة أسباب منها ما يرتبط بالعرب، ومنها ما يرتبط بالنهاة، ومنها ما يرتبط باللغة، ففيم تتمثل ياترى؟

1- أسباب اضطراب القياس:

لقد ذكر "محمد عيد" أربعة أسباب لاضطراب القياس وهي:

¹ - محمد عيد، أصول النحو في نظر النحاة ورأي ابن مضاء ووضوء علم اللغة الحديث، ص 88.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص ن .

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 88، 89.

⁴ - ينظر: محمد عيد، أصول النحو في نظم النحاة ورأي ابن مضاء في ضوء علم اللغة الحديث، ص 104.

- نسبة النحاة العرب أنهم تكلموا بالأقيسة المختلفة.
- اجتهد النحاة أنفسهم في إثبات القياس ونفيه.
- مدى التزام الكمية النسبية التي يقوم عليها القياس.
- أخذ اللغة عن قبائل مختلفة وأزمنة متباعدة¹.

فالسبب الأول يعود إلى العنصر الاجتماعي في دراسة اللغة. مما جعل النحاة العرب يقولون (بالسليقة) وبالتالي يحملون الناطقين العرب مسؤولية تعدد الأقيسة واضطرابها، أما بالنسبة لاجتهاد النحاة فهو اجتهد شخصي في البحث وهذا يتنافى مع الطريقة العلمية الصحيحة التي تحقق الموضوعية، والقياس يبنى بصرف النظر عن الاضطراب في كميته ومصطلحاته على الكثرة النسبية في كل موضوع على حدة، والذي لا يتحقق فيه صفة الكثرة بالنسبة لغيره في نفس الموضوع يحكم عليه بالقلة أو السماع

أما أهم الأسباب الأربعة لاضطراب القياس فهو السبب الأخير، وقد أدى ذلك إلى تعدد الأقيسة واضطرابها، كما أدى إلى الحكم بالشذوذ على كثير من الأمثلة²، هذا بالنسبة للاضطراب في القياس تنتقل الآن إلى الحديث عن الاضطراب في التعليل ورأي ابن مضاء القرطبي فيه.

2- الاضطراب في التعليل:

لقد أورد ابن مضاء القرطبي رأيه المباشر في الاختلاف في التعليل بقوله: «ومما يجب أن يسقط من النحو الاختلاف فيما لا يفيد نطقاً، كاختلافهم في علة رفع الفاعل

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 104.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 105، 106.

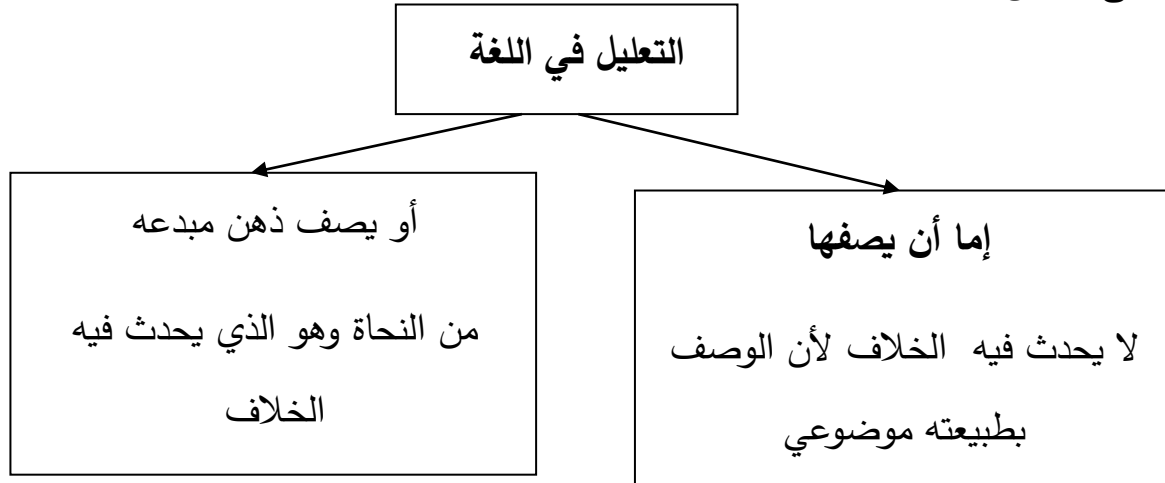
ونصب المفعول وسائر ما اختلفوا فيه من العلل الثواني وغيرها ما لا يفيد نطقاً¹، وهو يخطو خطوتين من خلال رأيه.

الأولى: رأيه الصريح في ذلك الاختلاف، وأنه يجب أن يسقط من النحو، وهو اختلاف مشعب! ضرب له مثلاً بالاختلاف في علة رفع الفاعل ونصب المفعول.

الثانية: التزامه جانب النصر في رفض هذا الاختلاف، ثم دعم رأيه في إسقاط الاختلاف وأطراحه بأن أردفه (بأنه لا يفيد نطقاً) ثم عاد وكرر ذلك مرة ثانية بأنه يجب أن يسقط من النحو على الجملة (كل اختلاف فيما لا يفيد نطقاً) نفس منهجه في النظرة إلى النص ومهمة النحو فيه².

فالاضطراب في التعليل لا علاقة له بوصف اللغة، حيث إن التعليل في اللغة يكون

على حالتين³:



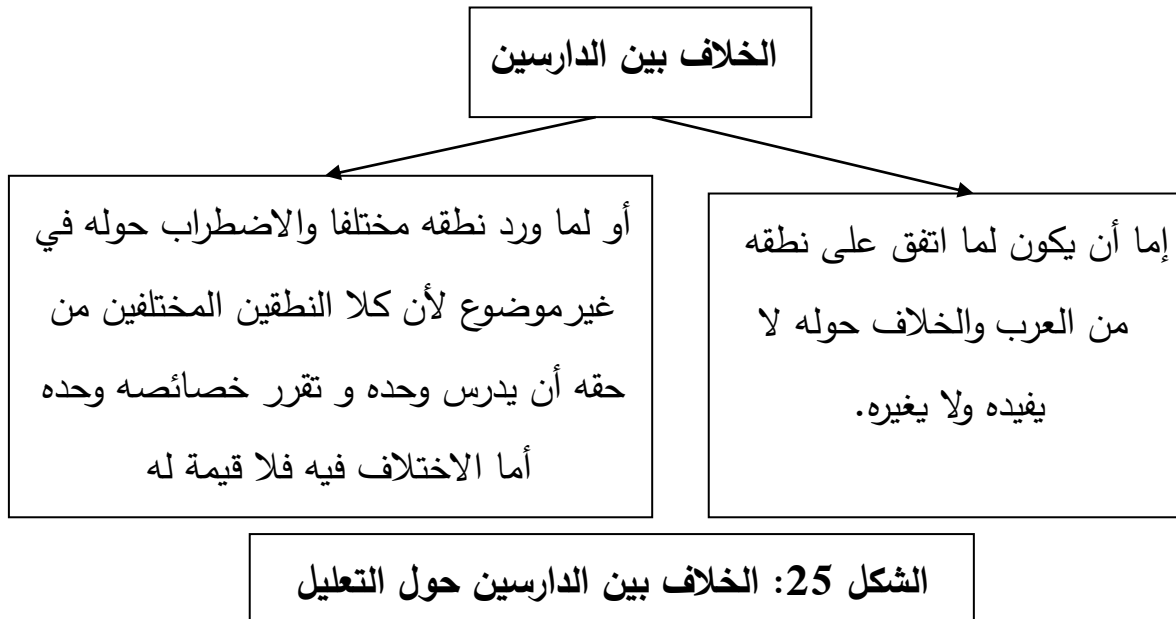
الشكل 24: أنواع التعليل في اللغة

¹ - ابن مضاء، الرد على النحاة، ص 164.

² - محمد عيّد، أصول النحو، ص 139.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 151.

كما أن الخلاف بين الدارسين على نوعين نبين الفرق بينهما فيما يلي:



فابن مضاء حكم على هذه المعارك المفتعلة بالإبعاد والعزل من النحو لأنها لا تفيد نطقا وكل ما لا يفيد نطقاً في رأيه يجب أن يسقط من النحو¹.

فمنهج ابن مضاء القرطبي من خلال ما تقدم يتفق مع مبادئ وأصول منهج المذهب الظاهري، إلا أن هناك من نقد هذا المنهج، واعتبره دعوة إلى هدم النحو العربي والقضاء على أصوله ودعائمه.

المبحث الرابع: أثر الخلاف الفقهي في الخلاف النحوي

كثيرا ما نقرأ في كتب النحاة مذهب أصحابنا أو مذهب سيبويه وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أن هناك اختلاف في مناهج النحاة وهذا الاختلاف لا يمس الأصول بل يتعلق بالفروع (ولم نسمع عند القدماء) فكلمة مدارس نحوية لم تكن تستعمل عند القدماء بل هو مصطلح أطلقه المحدثون حيث «نجد أن "طه حسين" هو أول من أطلق

¹ - ينظر: محمد عيد، أصول النحو، ص 151.

لفظ (مدرسة) على أوس بن حجر وأصحابه، كما نجد أن كلا من "العقاد" و"المازني" و"شكري" قد استخدموا هذا المصطلح فكانت مدرسة الديوان، وأطلقها آخرون على أدب المهجر على ما فيه من خلاف كبير¹. إلا أننا نجد من نحائنا المحدثين من أطلق لفظ المدارس النحوية. فما الفرق بين المدارس النحوية والمذاهب النحوية؟

أولاً: مدارس نحوية أو مذاهب نحوية:

لعل الفرق بين المدرسة والمذهب أن المدرسة لها مبادئ وأسس وخصائص وتكون مستقلة بذاتها ومغايرة لنظيرتها إن وجدت، أما المذهب فهو المنهج وهو في الغالب يتكون نتيجة لخلافات سطحية أو ثانوية مع الاتفاق في الأصول والخصائص العامة، و بهذا فإن مصطلح مدرسة الذي أطلق على المدارس النحوية ليس على درجة عالية من الصحة، إذ إن خلافات النحاة بمذاهبهم المختلفة (بصري، كوفي، بغدادي... الخ) خلافات تنوع وثرأ خلافات سطحية ثانوية، وليست خلافات أساس وتضاد فقد اتفقوا في الأصول، واشتركوا في الثوابت، فلم تكن خلافاتهم إلا في الفروع وما كان خلفه في الفروع فهو مذهب، وما كان خلفه في الأصول فهو مدرسة، غير أن مصطلح (مدرسة) قد حظي بالقبول وشاع بين الدارسين حتى صار الأكثر قبولاً وانتشاراً². نتفق مع هذا الرأي إلا أن المذهب يستخدم المنهج لاستنباط الأسس والأحكام فهو أعمّ منه، ونشير إلى أن استخدام النحاة القدماء للمذهب بدل المدرسة كان نتيجة الأثر الفقهي؛ حيث وجد هذا المصطلح في البيئة الفقهية ثم انتقل إلى البيئة النحوية. فمتى كانت أولية هذا الخلاف؟ وما الفرق بين مناهج الخلاف النحوي؟ هذا ما سوف نتعرف عليه.

¹ - محمد الطيب، البشير بايكر، محمد سعد محمد أحمد، منهج التقعيد النحوي في المذاهب النحوية (دراسة وصفية نحوية)، مجلة البحث العلمي في الآداب، العدد 20، 2019م، الجزء الثالث، ص 434.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

1- نشأة الخلاف:

إن أولى الإشارات إلى الخلاف النحوي نجدها في كتاب سيبويه حيث أنه يحيل إلى نحويين سابقين أو معاصرين له يسميهم أحياناً ولا يسميهم أحياناً أخرى، وكانت هذه الإحالات تتضمن خلافات بين النحاة في النظر إلى المسائل المطروحة، ولعل أكثر ما يلفت النظر في هذه الإحالات أنه يقر بوجود لغويين في الكوفة يثبتون رأياً خاصاً بهم¹.

ومن ذلك قول سيبويه: « وسألت الخليل رحمه الله عن قولهم: اضرب أيهم أفضل فقال: القياس نصب كما تقول: اضرب الذي أفضل، لأن أياً في غير الاستفهام والجزاء بمنزله الذي، كما أن مَنْ في غير الجزاء والاستفهام بمنزلة الذي، وحدَّثنا هارون أن ناساً، وهم الكوفيين يقرأونها: ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴾². وهي لغة جيدة نصبوها كما جرّوها حين قالوا: امرر على أيهم أفضل فأجراها هؤلاء مجرى الذي إذا قلت: اضرب الذي أفضل...⁽³⁾، كما ذكر سيبويه في كتابه أن الخليل بن أحمد كان يطلب من أبي جعفر الرّؤاسي كتابه ليقراه، وأن كل ما جاء في كتاب سيبويه من: قال الكوفي يكون هو الرّؤاسي⁽⁴⁾، إلا أن الخليل والرّؤاسي كانا عفيفين على ما ذكره الأفغاني فلم يكونا طالبين للمادة ولا الجاه الذي بسببهما تأخذ مسائل الخلاف منحى آخر غير هادئ⁽⁵⁾.

¹ - ينظر: أمجد عيسى طلافحة، أحمد محمد أبو دلو، الخلاف النحوي وحقيقة المدارس النحوية، البلقاء للبحوث و الدراسات، المجلد 16، العدد 2، 2013م، جامعة اليرموك، الأردن، ص 60.

² - سورة مريم، الآية 69.

³ - سيبويه، الكتاب، ج 2، ص 399.

⁴ - نزهة الألباء، ص 128.

⁵ - ينظر: سعيد الأفغاني، في أصول النحو العربي، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، دمشق، سوريا، ط 2، 1994م، ص 168.

نستنتج من خلال ذلك أن البصريين أخذوا من الكوفيين في بداية الأمر، وهذا في اعتقادي راجع لتمكن علماء الكوفة من القراءات وارتباطهم بالنص القرآني، ثم بعد ذلك أخذ الكوفيون على البصريين حين توسعوا في القياس والتعليل، فتبادل المعارف والعلوم كان قائماً بين المذهبين، إلا أن بداية الخلاف النحوي الواضح الذي أخذ طابع المنهجية والتنافس كانت بدءاً من عهد سيبيويه والكسائي الطبقة الرابعة البصرية، والثانية الكوفية وخاصة بعد أن قرب العباسيون الكسائي وتلامذته وخصوصهم بتعليم وتربية أولادهم.

ثانياً: خصائص منهجي البصرة والكوفة - الأثر والتأثير -:

لقد ذكرنا فيما سبق أن البصرة والكوفة تشكلان مذهبين نحويين يتفقان في الأصول ويختلفان في الفروع؛ إذ أن المذهب الكوفي لا يباين المذهب البصري في الأركان العامة للنحو. فقد بنى نحوه على ما أحكمه المذهب البصري من تلك الأركان التي ظلت إلى اليوم راسخة في النحو العربي، غير أنه مع اعتماده لتلك الأركان استطاع أن يشق لنفسه مذهباً نحوياً جديداً له طابعه وأسس ومبادئه.¹

ومما يلي موازنة بين المذهبين المصري والكوفي:

خصائص منهج المذهب الكوفي	خصائص منهج المذهب البصري
1- التشدد تشدداً جعل أئمتها لا يثبتون في	1- الاتساع في الرواية ، بحيث تفتح

¹-ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 158.

جميع الدروب والمسالك للأشعار واللغات الشاذة فتأخذ عن الأعراب الذين قطنوا حواضر العراق مما جعل بعض البصريين يفخر على الكوفيين بقوله: نحن نأخذ اللغة عن حرشة أكلة الضباب وأكلة اليرابيع (أي البدو الخُلص وأنتم تأخذونها عن أكلة الشوايز وباعة الكواميخ أي عرب المدن³.	كتبهم إلا ما سمعوه من العرب الفصحاء الذين سلمت فصاحتهم من شوائب التحضر وآفاته¹. وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاور لسائر الأمم الذين حولهم².
2- الاتساع في القياس: إذ قاسوا كثيرا على الأشعار والأقوال الشاذة التي سمعوها على ألسنة الفصحاء مما أحدث اختلاطا وتشويشا في نحوهم؛ لما أدخلوه على القواعد الكلية العامة من قواعد فرعية تنقضها نقضاً بحيث قاسوا على الشاذ والنادر دون تقييد بندرته وشذوذه ولقد استخدموا القياس أحيانا بدون استناد إلى أي سماع².	2- اشترط البصريون في الشواهد المستمدة منها القياس أن تكون جارية على ألسنة العرب الفصحاء وأن تكون كثيرة بحيث تمثل اللهجة الفصحى؛ وبحيث يمكن أن تستنتج منها القاعدة المطردة، وبذلك أحكموا قواعد النحو وضبطوها ضبطاً دقيقاً، وهذا ما جعلهم يرفضون ما شذ على قواعدهم ومقاييسهم لسبب طبيعي ولم يقفوا عند حد الرفض أحيانا، إذ وصفوا بعض ما شذ على قواعدهم مما جرى على ألسنة العرب بأنه غلط ولحن وهم يقصدون أنه شاذ على القياس الموضوع

¹-ينظر: المرجع السابق، ص159.

²-ينظر: السيوطي، المزهر، 211/1.

³-ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 160.

	وخارج عليه فلا يلتفت إليه فقلد طلبوا في قواعدهم الاطراد والعموم والشمول ¹ .
--	---

لقد اعترف ثلاثة من علماء اللغة القدماء بتأثيرهم بمناهج الفقه و أصوله، وحاولوا وضع قواعد وأصول متشابهة مع قواعد و أصول الفقه وعلم الكلام وهؤلاء الثلاثة هم: ابن جني ابن الأنباري، السيوطي إلا أن هناك اختلاف بين أعمال الثلاثة فعمل ابن جني لم يمثل سوى المرحلة الأولى من تصنيف الأصول النحوية، وذلك أنه أي التصنيف مر بثلاث مراحل عبر ثلاثة مصنفات لثلاثة أعلام هي :

مرحلة التأسيس: و تتمثل في عمل ابن جني (392 هـ) في كتابه الخصائص

مرحلة الوضع الفعلي و يمثل هذه المرحلة ابن الأنباري 577 هـ في كتابه لمع الأدلة في أصول النحو

مرحلة الترتيب و التهذيب : و يمثل جلال الدين السيوطي (911 هـ) في كتابه الاقتراح في أصول النحو.³

ولعلنا بهذا الذكرى قد أرحنا إلى حد ما بعض الغشاوة التي وسمت نشأة علم أصول النحو و تضارب الأقوال في ذلك فمن كاسب إياه الابن جني إلى آخر يدعي سبق ابن الأنباري و ثالث يضرب الذكر صفحا عنهما إلى السيوطي فيكون القول الوسط هو أن صنيع هؤلاء الأعلام الثلاث مثل في مجموعة علم أصول النحو مستوي الأركان كما

⁵- ينظر: المرجع نفسه، ص 164.

¹- ينظر: المرجع السابق، ص 161، 163.

³- ينظر: بلميهوب عبد العزيز أبليلة، بين أصول الفقه و أصول النحو مدخل نظري حول النشأة و المفهوم، مجلة المعيار، مجلد 26، عدد 3، السنة 2022، ص 357.

ندرسه بين أيدينا ¹ اليوم وفيما يلي موازنة بين الأعمال الثلاثة للكشف عن مدى تأثر كل منها بالمذاهب الفكرية سواء الفقهية أو الكلامية.²

عمل ابن جني	عمل ابن الأنباري
عمل ابن جني في أصول النحو يتجلى في كتاب الخصائص	أما عمل ابن الأنباري فيتجلى في كتابين الأول: "لمع الأدلة " الثاني: كتاب الإعراب في جدل الإعراب
أول ما نلاحظه ضخامة كتاب "الخصائص" فهو مطبوع بثلاثة مجلدات كل مجلد يتكون من بعض مئات الصفحات	2- في حين لمع الأدلة رسالة صغيرة الحجم وأن مجموع رسالتي اللمع و الإعراب لا يبلغ مائة و عشر صفحة
3- إن كتاب الخصائص يفتقر إلى التنظيم والتنسيق وذلك شأن المؤلفات اللغوية عموماً في القرآن الرابع الهجري فقد كان التنظيم والتنسيق في أول عهده. ³	في حين نجد ابن الأنباري يسير فوق خطة مرسومة واضحة فقد ذكر في فاتحة الإعراب خطته في التأليف كما تجد التنظيم واضحاً في رسالة (لمع الأدلة) فهو يبدأ ببيان المقصود بأصول النحو ثم يذكر أقسام الأدلة الصناعة ثم يشرح هذه الأدلة مستوفياً أقسامها و أحوالها ولا عجب فإن أب البركان عاش بعد أب جني

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 359.

² - ينظر: صالح السامرائي، أبو البركات الأنباري و دراساته النحوية، دار الرسالة للطباعة ، بغداد، ط1، 1975م، ص 204.

³ - ينظر: المرجع السابق، ص 204.

بقرنين من الزمان وكان التنسيق و التنظيم قد مر بمراحل طويلة.¹	
أما كتاب " لمع الأدلة " فهو كتاب مقصور على علم أصول النحو ولم يبحث معه شيئاً آخر وكذلك (رسالة الإعراب) فهي مخصوصة بفن الجدل.	إن كتاب الخصائص ليس مقصوراً على أصول النحو فقد وجد فيه كثير من الموضوعات اللغوية من مثل باب الفصل بين الكلام و القول و باب في اللغة وماهي و باب القول في النحو و باب القول على أصل اللغة إلهام هي اصطلاح وبحث إلى جانب ذلك موضوعات في أصول النحو مثل باب في جواز القياس على ما يقل ورفضه فيما هو أكثر منه باب في تعارض العلل و باب في العلة والعلة غير أن الجانب اللغوي يربوا كثيراً على الجانب الأصولي فيه.²
أما أبو البركات فقد بدأ بحثه بتحديد المقصود بأصول النحو، هذه إضافة إلى تقسيمات والتجريد التي تجدها عند ابن الأنباري كالقياس وحدة ومعرفة أقسامه قياس العلة ، قياس الشبه قياس الطرد ، وهذا ما لم نجده عند ابن جني - كما أنه تناول موضوعات أصولية من مثل	إن ابن جني بحث استدلالات وأحكاماً لم يبحثها ابن الأنباري كالإجماع وعدم التنظير و إسقاط الدليل و الحمل على الظاهر و أهمل موضوعات الأصوليين كما لم يحدد المقصود بأصول النحو

¹ -ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

² -ينظر: المرجع نفسه، ص 205، 206.

ما يلحق بالقياس من أنواع استدلال، كالاستدلال بالتقسيم، والاستدلال بالأولى والاستدلال ببيان العلة، والاستدلال بالأصول - وكثيرا من أحوال النقل و شروطه واستصحاب الحال وغير ذلك	
أما الاستحسان في لمع الأدلة فهو طريقة من طرائق الاستدلال يستعملها النحوي في الاحتجاج يختلف العلماء في الأخذ بها وهو في جملته بحث مأخوذ من أصول الفقه.¹	
	قد يختلف المقصود بالعنوان الواحد عند ابن جني وابن الأنباري والاستحسان في الخصائص علة لغوية راعتها العرب في كلامها و هي جملة تعود إلى علل لغوية أخرى.²
في حين أن أبا البركات استمد الشيء الكثير من أصول هذا العلم الأصول النحو حتى أن المصطلحات الحديثة نجدها ماثورة في مواطن كثيرة من دراسته.⁴	إن أثر علم الحديث في أصول النحو عند ابن جني قليل، ولم يشير ابن جني إلى أثر هذا العلم في دراسة أصول النحو.³

¹ -ينظر: فاضل صالح السامرائي، أبو البركات الأنباري ودراساته النحوية، ص 206.

² -ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

³ -ينظر: المرجع السابق، ص ن.

⁴ -ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

ثالثاً: تطور أصول النحو بين ابن جني وابن الأنباري:

ولكي تتضح الرؤية أكثر وجب عقد موازنة بين تصور ابن جني و ابن الأنباري والسيوطي لأصول النحو و بيان مدى تأثر هذا التصور بالمذاهب الفقهية أو المذاهب الكلامية:

أصول النحو	تصور ابن جني	تصور ابن الأنباري
السمع	لم يحدد ابن جني السماع بحد لغوي أو اصطلاحي. -الشروط التي وضعها الخصائص اللغوية لكل من المتكلم والكلام بلغت في جملتها أحد عشر شرطاً توصف بأنها كانت محكمة وصارمة على بناء قواعدها وليست تابعة من فراغ ظهرت في تلك الشروط مرجعيته إلى نهج من سبقوه من علماء العربية -تقسيمه للسمع إلى مطرد فيه طرْحاً علمياً جديداً غير مسبوق فيه أن كان قد اكتفى بتعريف كل من الشذوذ والاطراد لغوياً دون تعريفهما اصطلاحياً.¹	أول ما يلحظ أن السماع عند ابن الأنباري عرف بالنقل وقد تناول بالبحث والدراسة الموضوعات التالية: تعريفه شروطه، أقسامه، نقل الإجازة، الاعتراض على الاستدلال بالنقل معارضة النقل بالنقل ولعل أصل اختيار مصطلح النقل لتأسيس أعلى ما جاء في تعريفه بأنه الكلام العربي الفصيح المنقول النقل الصحيح الخارج عن حد العلة إلى حد الكثرة.² شروط ابن الأنباري للنقل بلغت في جملتها أربعة شروط فيما يخص المتكلم أو الكلام وهي عروبة الكلام وفصاحته وصحة نقله وكثرته وهي شروط ظاهرة

¹ -ينظر: طلحة عيسى أحمد، أصول النحويين ابن جني و ابن الأنباري -دراسة مقارنة -، بحث مقدم لنيل درجة التخصص العليا الدكتوراه في تخصص النحو، جمهورية السودان، إشراف: عبد المنعم الشيخ عثمان، جامعة القرآن

بيئة لاغموض فيها. - أقسام النقل عنده اثنان تواتر وآحاد وقد عرّف كليهما وبين شروط كل منهما وأراء العلماء فيهما. ونلمس من خلال هذا التقسيم اثر تقسيمات الأصوليين من الفقهاء وهو ما ينبئ بتأثره بمدرسته الفقهية في هذا التقسيم. - لا نستطيع تحديد مصادره في أصل. النقل تحديدا قاطعا وهذا لا يمنع من الذهاب إلى القول بأن ابن الأنباري² استفاد من بعض المصادر في أصل النقل وإن كان لم يسمها بعينها إلا أننا يمكن أن نلاحظ بصورة واضحة تأثره بأصول الفقه ومن ذلك حديثه عن شرط نقل التواتر وحديثه عن نقل أهل الهواء	مع ملاحظة أن تناوله لقسم الاطراد كان قصيرا وكان في جملته عبارة عن إيراد للشواهد النحوية والصرفية إلا أنه خص النادر بأربعة اضرب جاعلا لكل منها أمثلة. - عدم اعتداده بخبر الآحاد ينبئ بتأثره بمنهجية فقهية ذلك فيما ذهب إليه من أن السماع من الواحد أو من العدة القليلة لا يقنع في قبوله اعتمد ابن جني في بحثه عن السماع الأضعف متأثرا بأستاذه أبو علي الفارسي وابن الشجري - نلاحظ من خلال الاستقراء لموضوعات السماع صفاء وسهولة التناول والطرء العلمي دون الإيغال في	
---	---	--

الكريم و العلوم الإسلامية كلية الدراسات العليا و البحث العلمي، دائرة اللغة العربية، شعبة النحو و الصرف، 2006 ،

ص 241.

² - المرجع نفسه، ص 242.

الجدل واجتناب المعاني الغامضة غزارة المادة الخاصة بأصل السماع تصلح مادة قابلة للدراسة مفردة لهذا الأصل. ¹	ومقارنته بين النقل و الشهادة وقبول نقل المرسل والمجهول، ونقل الإجازة والمتن ² والاستناد وهي من مصطلحات علم الحديث ³ .
---	--

المبحث الخامس: الأثر الفقهي والكلامي في العلة النحوية

إن أثر المذاهب الفكرية في بناء التصورات النحوية تجاوز حدود المنهج، والمصطلح إلى حدود الموضوعات النحوية، فظهر بارزا في نظرية العامل التي بنا عليها النحاة معظم أبواب النحو؛ إلا أنها تجاوزت طبيعة اللغة، فأدت إلى عدة مشكلات أهمها: التأويل والتقدير، التناقض، كثرة الفرضيات...، كما ظهر هذا الأثر أيضا في العلة النحوية التي كانت في بداياتها بسيطة، وفطرية، ثم تحولت إلى علة معقدة فرضت التقدير والتأويل والغموض، إضافة إلى ظهور الأثر الفكري في القياس النحوي وفي الإعراب، وسنحاول في هذا الفصل الكشف عن ذلك الأثر في العامل النحوي وفي العلة النحوية .

أولا: العلة وأحكامها بين النحو والمذاهب الفكرية :

² - ينظر: المرجع السابق، ص 242.

¹ - ينظر المرجع نفسه، ص 241.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

1- منهج عرض العلة بين الزجاجي وابن جنّي:

لقد خصص الزجاجي (337هـ) كتابة (الإيضاح في علل النحو) لذكر علل النحو دون الحديث عن الأصول (المسائل والأحكام، ويعد أول من ألف في العلة إلا أن ابن جنّي (392هـ) كان له الفضل في إرساء قواعد العلل، ووضع الأسس العامة التي يسير عليها من أراد التعليل لما تكلمت به العرب، كما أنه يعد المدافع الأول عن علل النحاة¹ فقد عقد باباً في كتابه بعنوان « الرد على من اعتقد فساد علل النحويين لضعفه هو في نفسه عن إحكام العلة ». وفيما يلي عقد مقارنة بين طريقة عرض العلة عند ابن جنّي وما يقابلها عند الزجاجي للكشف عن منهج ابن جنّي في عرض العلة ومدى تأثيره بالمذهب الكلامي.

منهج الزجاجي	منهج ابن جنّي
أما بالنسبة للزجاجي فلم يذكر من قواعد العلة إلا أنها مستتبطة وليست موجبة وأنها على ثلاثة أضرب، تعليمية وقياسية ونظرية جدلية وقد احتوى كتابه على أبواب كثيرة لا تمد لليلة بصلة، مثل حد الاسم والفعل والحرف والفائدة من تعلم النحو، والفعل والمصدر أيهما مأخوذ من صاحبه ² .	- إن ابن جنّي في طريقة عرضه لليلة يذكر أولاً أصلاً من أصول العلة- وهذه الأصول هو الذي اخترعها واستتبطها من لغة العرب ثم يذكر تحت هذا الأصل أكثر من مسألة تدور حول هذا الأصل.
أفرد الزجاجي كتابه للحديث عن العلة، وإن لم يستوف كل أبواب النحو، فلقد اقتصر على بعض المسائل النحوية، فالغرض من	إن ابن جنّي لم يفرد كتابه للحديث عن العلة فقط، بل ضمته كثيراً من أصول النحو فله كل الفضل في إرساء قواعد العلل

¹ - ينظر: وضحة عبد الكريم جمعة المعيان، لتأليف النحوي بين التعليم والتفسير، ص 427.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 428.

تأليف كتابه هو استعراض العلل النحوية بحيث غلبت العلل النحوية على الأحكام النحوية.	ووضع الأسس العامة، ومن هذه الأسس علل النحو أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل الفقهاء، العلة إذا لم تتعد لم تصح¹.
اكتفى الزجاجي بدور الناقل لتعليلات من سبقوه دون أن يضيف على عللهم شيئاً، حيث أنه كان يستعين بتعليلات من سبقوه لدرجة جعلت تعليقات السابقين عليه تغلب على تعليقاته هو³.	إذا كان ابن جنّي قد نقل عن بعض النحاة كسيبويه والفرّاء وابن السراج آراءهم في العلة فإنه قد علل لبعض الظواهر النحوية والصرفية فقد أبدع ابن جنّي أحكاماً في العلة وقد ساقها على أنها من المسلمات التي لا يجوز الطعن فيها².
لم يتحدث الزجاجي عن فلسفته للعلّة إلا في موضعين: * علل النحو ليست موجبة. * وتقسيمه العلة إلى ثلاثة أقسام علل تعليمية وعلل قياسية وعلل جدلية نظرية⁵.	لقد ملأ ابن جنّي كتابه بفلسفته للعلّة، فهي أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتقّهين وهي ضربان: واجب لا مناص من أثره، واستحساني يمكن مخالفته، وأكثر العلل مبناها على الإيجاب وهناك ضرب آخر يسمى علة وإنما هو في الحقيقة سبب يجوز ولا يوجب، وأن العلة إذا لم تتعد لم تصح⁴.

من خلال هذه المقارنة يتضح:

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 427.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 433-439.

³ - المرجع نفسه، ص 413.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 410.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

- أن ابن جنّي تجاوز الحديث عن العلة، إلى فلسفة العلة مما جعله يبدع أحكاماً اعتبرها من المسلمات التي لا يجوز الطعن فيها.
- لم يكتف بدور الناقل لتعليلات غيره فمن تعليقاته المنهجية أنه النحوي الوحيد الذي تساءل عن القصد من إرجاع الكلمات المعتلة إلى أشكالها النظرية كقولهم إن «قال» أصلها (قول) مثلاً: مما قد يوهم أن هذا الأصل ليس مجرد افتراضٍ، بل كان موجوداً قبل ذلك... بل يقول إنها أصول مرفوضة ولا يعتقد أنها قد كانت مدة مستعملة ثم صارت من بعدُ مهملة¹؛ حيث يقول: « وإنما معنى قولنا إنه كان أصله كذا، أنه لو جاء مجيء الصحيح ولم يعلل لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا فأما أن يكون استُعمل وقتاً من الزمان كذلك، ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر»².

- لقد وضع ابن جنّي الفلاسفة ضمن قراء كتابه أو ضمن من يدخل في دائرة اهتمامهم، ولغته بالفعل لا تخلو من طابع فلسفي منطقي لذا تشيع مصطلحات هذه العلوم فنجد الجوهر والعرض والدور، وتكافؤ الأدلة وغيرها³.

2-سمات العلة النحوية عند ابن جنّي:

تجلت هذه السمات نتيجة اهتمام ابن جنّي بالعلة وإفرادها بأبواب كثيرة ومتنوعة، ولعل أهمها:

- 1- ذهب ابن جنّي إلى أن علل النحو موافقة للحس، لأنها في أغلبها ترجع إلى التخفيف أو الفرق، وإذا كانت موافقة للحس فهذا أولى بقبولها.

¹ - وضحة عبد الكريم جمعة المعيان، لتأليف النحوي بين التعليم والتفسير ، ص 426.

² - ابن جنّي، الخصائص، 1/256.

³ - ينظر: وضحة عبد الكريم جمعة المعيان، المرجع نفسه، ص 424-425.

وقال: « ولست تجد شيئاً مما علل به القوم وجوه الإعراب إلا والنفس تقبله، والحس منطو على الاعتراف به، ... فجميع علل النحو إذا مواطنة للطباع »¹.

2- العلة وإن كانت حسية فيها جانب عقلي، فثمة تكامل بين الحس والعقل يظهر جلياً من خلال التعليل، ويرينا جانباً من جوانب إبداع العربية وإبداع الفكر المستنبط لهذه العلل.

ومن أمثلة ذلك ما علل به ابن جنّي عند حديثه عن اجتماع الحروف المتقاربة

المخرج في كلمة واحدة تقديم الأقوى مخرجاً، فقال: « وأنا أرى أنهم إنما يقدمون الأقوى من المتقاربين، من قبل أن جَمَعَ المتقاربين يثقل على النفس، فلما اعتزموا النطق بها قَدَّمُوا أقواها لأمرين: أحدهما أن رتبة الأقوى أبداً أسبق وأعلى، والآخر أنهم إنما يقدمون الأثقل ويؤخرون الأخف من قبل أن المتكلم في أول نطقه أقوى نفساً، وأظهر نشاطاً، فقدم أثقل الحرفين وهو على أجمل الحاليين... »².

3- كانت استنتاجاته وتعليلاته مستوفية النحو والصرف والأصوات، فهو يريد إرساء مبدأ التعليل في اللغة بمختلف مستوياتها قاصداً إلى إبراز جوانب الحكمة والإبداع عند العرب من خلال اللغة.

4- التعليل قد يظهر لنا مدى اعتدال العربية ووسطيتها، ومن ذلك ما نلمحه من تعليل ابن جنّي لبعض المسائل الصرفية حيث علّل لكثرة باب (فُعَل) في العربية وقلة باب (فَعِل) فقال: « فإن قلت: فما بالهم كَثُرَ عنهم باب (فُعَل) نحو: عُنق، طُنْب، وقل عنهم باب (فَعِل) نحو إِبِل وإِطْل، مع أن الضمة أثقل من الكسرة؟ فالجواب عنه من

¹- الخصائص، 52/1.

²- المرجع نفسه، 56/1.

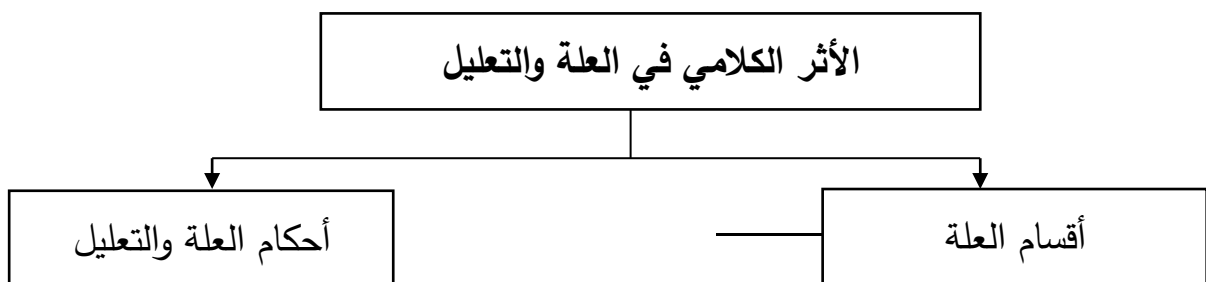
موضعين أحدهما أن سيبويه قال، "واعلم أنه قد يقل الشيء في كلامهم وغيره أثقل منه، فكل ذلك لئلا يكثر في كلامهم ما سيتقلون"¹...².

5- مبنى العلة على التحقيق، ذكر ابن جنّي أن العلة النحوية ترجع في أغلبها إلى إرادة التخفيف وأورد الأمثلة الكثيرة على ذلك.

ثانياً: العلة النحوية بين الأثر الفقهي والأثر الكلامي:

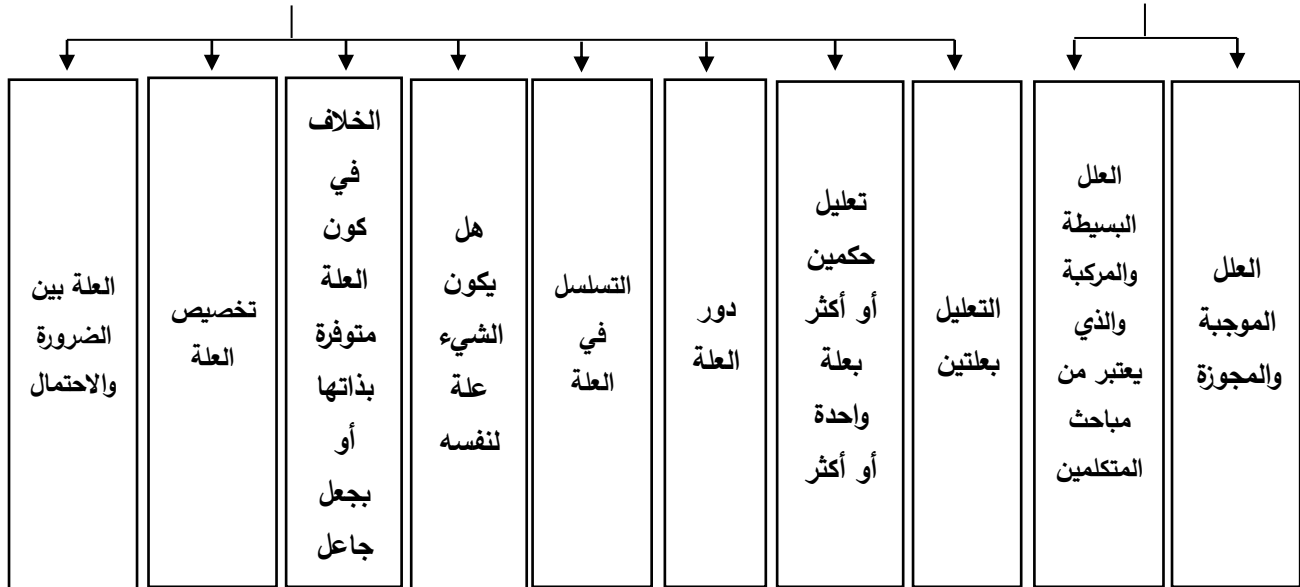
إن العلة النحوية بمعناها النظري، فهي خليط يجمع بين عناصر نحوية وعناصر كلامية، وأخرى أصولية، وينبغي أن نشير إلى أن هناك عددًا من هذه العناصر مشترك بين علم الكلام وأصول الفقه وسبب ذلك يرجع إلى ما بين العلمين من مباحث عقلية مشتركة وملامح منهجية متشابهة، أضف إلى ذلك أن منهج المتكلمين يمثل أحد أكبر منهجين في الدرس الفقهي الأصولي³.

ولقد أشار الدكتور عبد العليم بخيت إلى أن الأثر الكلامي في العلة والتعليل يتجلى في جانبين ممثلين في الشكل التالي:



² - الخصائص، 1/69-70.

³ - ينظر: مصطفى أحمد عبد العليم بخيت، أثر العقيدة وعلم الكلام في النحو العربي، ص 224-225.



المخطط رقم 26: يوضح الأثر الكلامي في العلة والتعليل

كما أن أثر أصول الفقه في قضية العلة والتعليل ظاهر جلي في عدة مسائل من بينها: مسالك العلة فمن بين مسالك العلة الأصولية، الإجماع والنص، والسبر والتعميم، والمناسبة وقياس الطرد وإلغاء الفارق، ومن قوادحها: النقض وتخلف العكس، وعدم التأثير، وفساد الاعتبار، وفساد الوضع.

لقد بلغت الأبواب التي خصصها ابن جنّي للحديث عن العلة ثلاثة عشر باباً فإذا علمنا أن أبواب ابن جنّي بلغت حوالي مائة واثنين وستين باباً أدركنا أن ابن جنّي حصص اثني عشر في المائة من كتابه للحديث عن العلة، وهو يذكر الباب من العلة، ويذكر تحته مسائل كثيرة¹.

وفيما يلي الأبواب والمسائل الواردة في الخصائص:

الأبواب	المسائل
---------	---------

¹ -التأليف النحوي بين التعليم والتفسير، ص 420.

1- تعليل رفع الفاعل ونصب المفعول.	1- باب ذكر علل العربية
2- القلب في ميزان وميعاد وسيد ونحو ذلك.	أكلامية هي أم فقهية.
3- ما ورد على فُعل على وزن عُمر معدولاً عن فاعل.	2- باب تخصيص العلل.
4- فُعل - بفتح فسكون - أعدل الأبنية.	3- الفرق بين العلة الموجبة والموجزة.
5- جمع فُعلة بضم فسكون وفُعلة بكسر فسكون.	4- باب في تعارض العلل.
6- الإعلال في نحو حياض وجياد.	5- باب في أن العلة إذا لم تتعد لم تصح.
7- قلب الواو والياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها.	6- باب في العلة وعلة العلة.
8- قلب الواو ياء في نحو سيد وقولهم حيوة وجُدْيُول.	7- باب في حكم المعلول بعلتين.
9- قلب الواو ياء في نحو سياط.	8- باب في إدراج العلة واختصارها.
10- ما الكافة عن العمل.	9- باب في دور الاعتلال.
11- هُلُك عند الحجازيين.	10- باب في الرد على من اعتقد فساد علل الخويين
12- علة بناء الكلمات الثنائية.	لصفعه هو في نفسه عن إحكام العلة.
13- تنوين جوار.	11- باب في الاعتلال لهم بأفعالهم ¹ .
14- رافع المبتدأ.	12- باب في أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها وحملناه عليها.
15- إعمال أهل الحجاز لما النافية وترك بني تميم لها.	13- باب في بقاء الحكم مع
16- المحذوف من شبة وسنة ومائة.	
17- لا يقال رأيت فاي وإنما يقال رأيت في.	
18- من المعلول بعلتين قولهم سيّ وري.	
19- اجتماع الهمزتين.	
20- تحقيق الهمزتين شذوذاً.	
21- علة إسكان اللام في نحو ضُرِبَتْ.	
22- جر الوجه في الحسن الوجه.	

¹-ينظر: المرجع السابق، ص 429-430.

زوال العلة.	23- علة قلب الواو همزة في أُقْتَت.
	24- الرد على الجاحظ في نقده للنحويين في مسألة أفعَل التفضيل.
	25- إضمار العامل في المنادى.
	26- الإبدال في نحو أوائل.
	27- سَرَاهِ وسَرَاهِ بفتح السين وضمها جمع سُرى.
	28- علة ضعف اللام.
	29- القلب في نحو صَبِيَّة وقُنْيَة وصَبِيَّان ولياح ¹ .

والملاحظ على هذه المسائل التي وردت في أبواب العلة عند ابن جنِّي.

- أن معظمها مسائل صرفية.

- تفاوتت الأبواب النحوية في ذكر مسائل النحو والصرف فأكثر الأبواب احتواءً لمسائل النحو والصرف هو باب "علل العربية، وأقل الأبواب احتواءً لمسائل النحو والصرف هي أبواب العلة إذا لم تتعد لم تصح، الاعتلال لهم بأفعالهم، والزيادة في صفه العلة حيث وردت مسألة واحدة في كل باب من هذه الأبواب².

ثالثاً: الأثر المذهبي في أحكام العلة عند ابن جنِّي:

أبدع ابن جنِّي أحكاماً في العلة نتيجة تعمقه في الحديث عن العلة، واعتبر هذه الأحكام من المسلمات التي لا يجوز الطعن فيها وهذه الأحكام هي:³

¹-ينظر: المرجع نفسه، ص 431-432.

²- ينظر: المرجع السابق، ص 432-433.

³- ينظر: المرجع نفسه، ص 433.

1- علل النحويين أقرب إلى علل المتكلمين منها على علل المتفقيين وعلل ذلك بقوله: «وذلك أنهم إنما يحيلون على الحس ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس وليس كذلك حديث علل الفقه، وذلك أنها إنما هي أعلام وأمارات لوقوع الأحكام ووجوه الحكمة فيها حفية غير بادية الصفحة لنا»¹.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى اطلاعه على علل الفقه ومقابلة ذلك بعلل النحو للتوصل إلى هذه النتيجة.

2- علل النحو على ضربين أحدهما واجب لأبد منه والآخر مما يمكن تحمله إلا أنه على تجشم واستكراه له.

3- ذكر ابن جنّي أنه يجوز تخصيص العلل.

4- تأخر علل النحويين عن علل المتكلمين وهذا لأننا نستطيع نقض علل النحويين، ولا نستطيع نقض علل المتكلمين.

5- أكثر العلل مبناها على الإيجاب مع وجود علل أخرى مجوزة.

6- الحكم الواحد قد تتجاذبه علتان أو أكثر، والحكمان في الشيء الواحد. المختلفان قد تدعو إليهما علتان مختلفتان.

7- العلماء اختلفوا في الاعتلال لما اتفقت عليه العرب، كما اختلفوا أيضا فيما اختلفت العرب فيه.

8- العلة الحقيقية عند أهل النظر لا تكون معلولة.

9- المعلول بعلتين على ضربين الأول ما لا نظر فيه ومثل له ابن جنّي بقولنا سيّ وريّ وأصلها سيّ ورويّ انقلبت الواو ياء، لأنها ساكنة غير مدغمة وبعد كسرة أو لأنها

¹ - الخصائص، 75/1.

ساكنة قبل الياء، أما ما فيه النظر، فمثل له ابن جنّي بالمنوع من الصرف، فعلة امتناعه من الصرف إنما هي لاجتماع شبهتين فيه من أشباه الفعل.

10- العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما تنباه إليها وحملناه عليها¹.

1- الآثار الكلامية في العلة والتعليل:

لخص الدكتور مصطفى أحمد عبد العليم بخيت الآثار الكلامية في قضايا العلة والتعليل في النقاط التالية:

- أن البحث عن العلل والأسباب سمة من سمات البحث العلمي.
- أن فكرة العلية فكرة أصيلة في اللغة وقديمة بتقدمها، والدليل على ذلك اطراد أحكامها، واتساق نظامها.
- ظهر التأثير الكلامي أكثر ما ظهر في العلل الصناعية التي جرّدها النحاة كالبحث في العلل البسيطة والمركبة، والموجبة والمجوزة ويحث التعليل بعلتين ونحو ذلك.
- أن أهم القواعد الكلامية التي انتشرت في دراسة العلة والتعليل عند النحاة هي:
 - أ- أن كل حادثة ممكنة الوجود وأن كل ماهية ممكنة بذاتها لا توجد ما لم يجب وجودها، وقد طبقها ابن جنّي في بحثه للعلل الموجبة والموجزة.
 - ب- المعلول الواحد يستحيل أن يجتمع عليه علتان مستقلتان.
 - ج- الشيء لا يكون علة لنفسه، وبهذا يبطل التسلسل في النحو والكلام².
- الفرق بين العلة والسبب أن العلة موجبة لمعلولها على وجه الضرورة، أما السبب فهو يؤدي إلى الحكم بلا وجوب، وهذا النوع الأخير من السببية يشبه ما نجده لدى علماء المنهج التجريبي من حديث عن السببية التجريبية.

¹-التأليف النحوي بين التعليم والتفسير، ص 434-436.

²-ينظر: مصطفى أحمد عبد العليم بخيت، أثر العقيدة وعلم الكلام في النحو العربي، ص 255.

– العلة النحوية حسية بمعنى أنها مبنية على الإدراك الحسي لأنها تجري مجرى التخفيف والفرق، كتعليل قلب الواو ياء في نحو "ميزان" لتقل الواو الساكنة بعد الكسرة، وغير ذلك¹.

خلاصة الفصل:

نتوصل في نهاية هذا الفصل إلى جملة من النتائج:

- 1- إن الأثر الأصولي في منهج البحث النحوي ظهر جليا في تشخيص الأدلة من مثل السماع، والقياس، والإجماع، والاستحسان، كما ظهر في أوجه دلالتها من حيث حمل النص، وثقة النقلة.
- 2- يتجلى الفرق بين منهج الأصوليين ومنهج النحاة، فالأول متغير متطور، والثاني ثابت في مناهجه.
- 3- اختلاف طريقة استنباط الحكم ففي الفقه وأصوله تستنبط الأحكام من النص القرآني المتعلق بتلك المسألة التي يطلب حكمها الفقهي، أما الحكم النحوي فإنه يستنبط من كل آية في القرآن الكريم، ومن كل حديث في السنة.
- 4- إن منهج سيبويه يسير على منهج تحليل النص القرآني تفسيرا وإعرابا وتبيين العلاقات بين مكونات النص.
- 5- إن التعليل عند سيبويه بعيد عن الفلسفة العقلية وعن التأثير بالمذاهب الفكرية سواءً الكلامية أو الفقهية؛ فهو تعليل مبني على روح اللغة والفطرة.
- 6- تصور بان مضاء القرطبي للأصول النحوية تصورا جديدا ومناقضا لما جاء به السلف متفق إلى حد بعيد مع الأصول الثابتة للمذهب الظاهري عند ابن حزم، والتي كانت مجرد آراء متناثرة ومنفردة عند داوود الظاهري.

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 256.

7- إن خلاصة منهج ابن مضاء القرطبي وابن حزم الظاهري يعود إلى النصوص أولا وأخيرا.

8- علل النحو أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقيين فهي حسية؛ أي أنها مبنية على الإدراك الحسي لأنها تجري مجرى التخفيف والفرق.



بفضل الله و عونه نصل إلى خاتمة البحث الذي حاولنا من خلاله كشف أثر المذاهب الفكرية (المذاهب الفقهية، المذاهب الكلامية) في بناء التصورات النحوية العربية ضمن ثلاثة مستويات هي: المنهج، و المصطلح، و الموضوع؛ حيث تبين أن أثر هذه المذاهب تجاوز الجانب الشكلي إلى الجانب الدلالي الذي تظاهر في التحليل و التوجيه، و لقد مست النتائج المتوصل إليها الجانبين، النظري و التطبيقي.

أولاً: في الجانب النظري: تم التوصل إلى:

- 1-إن المذاهب الفكرية لم تتكون عند أول خلاف؛ بل إن الخلاف يبتدئ ثم بعد ذلك تتبلور الأفكار المختلفة ،و يؤصل كل رأي و يتعرف أتباعه فتكون حينئذ المذاهب.
- 2-الاختلاف نوعان: اختلاف لم يفرق الأمة،و يضم هذا الاختلاف المذاهب الفقهية، و المذاهب الكلامية، و اختلاف فرق الأمة و يندرج فيه المذاهب السياسية؛ لأنها تجاوزت حدود النظر إلى التأثير في المجتمع و تغييره.
- 3- تتداخل المذاهب الفقهية، والمذاهب الكلامية، و مثال ذلك إتباع الأصوليين لمنهج المتكلمين في تحقيق المسائل و تمحيص الخلافات،
- 5- للمذاهب الفكرية (الفقهية، العقدية) صلة بروافد أجنبية أهمها: الفلسفة والمنطق خاصة في القرون المتأخرة ،حيث أدت بهذه المذاهب إلى الإغراق في التأويل و القياس والتعليل.
- 6-إن التصور يتكون من خلال عمليتي التحليل و التركيب، فبالتحليل يتعمق الفهم، وتظهر بعض الخفايا، و بالتركيب تتجاوز الجزيئات فتتكون الصور و التصورات، فالتصور الصحيح ناتج عن التحليل و التركيب الصحيحين.

7- التداخل و الترابط بين المذاهب الفكرية و التصورات النحوية يتجلى في مستويين: الجانب التنظيري و التعيدي، و الذي يرتبط بأصول النحو و المصطلحات النحوية، أما الجانب التطبيقي و التحليلي للنصوص الشرعية فهو المتمثل في التوجيه الإعرابي، وبيان وجه الدلالة فيها.

8- يتداخل مفهوم المذهب مع مفهوم الفرق عند استخدامها لدى معظم العلماء رغم وجود فرق بينهما، و المتمثل في أن:الفرقة تتميز عن غيرها في أمور العقيدة ،بينما المذهب فيتميز في الأحكام الفقهية السلوكية،أي يرى الإجتهد في الأمور الشرعية

9-إن المصطلحات النحوية تشكلت نتيجة تطوير العبارات الواصفة، و يمثل كتاب سيبويه خير دليل على ذلك.

10- إن تأثير و تأثر التصورات النحوية بالمذاهب الفكرية (الفقهية، الكلامية) ناتج عن الالتفاف حول منبع واحد و هو القرآن الكريم.

ثانيا: الجانب التطبيقي: ضم النتائج التالية:

1- المصطلحات النحوية تنقسم من حيث التأثير إلى قسمين مصطلحات منهجية تدخل ضمن أصول النحو، و مصطلحات تطبيقية تندرج ضمن قواعد النحو و مسأله التطبيقية.

2- إن المصطلحات المنهجية مأخوذة معظمها من أصول الفقه، أما المصطلحات التطبيقية، و المتعلقة بالمسائل الجزئية فكان تأثير الفقه واضحا فيها

3-إن هناك اختلاف في دلالة المصطلحات بين علمي أصول الفقه، و أصول النحو، وهذا ما يثبت خصوصية تناول.

4-معظم مصطلحات أصول الفقه و أصول النحو و علم الكلام مستمدة من منبع واحد وهو القرآن الكريم.

5-إن مصطلحات الكوفة أكثر ارتباطا بالفقه و أصوله؛ لأن معظم علمائها من القراء، والمفسرين، و الفقهاء، عكس مصطلحات البصرة التي ترتبط بالفلسفة، و المنطق.

6-أثر المذاهب الفكرية في المنهج النحوي تظهر في اتجاهين:

-الاتجاه الاعتزالي: و خير من يمثل هذا الاتجاه ابن جني في كتابه (الخصائص)

-الاتجاه الظاهري: و حامل لوائه ابن مضاء القرطبي في كتابه الرد على النحاة.

7-منهج سيبويه في التعليل والقياس بعيد عن التأثير بالمذاهب الفكرية، فهما مبني على روح اللغة، و الفطرة.

8-تصور ابن مضاء القرطبي للأصول النحوية تصور جديد مناقض لما جاء به السلف.و متفق إلى حد بعيد مع الأصول الثابتة للمذهب الظاهري عند ابن حزم.

9-مظاهر الأثر الكلامي في العلة و التعليل تجلى في: أقسام العلة: مثل العلل الموجبة الموجزة، و العلل البسيطة المركبة.



قائمة المصادر والمراجع

*الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، بِرِوَايَةِ حَفْصٍ عَنْ عَاصِمِ الْكُوفِيِّ.

أولاً: المصادر و المراجع:

1. إبراهيم مذكور في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، دار المعارف، (دط)، 2003م.
2. أحمد أحمد بدوي ، سيبويه حياته و كتابه، مؤسسة هنداوي، مصر، القاهرة، (دط)، 2019م.
3. أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية ، ط7، القاهرة ، (دت).
4. أحمد بدوي، سيبويه حياته و كتابه، مؤسسة هنداوي ، مصر القاهرة ، (دط)، 2019م.
5. أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي، وتطبيقها في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د ط)، 1994م.
6. أحمد عبد الغفور عطار، الديانات والعقائد في مختلف العصور، مكتبة المهتدين، مكة المكرمة، ط1، 1981م.
7. إدريس مقبول، سيبويه معتزليا حفريات في ميتافيزيقا النحو العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2015م.
8. أبو إسحاق الشيرازي إبراهيم بن علي بن يوسف، اللمع في أصول الفقه، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، 1424، 2003م.
9. الأمدي سيف الدين (631هـ)، المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين، تحقيق: حسن محمود الشافعي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1993م.
- *ابن الأنباري (كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن ابن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي):
10. الإنصاف في مسائل الخلاف - بين النحويين والبصريين والكوفيين، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، 2009م.

11. الإغراب في جدل الإعراب ولُمعُ الأدلة في أصول النحو، تحقيق، سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط2، 1971م.
12. أنور الجندي، الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة، الموسوعة الإسلامية العربية(11)، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب العالمي، بيروت، ط1، 1987م.
13. أنور خالد الزعبي، ظاهرية ابن حزم الأندلسي النظرية المعرفة ومناهج البحث، المعهد العالي للفكر الإسلامي، دار البشير للنشر و التوزيع، عمان، (ط1)، 1996م.
14. آية الله المشكيني، مصطلحات الفقه، مطبعة الهادي، مصر، ط1، 1319هـ.
15. بدير عون، علم الكلام ومدارسه، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (ط1)، (د ت).
16. بكري عبد الكريم، أصول النحو العربي في ضوء مذهب ابن مضاء القرطبي، دار الكتاب الحديث، ط1، 1999 م.
17. تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، جمع الجوامع في أصول الفقه، علق عليه ووضع حواشيه، عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003م.
18. تقي الدين السبكي، وابنه تاج الدين: الإجماع في شرح المنهاج، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1995م.
19. تمام حسان، الأصول (دراسة أبستمولوجية للفكر اللغوي عن العرب النحو، فقه اللغة، البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، (ط1)، 2000م.
20. التهانوي (محمد بن علي بن القاضي): موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م.

21. الجرجاني، التعريفات، المطبعة الخيرية، القاهرة، ط1، 1306هـ.
22. جلال الدين السيوطي: الاقتراح في أصول النحو ضبطه وعلق عليه عبد الحكيم عطية، دار البيروقي، ط2، 2006م.
23. ابن جنّي أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، ط1، 2015م.
- *ابن حزم (أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِي بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ الأَنْدَلُسِيِّ):
24. حياته وعصره، آراؤه وفقهه- دار الفكر العربي، القاهرة، (دط)، (دت).
25. المحلى بالآثار، تح: عبد الغفار سليمان البندري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.
26. رسالة مراتب العلوم في ضوء ما سبقها من تصنيف العلوم عند العرب، رسائل ابن حزم الأندلسي المجموعة الأولى، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).
27. ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل، تح: سعيد الأفغاني، مطبعة جامعة دمشق، (دط)، 1960م.
28. حسن حنفي، قضايا العلوم الإنسانية، إشكالية المنهج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الفلسفة والعلم، 1996م.
29. حسن خميس الملخ، التفكير العلمي في النحو العربي، الاستقراء - التحليل - التفسير، دار الشروق للنشر و التوزيع ط1، 2002م.
30. حسن عون، تطور الدرس النحوي، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية الأدبية واللغوية، تونس، ط1، 1970م.
31. حسن محمود الشافعي، المدخل إلى دراسة علم الكلام، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، ط1، 2001م.

32. حمّو النّقاري، المنطق في الثقافة الإسلامية، دار الكتاب الجديد، المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013م.
33. حنا أسعد فهمي، تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها إلى الآن، تحقيق وتقديم عقبة زيدان، نور للدراسات والنشر والترجمة، دمشق، سوريا، (دط)، 2009م.
34. حنان قصبي ومحمد الهلالي، في المنهج، دفاثر فلسفية نصوص مختارة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2015م.
35. أبو حيان التوحّيدي، ثمرات العلوم، تح: أنور محمود زناتي، محمد غالب علي بركات، دار سحر للنشر، تونس، ط1، 2010م.
36. خالد بن علي المرضي العامري، نقض عقائد الأشاعرة والماتريديّة، دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، الرياض، 2009 م.
- *الرازي (فخر الدين محمد بن عمر الخطيب):
37. محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين مت العلماء والحكماء والمتكلمين، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (دط)، (دت).
38. معالم أصول الدين، حققه: نزار حمادي وآخرون، دار الفكر اللبناني ودار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (دط)، 1992م.
39. رجاء أحمد علي، علم الكلام، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، الأردن، ط1، 2012م.
40. رفيق العجم، موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين ج 1 (أ-ع)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1998.
- *رياض عثمان:
41. المصطلح النحوي و أصل الدلالة، دراسة ابستمولوجية تأصيلية لتسمية المصطلحات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.

42. تشكل المصطلح النحوي بين اللغة والخطاب - دراسة صناعة المداخل الاصطلاحية في تفكير الزمخشري - دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 2011م.
43. الزركشي (بدر الدين محمد بن بهاء بن عبد الله الشافعي)، البحر المحيط ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الكويت، ط2، 1992م.
44. الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر): أساس البلاغة، تحقيق: أحمد عبد الرحيم محمد، دار المعرفة، بيروت، (دت).
45. سعد الدين السيد صالح، قضايا فلسفية في ميزان العقيدة الإسلامية، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1998م.
46. سعد رستم، الفرق مذاهب الإسلامية منذ البدايات، النشأة، التاريخ، العقيدة، التوزع الجغرافي، الأوائل للنشر والتوزيع، ط2005، 3م.
47. سعيد الأفغاني، في أصول النحو العربي، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، دمشق، سوريا، ط2، 1994م.
48. السعيد شنوكة، دراسات في آليات التحليل و أصول اللغة و النحو، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2009م.
49. سليمان الجمل، حاشية الجمل على الحلالين، المطبعة التجارية الكبرى، مصر، (دط)، (دت).
50. سميح دغيم، موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.
51. سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان)، الكتاب ، المطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق ، مصر، ط1، 1316هـ.
52. السيد رزق الطويل، الخلاف بين النحويين - دراسة وتحليل وتقويم، المكتبة الفيصلية، ط1، 1985م.

53. ابن سينا (أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ): الإشارات والتنبيهات، ج1، تحقيق يعقوب فرجة ليدن، لبنان، 1893م.
54. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح وشرح: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1980م.
55. الشريف الجرجاني (علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني) التعريفات، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان (دط)، 2005م.
56. الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، الملل و النحل، تحقيق أبي محمد محمد بن فريد، دار التوفيقية للطباعة، الأردن، ج1، ط3، 2015م.
57. شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط7، 2019م.
58. وليد سروجي، أصول الفقه - مصادر الأدلة وفقه الدلالات - دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.
59. صابر بكر أبو السعود، النحو العربي دراسة نصية، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، (دط)، 1987م.
60. صالح السامرائي، أبو البركات الأنباري و دراساته النحوية، دار الرسالة للطباعة ، بغداد، ط1، 1975م.
61. ضياء حبيب توفيق، مصادر المعرفة في الفلسفة الإسلامية المعاصرة، دار دجلة، عمان، ط1، 2010م.
62. الطاهر وعزيز، المناهج الفلسفية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م.

63. طه الحجازي، ابن حزم صورة أندلسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، (دت).
64. عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، المقدمة، طبعة مصححة ومشكلة، دار صادر، بيروت، ط2، 2006م.
65. عبد الصبور شاهين، المنهج اللغوي في كتاب سيبويه، مجلة آداب، جامعة الكويت، العدد 3 و 4، 1973م.
66. عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع، ط7، (دت).
67. عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، تأثير المعتزلة في الخوارج و الشيعة، أسبابه و مظاهره، دار الأندلس الخضراء للنشر و التوزيع، جدة، ط1، 2000م.
68. عبد الله بن حمد الخثران، مصطلحات النحو الكوفي، دراستها وتحديد مدلولاتها هجر للطباعة والنشر، ط1، 1990م.
69. عبد الله بن دجين السهلي، الأطوار العقدية في المذهب الأشعري، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 2014م.
70. عبد المجيد علي عابدين، مزالق في طريقة البحث اللغوي والأدبي وتوثيقه النصوص، دار النهضة العربية، بيروت، (دط)، (دت).
71. عبد الهادي الفضيلي، خلاصة علم الكلام، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط2، 1993م.
72. عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، الزهراء للنشر، الجزائر، 1990.
73. عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1979م.
74. عصام عيد أبو غربية، أصول النحو عند السيوطي بين النظرية والتطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2006م.

75. العلامة الحلّي (الحسن بن يوسف بن علي بن محمد بن مُطَهَّر)، نهاية المرام في علم الكلام، تحقيق فاضل العرفان، مكتبة التوحيد، ط1، دت.
76. علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، 2005م.
77. علي النجدي ناصف، سبويه إمام النحاة، عالم الكتب، القاهرة، (دط)، (دت).
78. علي بن حسين بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، العقلانيون أفرار المعتزلة العصريون، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، دط، دت.
79. علي بن سعد بن صالح الضويحي، آراء المعتزلة الأصولية - دراسة وتقويم - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 1995م.
80. علي بن محمد الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، علق عليه الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 2003م.
81. علي عبد المعطي محمد، قضايا العلوم الإنسانية، إشكالية المنهج، إشراق يوسف زيدان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الفلسفة والعلم، 1996.
82. علي مصطفى الغرابي، تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، السعودية، ط1، 1948م.
83. عماد علي جمعة، أصول لفقه الميسر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008م.
84. عمر سليمان الأشقر، المدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1998م.

85. عمر محمد التومي الشيباني، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، الدار العربية للكتاب، ط3، 1982م .
86. عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة و أصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، مكتبة الرشد للنشر و التوزيع، الرياض، ط2، 1995م.
87. عوض محمد القوزي. المصطلح النحوي نشأته و تطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، المملكة العربية السعودية، ط1، 1981م.
88. غالب علي عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، المكتبة الذهبية للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، ط1، 2006م.
89. أبو الغزالي حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي، المستصفى من علم الأصول، اعتناء الشيخ ناجي السويد، المكتبة العصري، المدينة المنورة، السعودية، 1413هـ.
- *الفارابي (محمد أبو نصر):
90. إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمين، دار الفكر العربي القاهرة، ط3، 1968م.
91. تحصيل السعادة، قدّم له وجوبه وشرحه، علي أبو ملح، دار مكتبة الهلال، للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ص، ط1، 1995 م.
92. فراج الشيخ الفزاري، مباحث الفلسفة الرئيسية، دار الجبل بيروت، دار الحارث الخرطوم، ط1، 1992م.
93. فردريك معتوق، منهجية العلوم الاجتماعية، عند العرب، وفي الغرب، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ط1، 1985م.
94. فؤاد بوعلي، الأسس الفكرية واللغوية للدراسة النحوية عند أبي حيان الأندلسي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014م.

95. فيصل بدير عون، علم الكلام ومدارسه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 2014م.
96. أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (581هـ)، نتائج الفكر في النحو، حققه: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.
97. القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة القاهرة، ط3، 1996.
98. قسم الكلام، في مجمع البحوث الإسلامية، شرح المصطلحات الكلامية، دار البصائر، طهران، ط1، 1415هـ.
99. قطب الدين الرازي، رسالتان في التصور و التصديق، تحقيق مهدي شريعي، بيروت دار الكتب العلمية ط1، 2004م.
100. كريم حسين ناصح الخالدي، الفكر النحوي العربي بين فهم النص القرآني وتأثير سلطة العقل، دار الرضوان للنشر و التوزيع، ط1، 2016م.
101. الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى)، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، (دط)، 1998م.
102. محمد إبراهيم الفيومي، المعتزلة تكوين العقل العربي - أعلام وأفكار، دار الفكر العربي، القاهرة، (دط)، 2002 م.
- *محمد أبو زهرة:
103. أصول الفقه، دار الفكر العربي للنشر و التوزيع، (دط)، (دت).
104. تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد، وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة، (دط)، (دت).
105. محمد الحباس، النحو العربي بين التأثير والتأثر - العلوم الشرعية نموذجاً - عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2001م.

106. محمد الطنطاوي نشأة النحو، دار المعارف، ط2، مصر ، (دط)، (دت).
107. محمد بن عبد العزيز العميرين، الاستقراء الناقص و أثره في النحو العربي دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2011م.
108. محمد بن عبد الله بن حمد السيف، الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم جمعا و دراسة، دار التدمرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2008 م.
109. محمد سراج، أصول الفقه الإسلامي، دار الجامعة الجديدة للنشر، (دط)، 1998م.
110. محمد صالح محمد السيد، مدخل إلى علم الكلام، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، دت.
111. محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، سلسلة نقد العقل العربي، المركز الثقافي العربي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط8، 2000 م.
112. محمد عبد الفتاح الطيب، ضوابط الفكر النحوي (دراسة تحليلية للأسس الكلية التي بني عليها النحاة آراءهم، دار البصائر للنشر والتوزيع، القاهرة، مج1، (دط)، (دت).
113. محمد علي التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق، علي دحروج، ج1، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، لبنان، ط1، 1996م.
- *محمد عيد:
114. أصول النحو العربي - في نظر النحاة ورأي ابن مضاءوضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1989م.
115. الاستشهاد و الاحتجاج باللغة، رواية اللغة و الاحتجاج بما في ضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1988م.

116. محمد مهران رشوان، قضايا سياسية في المنطق، دار المسيرة للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، 2011م.
117. محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب، (دط)، (دت).
118. محمود محمد مزروعة، مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد مكتبة كنوز المعرفة، جدة ط2، 2006م.
119. مريم محمد صالح الظفيري، مصطلحات المذاهب الفقهية وأسرار الفقه الرموز في الأعلام والكتب والآراء والترجيحات، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2002م.
120. مصطفى أحمد عبد العليم بخيت، أثر العقيدة و علم الكلام في النحو العربي، دار البصائر ط1، 2012/1433م.
121. مصطفى باحو، عقائد الأشاعرة، تقديم الشيخ: محمد محمد بوخبزة الحسني، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012م.
122. مصطفى سعيد الخن، دراسة تاريخية للفقه و أصوله والاتجاهات التي ظهرت فيها، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ط1، 1984 م.
123. ابن مضاء القرطبي، كتاب الرد على النحاة، نشره وحققه: شوقي ضيف، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1997م.
124. مها خير بك ناصر، النحو العربي والمنطق الرياضي التأسيس والتأصيل، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط2، 2014م.
125. ابن الناظم (أبي عبد الله بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك)، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2000م.

126. نايف بن نهار، مقدمة في علم المنطق، مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث دار عقل للنشر والترجمة، سوريا، قطر، ط2، 2016م.
127. نور الدين الخادمي، الدليل عند الظاهرية، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2000م.
128. نيقولا ريشر، تطور المنطق العربي،/ ترجمة ودراسة وتعليق: محمد مهران، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1985م.
129. هاني عبد الرحمان مكروم، التصور العقلي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1999م.
130. ابن هشام الأنصاري أبو عبد الله جمال الدين، شرح قطر الندى وبل الصدى، حققه: محمد خير طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).
131. وضحة عبد الكريم جمعة الميعان، التأليف النحوي بين التعليم و التفسير مكتبة دار العروبة للنشر و التوزيع الكويت، ط1، 2007م.
132. أبو الوفا الغنيمي، علم الكلام وبعض مشكلاته، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (دط)، (دت).
133. يحي عيابنة، تطور المصطلح النحوي البصري- من سيبويه حتى الزمخشري- عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006م.
134. يحي هاشم حسن فرغل، تجديد المنهج في العقيدة الإسلامية، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2007م.
135. يوسف حسن عمر، شرح الرضي على الكافية، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ج1، ط2، 1996م.

ثانيا : المعاجم و القواميس:

136. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، ط2، (دت).
137. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008م.
138. خالد رمضان حسن، معجم أصول الفقه، دار الروضة للنشر و التوزيع، (دط)، (دت).
139. السفير أنطوان الدحداح، معجم لغة النحو العربي، مكتبة لبنان، ناشرون، ط1، (دت).
140. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار المعارف في مصر، ط2، 1973م.
141. مجموعة من المؤلفين، معجم مصطلحات العلوم الشرعية فهرسة مكتبة الملك فهد، المجلد الأول (أ-ت)، ط2، 2017م.
142. محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1985م.
143. المعجم العربي لاروس، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، 1990م.
144. المنجد في اللغة و الأعلام، دار المشرق، بيروت، دط، 1991م.
- *ابن منظور (ابن الفضل جمال الدين بن مكرم):
145. لسان العرب، دار صادر، بيروت، (دت).
146. لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (دط)، (دت).

ثالثاً: المجلات والدوريات:

147. أمجد عيسى طلافحة، أحمد محمد أبو دلو، الخلاف النحوي وحقيقة المدارس النحوية، البلقاء للبحوث و الدراسات، جامعة اليرموك، الأردن، المجلد 16، العدد 2، 2013م.
148. بلميهوب عبد العزيز أبليلة، بين أصول الفقه و أصول النحو مدخل نظري حول النشأة و المفهوم، مجلة المعيار، مجلد 26، عدد 3، السنة 2022.
149. جمال عصام، المذهب الظاهري وأثره في التصور النحوي لأبي حيان الأندلسي، مجلة الشهاب، مجلد 4، عدد 1، مارس 2018 م.
150. سناء علي حسين مظاهر التعليل في كتاب سيبويه جامعة كربلاء كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، المجلد الخامس العدد الثامن عشر، السنة الخامسة، تشرين الثاني، 2018 م.
151. صالح بوكرموش، الاختلاف العقدي بين المذاهب الكلامية وأثره على وحدة الأمة، صفات الله تعالى -نموذجاً-، مجلة المعيار، مجلد 25، عدد 59، 2021م.
152. طلال يحي إبراهيم، ثامر عبد الجبار نصيف، النحاة المعتزلة، آداب الرافدين العدد 45، 2007م.
153. طلال يحي إبراهيم، ثامر عبد الجبار نصيف، النحاة المعتزلة، آداب الرافدين العدد 45، 2007م.
154. عبد الرحمان أيوب، صعوبات أسلوبية في كتاب سيبويه مجلة دراسة عربية ع/2 كلية بايرو الجامعية كانو، نيجيريا، 1976م.

155. عبد الرحيم موفق، مقارنة نقدية لجدلية العلاقة بين علم الكلام وأصول الفقه «صفة كلام الله تعالى نموذجاً»، مجلة الإحياء، المجلد 21، العدد 28، جانفي 2021م.
156. عبد الرزاق عبد الرحمان السعدي، عبد الوهاب زكريا، نظرات في أصول النحو العربي و أصول الفقه الإسلامي، دراسة عربية إسلامية تأصيلية، مجلة الدراسات اللغوية و الأدبية، السنة الأولى، العدد الأول، 2009م.
157. عبد العليم بوفاتح: أسس التنظير النحوي و مناهجه، جامعة الأغواط، الجزائر، مجلة الآداب، العدد 16 جوان 2010م.
158. عبد القادر حمراني، المصطلح النحوي بين الشكل و الدلالة، مجلة دراسات لسانية، العدد 6، جامعة لونيبي علي، البليدة ، الجزائر، مارس 2017.
159. علي بن فتاشه، عبد المجيد عيساني، المنهج العلمي في البحث النحوي بين القدماء و المحدثين العرب سيبويه وتمام حسن نموذجاً، مجلة إشكالات، مجلد 6، عدد 3، السنة 2017م.
160. علي توفيق الحمد، قراءة في مصطلح سيبويه تحليل ونقد، مجلة العلوم اللغوية، مج 9، عدد 1 خاص بالمصطلح النحوي، القاهرة، مصر، 2006م.
161. علي فرحان جواد، الأثر الفقهي في الخطاب النحوي، جامعة المثني، كلية التربية، مجلة كلية التربية، العدد الثلاثون، جامعة واسط.
162. فريدة بن فضة، أصول النظر النحوي في كتاب سيبويه ، جامعة تيزي وزو مجلة اللغة العربية ، العدد الثالث و العشرون ،الجزائر 2009 م .
163. محمد الطيب، البشير بايكر، محمد سعد محمد أحمد، منهج التقعيد النحوي في المذاهب النحوية (دراسة وصفية نحوية)، مجلة البحث العلمي في لآداب، العدد 20،، الجزء الثالث، 2019م.

164. مزاييتي مريم، تجليات المنهج الوصفي في الدرس النحوي العربي القديم قسم اللغة العربية و آدابها المركز الجامعي تيسمسيلت، مجلة علوم اللسان العربي، العدد22، ديسمبر 2012م.

165. اليزيد بلعمش، العملية الاصطلاحية و بصمتها في النحو العربي آلية لفهم العلوم، جامعة باتنة1، الجزائر ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 27، ديسمبر 2012م.

خامسا: الأطروحات والرسائل الجامعية :

1. تامر عبد الحميد محي الدين أنيس، الاستصحاب في النحو العربي إشراف: علي محمد أبو المكارم، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 2001م.
2. رشيد حيدرة، تداولية الخطاب النحوي بين الضابط القواعدي والاستعمال الوظيفي، إشراف بلقاسم إبراهيم، أطروحة دكتوراه علوم اللغة و آدابها تخصص لسانيات تداولية كلية الأدب العربي والفنون، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، 2018م.

3. طلحة عيسى أحمد، أصول النحويين ابن جني و ابن الأنباري -دراسة مقارنة-، بحث مقدم لنيل درجة التخصص العليا الدكتوراه في تخصص النحو، جمهورية السودان، إشراف: عبد المنعم الشيخ عثمان، جامعة القرآن الكريم و العلوم الإسلامية كلية الدراسات العليا و البحث العلمي، دائرة اللغة العربية، شعبة النحو و الصرف، 2006 .

4. فؤاد رمضان محمد أبو حمادة، منهج التفكير النحوي عند سيبيويه من خلال القسم الأول من الكتاب- دراسة في أصول النحو العربي-، أطروحة دكتوراه، إشراف: الدكتور إبراهيم آدم إسحق، جامعة النيلين، كلية الدراسات العليا، جمهورية السودان، (دط)، (دت).

5. محمد الذهبي، الصلات الاستلزامية بين النحو وعلم الكلام حالة القاضي عبد الجبار نموذجا (رسالة ماجستير) جامعة محمد الخامس بالرباط، (دط)، (دت).

سادسا: المواقع الالكترونية:

6. تسجيلات الشيخ مسلم محمد موسوي، (جمعية العلماء المسلمين تلمسان - YOU Tube)، تاريخ الاطلاع: 12 ديسمبر 2018م. بتوقيت 10:00.
7. العيد حذيق، التفاعل المصطلحي بين علمي أصول النحو و أصول الفقه بين - استنساخ التجربة و خصوصية التناول - ، مداخله بملتقى المصطلح النحوي بين الهجر والاستعمال، كلية الآداب واللغات جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 31 مارس 2021م. <https://dspace.univ-eloued.dz/items/ea7719a0-afb6-4f6f-a505-aae2146c52cf> . تاريخ الاطلاع: 2022/11/02م. على الساعة: 16:00.
8. محمد العمري، مقطع من المحاضرة من مقرر أصول النحو والصرف، أكاديمية نماء للعلوم الإسلامية و الإنسانية <https://bi.hy/f60isz>. تاريخ الاطلاع 13/12/2021، على الساعة 20:00.



الموضوعات	الصفحة
مقدمة	أ-هـ
الفصل الأول: المذاهب الفكرية الأثر والتأثير	
تمهيد:	9
المبحث الأول: المذاهب الفكرية النشأة والتطور	9
أولاً: مفهوم المذاهب الفكرية	9
ثانياً: نشأة المذاهب الفكرية	12
ثالثاً: أنواع المذاهب الفكرية الإسلامية	19
رابعاً: المذاهب الاعتقادية - الكلامية - النشأة والتطور	21
خامساً: المذاهب الفقهية النشأة والتطور	36
المبحث الثاني: المذاهب الفكرية بين الموضوعات والمنهج	43
أولاً: موضوعات المذاهب الكلامية	43
ثانياً: منهج المذاهب الكلامية	45
ثالثاً: مناهج المذاهب الفقهية وموضوعاتها	50
المبحث الثالث: المذاهب الفكرية صلات وفوارق	53
أولاً: تحديد الفرق بين المصطلحات	53
ثانياً: صلة المذاهب الفكرية بالروافد الأجنبية	56
ثالثاً: الصلة بين علم الكلام والنحو	71
رابعاً: الفرق بين المذاهب الفكرية	72
المبحث الرابع: المذاهب الفكرية والتصورات النحوية	77
أولاً: مفهوم التصور وأقسامه	77
ثانياً: النحو وتداخل المصطلحات	81

84	ثالثا:التصورات النحوية
85	رابعا: مراحل التأثير بين النحو وعلم العقيدة
88	خامسا: مستويات التداخل بين المذاهب الفكرية و التصورات النحوية
89	خلاصة الفصل
الفصل الثاني: أثر المذاهب الفكرية في تشكل المصطلح النحوي	
93	تمهيد
93	المبحث الأول: مفهوم المصطلح النحوي وتشكله
93	أولا- مفهوم المصطلح النحوي
97	ثانيا - تشكل المصطلح النحوي وأسس بنائه
99	ثالثا: الاضطراب في فهم دلالة بعض المصطلحات
102	المبحث الثاني: المصطلح الفقهي والمصطلح النحوي الدلالة ووحدة المنبع
102	أولا: أقسام المصطلحات النحوية من حيث التأثير
104	ثانيا: أثر المصطلح الفقهي في المصطلح النحوي
112	المبحث الثالث: أثر مصطلحات أصول الفقه في مصطلحات أصول النحو -المصطلحات المنهجية-
112	أولا:تعدد مصادر مصطلحات أصول النحو
112	ثانيا: أوجه الاختلاف بين مصطلحات أصول الفقه ومصطلحات أصول النحو
119	المبحث الرابع: المصطلح الكلامي والمصطلح النحوي - الاشتراك والشروع-
120	أولا: أهم العوامل التي ساعدت على تقبل الأثر الكلامي
122	ثانيا: أثر المصطلح الكلامي في المصطلح النحوي

124	ثالثا: الأثير الكلامي في المصطلحات النحوية
130	المبحث الخامس: الأثر الفقهي والكلامي في الخلاف المصطلحي
130	أولا: الخلاف المصطلحي وأسبابه
132	ثانيا: مراحل تطور المصطلح النحوي وبروز الأثر الفقهي والكلامي
134	ثالثا: الأثر الفقهي والكلامي في الخلاف المصطلحي
139	خلاصة الفصل
الفصل الثالث: أثر المذاهب الفكرية في بناء المنهج النحوي	
143	تمهيد
143	المبحث الأول: المنهج النحوي واتجاهاته
143	أولا: مفهوم المنهج النحوي
146	ثانيا : سمات المنهج النحوي والنقد الموجه له
150	ثالثا:اتجاهات المنهج النحوي و أدلة التأثير
153	المبحث الثاني: الأثر الأصولي والكلامي في مناهج التنظير النحوي
153	أولا: جوانب التأثير
154	ثانيا: الفرق بين منهج النحاة ومنهج الأصوليين
155	ثالثا: الأثر الفقهي في التقعيد النحوي
156	رابعا: أثر المذاهب الفكرية في مناهج التنظير لدى النحاة
164	المبحث الثالث: منهج سيبويه بين الأثر و التأثير
165	أولا: أصول النظر النحوي عند سيبويه
170	ثانيا: مميزات منهج سيبويه
172	ثالثا: أثر المذاهب الفكرية في بناء منهج سيبويه
174	رابعا: اضطراب منهج سيبويه

177	خامسا: مصادر نصوص كتاب سيبويه
178	سادسا: التعليل عند سيبويه بين الأثر و التأثير
180	المبحث الرابع: أثر المذهب الظاهري في تجديد المنهج النحوي
181	أولا: ملامح التصور الظاهري عند ابن مضاء القرطبي
185	ثانيا: أساس التصور النحوي عند ابن مضاء القرطبي
186	ثالثا: الأصول النحوية بين ظاهرية ابن حزم وثورة ابن مضاء القرطبي
194	رابعا :طبيعة نصوص كتاب الرد على النحاة
200	المبحث الرابع: أثر الخلاف الفقهي في الخلاف النحوي
201	أولا: مدارس نحوية أو مذاهب نحوية
203	ثانيا: خصائص منهجي البصرة والكوفة
209	ثالثا: تطور أصول النحو بين ابن جني وابن الأنباري
211	المبحث الخامس:الأثر الفقهي والكلامي في العلة النحوية
212	أولا: العلة وأحكامها بين النحو والمذاهب الفكرية
216	ثانيا: العلة النحوية بين الأثر الفقهي والأثر الكلامي
220	ثالثا: الأثر المذهبي في أحكام العلة عند ابن جني
222	خلاصة الفصل
225	خاتمة
229	قائمة المصادر والمراجع
248	فهرس المحتويات
	ملخص

ملخص:

لقد نشأ النحو العربي في مناخ إسلامي تتلاحم فيه عدة علوم خدمة للقرآن الكريم، وفهمه، واستنباط أحكامه، وكان من بين تلك العلوم: علم الكلام، وعلم، الفقه وأصوله، وعلم الحديث، وعلم التفسير، فحدث بينها تبادل وتأثير سواء من ناحية الشكل: (المنهج، والمصطلح)، أو من ناحية المضمون (الموضوعات، التوجيه الإعرابي)؛ حيث كان للفقه وأصوله، ولعلم الكلام أثر بارز في بناء التصورات النحوية العربية، وظهر ذلك جليا في بناء المنهج النحوي وتجديده، فظهر المذهب الظاهري لابن مضاء القرطبي؛ إذ يتفق هذا المذهب مع مبادئ وأصول المذهب الفقهي الظاهري الذي أحياه ابن حزم الأندلسي، كما مس الأثر تشكل المصطلح النحوي فظهرت مصطلحات من مثل: القياس، والسماع والاستحسان، واستصحاب الحال، والنسخ، والتعليق، الجوهر، الحركة والسكون.

Abstract

Arabic grammar arose in an Islamic climate in which several sciences combined to serve the Holy Qur'an, understand it, and deduce its rulings. Among those sciences were: the science of theology, the science of jurisprudence and its principles, the science of hadith, and the science of interpretation. An exchange and influence occurred between them, both in terms of form: ((Methodology, terminology), or in terms of content (topics, grammatical guidance); Jurisprudence and its principles, and the science of theology, had a prominent impact in building Arabic grammatical concepts, and this was clearly evident in the construction and renewal of the grammatical approach, so the Zahirī doctrine of Ibn Mada' al-Qurtubi appeared. The grammatical terminology was formed, and terms such as: analogy, hearing, approval, adverb, abrogation, suspension, essence, movement and stillness appeared.